جامعـــة الأزهـــر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
بدســـوق

أعـــلام ونظـــريات

في

الفلسفة العامة والأخلاق

إعداد

د/ ثـروت حسـين سالـم
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
جامعة الأزهر - دسوق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وأن هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون﴾

صدق الله العظيم

سورة الأنعام الآية (١٥٣)

أولاً :- مفهوم الفلسفـــة

إن المســتقرىء للفلســفة وتاريخهــا عــبر عصــورها السالفة يجد أنه من الصعوبة الوقــوف علــى تعــريف جــامع مــانع لمفهــوم الفلسفة وذلك لأن الفلسفة فى المقام الأول بحــث عقلــى وليســت وحــيا إلهــياً يقتضى الوقوف عليه قسمة البشر التفاوت و الاختلاف.

وتــرجع تلــك الصــعوبة إلــى مفهــوم الفلســفة نفسه حيث إنه يعد موضوعاً فلسفياً تتطرق إليه العقول بالأنظار ولكل وجهة هو موليها .

يقــول د/ زقــزوق (ولعــل الصــعوبة فــي ا لعــثور علــى تحديد أو تعريف ويتفق علــيه بمفهــوم الفلســفة يــرجع إلــى أن مفهــوم الفلسفة ذاته يعد موضوعاً فلسفياً ومــن هــنا لا تعجــب إذا ذهبــت وجهــات الــنظر فــي شــأنه مذاهب شتى شأن أي موضوع فلسفي آخر) .[1]

---

[1] تمهيد للفلسفة د/ محمود حمدي زقزوق ص ٢٥ ط. دار المعارف الرابعة ١٩٩٢ م

وعليه فلا ضير من اختلاف وجهات النظر الذي قد تخضع لظروف خاصة يتقلب صاحبها بين الهدى والضلال يقول د/ دراز في وصف الفلسفة بأنها (عمل إنساني يحكم فيه كل ما في طبيعة الإنسان من قيوده وحدوده وتدرج بطئ في الوصول إلى المجهول وقابليته للتغير والتحول وتقلب بين الهدى والضلال واقتراب وابتعاد عن درجة الكمال) .[١]

أولاً : أصل الكلمة :

إن كلمة فلسفة لم تك عربية الأصل بل يونانية المنبع (وتتكون من مقطعين فيلو ، صوفيا) وتعني محبة الحكمة وهو ، والحكيم هو الذي يكرس حياته وبعض حياته في تحصيلها .[٢]

ولما ترجمت العلوم اليونانية إلى اللسان العربي استبقى المترجمون (الأصل اليوناني بعد ن أخضعوه للنطق العربي ومنه أخذ الفعل تفلسف ومشتقاته .[٣]

وقد نسب إلى فيثاغورس (٥٨٢ – ٥٠٧ ق.م) قوله (لست حكيماً فإن الحكمة لا تضاف لغير الألهة وما أنا إلا فيلسوف) .[٤]

---

[١] الدين د/ محمد عبد الله دراز ص ٧٣ ط. مطبعة السعادة ١٩٦٩ م

[٢] المعجم الفلسفي – جميل صليب – ص ١٦٠ ج٢ الأولى ١٩٧٣م .

[٣] تمهيد للفلسفة د/ محمود حمدي زقزوق ص ٢٧ ط. دار المعارف الرابعة ١٩٩٢م.

على أن المؤرخين في اختلاف حول أولية من أطلق هذا الإسم .

وأتسم المفهوم وقتئذ للشمول والإتساع فقد كانت الفلسفة تشمل العلوم والمعارف وانحصرت غاية الفليسوف فى البحث عن العلوم والمعارف لذاتها دون بحث عن غاية عملية تعود عليه من وراء نظره ، واتخذ النظر الفلسفى صوراً ففى المجتمعات الشرقية كان مفهوم الفلسفة يهدف الى الرقى بحياة الإنسان والسعى نحو مجتمع أفضل بفقة ما يدور حوله فانضم النظر العقلى للمفهوم العلمى فقد كانت المعرفة لدى تلك الشعوب وسيلة لخدمة الحياة العلمية واهتماماتها [١]

ولكن المفهوم تغير فى المجتمع اليونانى عنه فى المجتمعات الشرقية كان المفهوم نظرياً .

ومن أبرز رجال اليونان (سقراط) الذى عرف الفلسفة بأنها (البحث عن الحقائق بحثاً نظرياً وخاصة عن المبادى الخلقية من خير وعدل وفضيلة[٢]

فالمفهوم أخلاقى فى وجه العابثين بالأخلاق وهدمها وإحلال الرزائل ومحو الفضائل فهاجمهم سقراط وتلك الجماعة الذين عرفوا بالسوفسطائين ، فهو

---

[١] تمهيد الفلسفة د/ محمود حمدي زقزوق ص ٣٨ ط. دار المعارف الرابعة ١٩٩٢ .

[٢] تمهيد الفلسفة د/محمود حمدى زقزوق ص ٣٩ط .دار المعارف الرابعة ١٩٩٢ .

[٣] الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب د/بيصار ص ١٣ دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٣ م

ينطلق من واقع عصره وتطلع أفلاطون الى عالم ما وراء الطبيعة وحاول إثباته ونفى ما عداه فجاء مفهومه بأن الفلسفة هى (البحث عن حقائق الأشياء وعن الجمال والأنسجام الذى يوجد فى ألأشياء الذى ليس إلا الخير [٣]

ثم خلفه أرسطو الذى عرف الفلسفة بأنها (العلم بالمبادىء التى تفسر طبيعة الأشياء حتى يتدرج عند مواجهته للأشياء من علة حتى يصل إلى العلة الأولى التى هى علة العلل أو حقيقته .[١]

فنأى المفهوم عن العلوم الجزئية لأن عللها قريبة وخص علم الوجودات من حيث عمومها وصولاً إلى العلة التى ليس لها علة .

والملاحظ أن التعريفات اليونانية السابقة تميزت بالطابع النظرى الذى مهد للمفهوم العلمى فى العصر الهلينستى الذى يمتد من وفاة الاسكندر الاكبر من بداية القرن الأول الميلادى وكان من أبرز مفكريه شيشرون الذى يخاطب الفلسفه بقوله (أيتها الفلسفة أنت المدبرة كياننا أنتِ صديق الفضلية وعدو الرزيلة ماذا تكون حياتنا لولاك؟) وهكذا أصبحت الفلسفة تدخل فى تقييم سلوك الفرد إيجابيا وسلبيا ولكن المفهوم أتسع ليشمل كل ما يؤدى إلى سعادة الإنسان وعبر عن هذا الرواقية والأبيقورية والشكاك فذهب الرواقية

---

[٣] المرجع السابق ص ١٤

[١] الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب/ بيصار ص ١٤ دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٣م.

إلى أن الفلسفة هي فن أصيل ومحاولة اصطناعها في الحياة العملية أو هي معرفة الأمور الإلهية والإنسانية .

وذهب أبيقور إلى أن الفلسفة هي السعي إلى حياة السعادة باستعمال العقل .

ومن السعادة اختلط المفهوم بغيره فتبع تلك المرحلة اختلاط الفكر الفلسفي بالتصوف والذي تجلى في ظهور النزعات الإشراقية ولم تعد الفلسفة علماً تركيبياً أو نظرة كلية فحسب بل أصبحتا أيضاً وجداً صوفياً وانجذاباً دينياً .

على سبيل المثال (فقد نقل أفلاطون المصرى ٢٧٠ ق٠ م المذهب الأفلاطونى وتوصل الى الإتصال با لله عن طريق الجذب ٠٠٠٠) فكانت فلسفةتجمع بين منطق العقل الفكرى وتصوف الشرق الدينى (٣)

ومن مرحلة الا ختلاط الصوفى إلى التوفيق بين الدين والفلسفة بين سلطتى الدين الكنسى وبين النظر العقلى فى العصور الوسطى ٠ وكا ن المفهوم يهدف لمصادقة العقل والوحى وذلك لأن العقل الصحيح في نظرهم لا يصادم النص الصحيح لاشتراكهما مصدراً وغاية (فالحقائق الموحى بها من الله ليست إلا تعبيراً عن العقل ومن ثم كان الإيمان ضرورياً العقل وشرطاً لصحة تفكيره فيما قاله القديس أنسليم .

ومــن الــيونان علـــى مخــتلف عصــورهم ننــتقل إلـــى فلاســفة الإسلام حيث اتخذ المفهوم طابعاً مجدداً لا يخرج عن النطاق اليوناني .

فلاسفة الإسلام والفلسفة

فقد عرف الكندي (١٨٥ هـ - ٢٥٢ هـ) الفلسفة بأنها علم الأشياء بحقائقها الأبدية الكلية أنياتها وماهيتها وعلتها . بقدر طاقة الإنسان وقسمها إلى نظرية وعملية متشابهة بالنفس الإنسانية حيث يقول (فإذا كانت الفلسفة ليست سوى نظم للنفس فإنه يحس لها أن تنقسم إلى قسمين لأنه كما أن النفس تنقسم إلى فكر (أو عقل) وحس فكذلك تنقسم الفلسفة إلى علم وعمل بحيث يكون العلم هو القسم العقلي والعمل هو القسم الحسي والغاية لديه الوصول إلى الحق الأول الذي هو علة كل حق وقد وضع الكندي في رسالته في الحدود والرسوم للفلسفة تعاريف ستة يختلف المفهوم في كل تعريف حسب موضوعه .

فمــن حيــث الاشــتقاق مــن اســمها لأن فيلســوف مركــب من فلا وهي محب ومن ســوفا وهــي الحكمــة ومــن حيــث الفعــل فقالوا إن الفلسفة هي التشبه بأفعال الله تعــالى بقــدر طاقــة الإنســان أرادوا أن يكــون الإنســان كــامل الفضيلة ومن حيث الفعــل فهــي العــناية بــالموت والمــوت عندهم موتان - طبيعي : وهو ترك النفس

(٨)

البدن والثاني: إماتة الشهوات ومن حيث العلة – صناعة الصناعات وحكمة الحكم . وحدودها أيضاً فقالوا : الفلسفة معرفة الإنسان نفسه .

وعرفها الفارابي (٢٥٩هـ – ٣٣٩هـ) أنها (معرفة الوجود إلى الحق والوجود الحق هو واجب الوجود بذاته) .

وتوسع ابن سيناء في معرفته فقال هي استكمال النفس البشرية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه على قدر الطاقة البشرية) .

وقسمها إلى حكمة نظرية وحكمة عملية .

فالنظرية تتناول الأمور التي لنا أن نعلمها وليس لنا أن نعمل بها وحكمية عملية تتعلق بالأمور التي لنا أن نعلمها ونعمل بها وقسم الحكمة العملية إلى مدنية تعرض لما ينبغي أن يكون عليه التعاون بين الناس على مصالح الأبدان وبقاء النوع الإنساني .

وحكمة منزلية تتناول ما ينبغي أن يكون عليه التشارك بين أفراد المنزل لتنظم به المصلحة المنزلية وحكمة خلقية تهدف إلى معرفة الفضائل وكيفية مزاولتها والرزائل وكيفية إتقائها .،

(٩)

وتستفاد هذه الحكمة العملية بفروعها الثلاثة من الشريعة الإلهية وإن كانت قوانينها وتطبيقها على الجزئيات إنما تعرف بالتطبيق العقلي.أما الحكمة النظرية عنده فتتفرع إلى حكمة طبيعية ورياضية (وحكمة تنصب على ما وجوده مستغن عن مخالطة التغير وإن خالطها فالعرض لأن ذاتها مفتقرة في تحقيق الوجود إليها .

ومبادئ الفلسفة النظرية بأقسامها الثلاثة مستفادة من أرباب الملة الإلهية على سبيل التنبيه ولكن تحصيلها بالكمال إنما يكون بالنظر العقلي على سبيل الحجة وهكذا لم تخرج التعريفات الإسلامية عن النطاق الأرسطي حتى في تقسيماتها إلى نظرية وعملية يقول د/ أحمد الأهواني (إن قسمة الفلسفة إلى نظرية وعملية ترجع إلى أرسطو نقلها الكندي وزرعها في أرض العرب ... فأثمرت واستمرت عند الفلاسفة الإسلاميين وجرى عليها ابن سينا .

(١٠)

فلاسفة العصر الحديث والفلسفة

أمـا فـي العصـر الحديـث فيطالعـنا ديكـارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) بمفهومه الذي يـرى فـيه (أن لفـظ الفلسـفة معـناه دراسـة الحكمـة وليس معنى الحكمة قاصراً علـى الحـيطة والتبصـر فـي الأمـور بل تفيد أيضاً معرفة كاملة لجميع الأشياء التي يسـتطيع الإنسـان معرفـتها إمـا لهدايـة حياته أو للمحافظة على صحته أو لاختراع جميع الفنون .

فمفهـوم الفلسـفة يعـم كـل المجـالات المعرفـية في إطار قدرة الإنسان وبذلك تعد أساسـا لكـل العلـوم والمعـارف الأخـرى ولهـذا نـراه يشـبهها بالشجرة بقوله (فالفلسـفة بأسـرها أشـبه بشـجرة جذورهـا الميتا فيزيقا وجزعها الفيزيقا والفروع التـي تخـرج مـن هـذا الجـزع هـي كل العلوم الأخرى التي تنتهي إلى ثلاث علوم رئيسية هي الطب ، الميكانيكا ، الأخلاق .

ثـم إن انفصـال العلـوم عـن الفلسـفة فـي القـرن التاسع عشر جعل من الصعوبة الوقـوف علـى مفهـوم معيـن للفلسـفة فأصبحت تطلق على فلسفة مذهب معين أو شخص معين أو إتجاه خاص .

(١١)
فقـد خـاض الفلاسـفة الوضـعيون بـزعامة برتراندرسـل ١٨٧٢ وبعض الفلاسفة الوجوديين علـى تعـريفات شـتى لا تخلـو من النقد الصارم الموجه إليها وقد علق بو خنيسـكي علـى هـذه المفاهـيم والآراء بقولـه (إنـه ينبغي على الفيلسوف أن يشتغل بالمعرفة وبالإنسان وباللغة جميعاً .

وأيضـاً بيـن قصـور الـتعريفات الأخـرى التـي تنصـر الفلسفة على مفهوم خاص بقولهـا لا ينبغـي أن تعـامل الفلسـفة معاملـة العلـوم الجزئـية ولا أن تقصر على مجـال خـاص فهـي علـم كلـي ومجالها ليس كغيرها من العلوم مقصوراً على شئ ضيق محدد .

وأحـدث هـذه المفاهـيم نقلهـا الدكـتور / محمود زقزوق عن الأستاذ / لاوت الذي يـرى (أن الفلسـفة عمـل عقلـي حـر يقصـد مـنه المعـرفة الكاملـة لمبادئ كل الحقـيقة الواقعـة وينتهـي إلـى الحصـول علـى هـذه المعـرفة وتحقيقها ويفصح الأسـتاذ لاوت عـن مكـنون تعـريفه (بـأن الفلسـفة هي علم المطلق وظهوره أو تجليه) .

وهكـذا دار كـل فيلسـوف فـي إطـار خـاص معبراً عن مكنونات الإنسان وما أملته عليه طبيعته الإنسانية .

موضوع الفلسفة :-

بالـــنظر إلـــي ما سطره الفلاسفة تري أنهم قد بحثوا في كل شيء من أعظم المسائل إلي أصغرها ،ومن نشأة العالم وتكوينه إلي السلوك الصحيح في الحياة اليومية (*)ولكن جل الباحثين ومؤرخى الفلسفة قد حددوا موضوعاتها في ثلاث مباحث هي مجالاتها . (الوجود – المعرفة – القيم)

أولا : مبحث الوجود

(الأنطولوجيا)

يبحث في الوجود بصفة عامة دون النظرات إلى التعيين أو التحديد فتلك مهمة العلـــوم الجزئية، فالعلوم الطبيعية تبحث في الوجود من حيث هوجسم متغير ، والرياضـــة تبحـــث فـــي الوجود من حيث هوكم أو مقدار ... فالعلوم الجزئية تبحث فى ظواهر الوجود ويدخل فيه ما يلي :-

١-البحث في خصائص الوجود العامة لوضع نظرية في طبيعة العالم ٠

٢-الـــنظر فى الأحداث الكونية من حيث قيامها علي أساس من الثبات أو الصدفة أو الاتفاق .

٣-البحـــث عن علل الأحداث من حيث رجوعها إلي نفسها أم لعلة خارجة عنـــ هذه العلة ٠

٤- البحث في صفات الإله وعلاقته بمخلوقاته ٠

(*) راجع تمهيد للفلسفة د/زقزوق ص ٥١

٥-البحث في الوجود من حيث المادية والروحية [١].

خـــالف الوضعيون هذا الاتجاه وزعموا أن الفلسفة ذات قضايا فارغة لا تحمل معنـــي وأنهـــا مـــنهج بعـــير موضوع فهى مجرد طريقة لتعليل الألفاظ تعليلا منطقيا[١]..

ثانياً : - مبحث المعرفة

:- الابستمولوجيا

يرتـــبط هذا المبحث بسالفة ارتباطا مباشرا فيقوم علي خدمة مبحث الوجود إذ يـــراد به البحث في إمكان العلم بالوجود،أو العجز عن معرفته ويدوز حول ما يلي :-

١-مدي إمكانية إدراك المرء للحقائق ومدي صحة أو خطأ ما ذهب اليه .

٢-هل معارفه خاضعة للشك (حسي ،عقل - حدس) أم أنها مسلم بصحة اختيارها .

٣-مدي ثقة المرء بمعارفه وهل يصل بها إلي درجة اليقين أم الاحتمال .

٤-طبيعة هذه المعارف (الحسية - العقلية - الحدسية).

هـــذا وقـــد أطلـــق المؤرخون علي مبحث الوجود والمعرفة مصطلح (مابعد الطبـــيعة أو الميتافيزيقـــيا) وقد كانت الفلسفة مدرجة عند القدماء مع مباحث الوجـــود لكـــن المحدثيـــن رأوا أنها في جملتها تبحث الوجود من خلال نظرية المعرفة .

---

[١] نفسه ص٥١

[١] راجع أسس الفلسفة د/توفيق الطويل ص ٨٦

ثالثاً : مبحث القيم

(الاكسيولوجيا)

لمبحـــث القـــيم أهمية بالغة في حياة البشرية إذ هو قوامها الذي لا تصلح إلابه وبـــدور مبحـــث المثل العليا،أو القيم المطلقة،حول – معان ثابتة ٠هى **الحـــق ، والخـــير ، والجمـــال** ، ويبحـــث فيها ذاتيا من حيث ذاتها لا من حيث اعتبارها وســـائل إلـــي تحقيق غايات فهو يبحث فيها (من حيث ما ينبغي) أي أنها علوم معـــيارية وليســـت علوما وضعية تنصب دراستها علي البحث فيما هو كائن فعلـــي سبيل المثال ،علم الأخلاق، يضع المثل العليا التي ينبغي أن يسير عليها سلوك المرء أي أنُه يبحث فيها ينبغي أن تكون عليه تصرفات الإنسان [1]وتلك وجهة القدماء حول موضوع الفلسفة ،

وهناك من الحق بها علوم أخرى ضمنها فلسفات العلوم منها القانون ، الدين ، التاريخ ، السياسة٠٠٠٠الخ٠

الفلسفة والعلم

تخـــتلف الفلســـفة عن العلم موضوعا ومنهجا – فالعلم وإن أسهم في مجالات مختلفة ، فإن الفلسفة أثرت في بناء الشخصيات المختلفة التي أثرت وأخرجت العلم إلي مظانه ، فالفلسفة أوسع طريقا إذ حررت العقل من الجمود والخضوع للأحكـــام المسبقة والآراء الشاقة والعادات والتقاليد البالية ٠وهذا من شأنه أن ينير طريق الحياة أمام الناس :– ولكن هذا الأمر لا يعني الانفصال التام بينهما

[1] راجع أسس الفلسفة ٠

، فكلاهمـــا يبحث عن الحقيقة غير أنهما قد تكون في العلم عملية أمام الفلسفة فتصـــبح بالصيغة النظرية، كذلك العالم يحتاج إلي الذهن والفكر الصافي حتى يصـــل إلـــي الــرأي والإتجاة الصحيح ، كذلك الموضوعية مطلوبة من العالم والفليســوف ، ولكـــي هذا الأمر يستدعينا كما أشر ناسلفا إلي إبراز أهم نقاط الابتعاد والاختلاف بين الفلسفة والعلم .

أولا : نظـــرة الفلســفة نظرة كلية للأشياء فهو لا تتناول جانبا معينا من العالم بالبحـــث دون جانـــب ،فهذا شأن العلوم الجزئية كما علمنا ، فاختصاص العلم الجزئيات المتغيرة .

ثانـــياً : تسليم الفلسفة بالنتاج يكون قطعيا يبحث لا يترك مجالا للشك في حين يبنـــي العلـــم قضـــاياه (فرضـــياته) على البدهيات دون السؤال عن حقيقتها أوماهيتها .

ثالـــثا : ترتـــبط الفلســـفة بالفكـــر المجرد (المعقول) أما العلم فهو واقع في المحسوس دائما ومرتبط دائما به . فالعالم يسير فى خطه التجريبى من المرئى إلـــى المـــرئى ومن الملحوظ إلى الملحوظ سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ..بينما الفيلسوف يتجه من المرئى إلى اللا مرئى .[١]

رابعـــا : العلم يهتم بما هو كائن والفلسفة تهتم بما ينبغى أن يكون عليه الشيء كـــالعلوم المعـــيارية ،ويظهـــر ذلـــك واضـــحا في علم الأخلاق والجمال – فالمعلومـــات تكـــون واضـــحة لدي الطالب أما الفليسوف فهو لا يستطيع أن يفصـــل بيـــن ذاته وبين الموضوع الذي يعالجة فالفلسفة ما هي إلا وجهة نظر

---

[١] راجع المعرفة عند مفكرى المسلمين د/غلاب ص ٤٦

تخـــتلف باخـــتلاف الأفراد وبالتالي فلا يمكن لنا أن نلزم شخصا ما بطرح ما نعتقده من آراء فلكل فرد أفكاره الخاصة ٠ [٢]

خامســا : – العلم يهدف للبحث عن العلل القريبة التي تحدد لنا ظهور ومسار ظاهرة من الظواهر٠ أما الفلسفة فتبحث عن العلل الأولي للظاهرة التى ليس ورائهــا علــة أخــري ٠فهــي تتعلق بمجال أكثر شمولا من المجال العلمي المحدود[*].

سادســاً : يقتضي التفلسف حركة الفكر من الخارج إلي الداخل ٠أي من العالم إلــي الأنا، أو من الموضوع إلي الذات ٠وهذا يعتبر شرطا أولياً للتفلسف٠ أما العلــم فــلا يستخدم بالضرورة مثل هذا الرجوع فالفكر ينتقل فيه من موضوع إلي موضوع ومن ظاهرة إلي أخري .

نشأة الفلسفة

تضـــاربت الآراء الفلسفية بين المؤرخين حول أصالة الفكر الفلسفي ممن قائل بـــأن أرضها بلاد اليونان ففي القرن الرابع ق . م رد أرسطو نشأتها إلي بلاد الـــيونان وبعضـــها بطاليس في النصف الأول من القرن السادس ق . م بينما وجدنـــا ديوجيـــن اللابرتى وغيره يردها إلى الشرق القديم،فهو فى نظرهم قد ســـبق اليونان إلي ابتداع حضارات مزدهرة فكان أستاذاً له ومعلما وهي حقيقة يعترف بها المتصفون من الغربيين ٠

وتفصيلا نعود للرأيين :–

---

[٢] راجع الفلسفة مباحثها د/ابو ريان ص ٥٢٤

[*] مقدمة فلى الفلسفة العامة د/يحى هويدى ص ٥٣

أولا : أنصار الشرق القديم :- وأدلتهم

١-يــري أنصــاره أن الشرق القديم قد سبق اليونان إلي ابتداع حضارات مزدهرة يانعة ومن دلالات هذا الأمر :- من الناحية العملية :-

١-أنهــم كــانوا أول مــن ابتداع الرياضيات واخترع الميكانيكا ومثل هذا قدمــاء المصــريين كذلك ابتدعوا الكيمياء وانشاؤاعلم الطب واخترعوا الكتابة ودورا الكتب ٠

٢- أنهــم أول مــن درس اجــرام الســماء وأنشاؤا علم الفلك ومثل هذا الكلدانيون والبابليون ٠ **ومن الناحية النظرية**

١-أنهــم أول مــن بحثوا في مسائل المبدأ ، والمعاد والخير والشر ..فتلك قضايا قضايا عسيرتكانت مطروحة لديهم . فاخناتون المعروف في مصر القديمة بامنحوتب الرابع دعا إلي وحدانية الله مع شيوع الشرك في عصره كذلــك كــان البحث عن الثنائية في البيئة الفارسية من حيث حكمها للعالم ممثلة في الهين ،إله الخير وإله الشر .

٢- عــرف الهــنود حلــول الله تعالي في مخلوقاته إلي جانب زيارة جل من فلاسفة الاغريق لبلاد الشرق واستفادتهم من علومها - كطاليس٠

تعليلات الخصم لسبق الشرق للغرب في الاتجاه الفلسفي ٠

*ولكــن هذه الأمور كلها لا يسلم بها الخصم حيث يرى أن الشرق القديم كان هدفــه هدفا عمليا، ولم يكن نظريا صرفا كما يدعو الفكر الفلسفي في التماس المعــرفة لذاتها٠ أما الشرق القديم فقد استخدم هذه العلوم السابقة لسد حاجات ومتطلبات عملية فمثلاً استخدام المصريين للرياضيات كان هدفه عمليافيمسح الأرض وشــق الترع والميكانيكا في اقامة الاهرامات وعلم الكيمياء في تحنيط

الجثـث إعتقادا منهم بخلود الروح .....الخ وأما التفكير النظرى فقد أرادوا به إصـلاح الديـن فقد التمسوا المعرفة ليسدوا بها حاجة عملية أو ليشبعوا بها عقيدة دينية[١].

يقـول أحمـد أمين / عن علوم اليونان – إن اليونان كانوا يبحثون وراء الجق للحـق علـى حين أن كثيرا من الأمم كانت تتفلسف لما ينبع الفلسفة من فوائد ماديـةأو لتأيـيد قضـايا دينية ومن ثم لم يشاعوا أن يعدوا الآراء الهندية و المصـرية أو الصينية أو الآشورية أو البابلية فلسفة لأنهم شرطوا في الفلسفة البحثوراء الحقيقة المجردة في حرية تامة تسمو عن المادة) [١]

كذلك يرد الخصم البحث في القضايا النظرية عند الشرق القديم بأنه كان وسيلة وليس غاية في ذاته كما كان الحال عند اليونان كذلك اقترن بحثهم بالخـيال العقلي واختلط الدين بالفلسفة،ومن هنا ظهرعجزهم عن وضع مذاهب تجمل الحقائق التي يتوصلون اليها بالبرهان العقلي – ،

ومع تضارب الأراءحول أسبقية الفكر التفلسفي للشرق أم للغرب ، وجدنا من يـرى أن الفلسفة اليونانية ومناهجها كانت خلقا عبقريا جاء علي غير مثال ولم ينشأ قط عن حكمة الشرق القديم .

وأخر يري أنهما أصل تبع شرقي ما قدم مايرف من المؤلفات الفلسفية تتضمنة تعالـيم يـباح حوتـب وهي ترتد إلي غايته واربعني خرتا من الأمان أي قبل عصر كونفو ثينوس وسقراط وبوذا بثلاثة

منصفون غربيون

ويقول مارتون –

---

[١] أسس الفلسفة توفيق الطويل ٥٤

[١] راجع ضحى الاسلام احمد امين ج١ ص ٢٥٤

أن نــور العلم قد انبثق من الشرق ، وما من شك في أن معارفنا العلمية القديمة نحــن الغربيين مهما يكن من أمرها فأنها ترتد أصلاً إلي الشرق .... وبمعني أدق تحــدد إلي تراث ما بين النهرين ومصر وهكذا فإن من يغفل تراث وفكر الشرق القديم ماهو الا معارض ومتعصب لجنسه

متعصبون غربيون

يرى رينان أن العقل السامي لا طاقة له إلا علي إدراك الجزئيات والمفردات منفصــلا منفصــلاً بعضها عن بعض أو محكيه في غيرتناسب ولانسجام ولا تناسق ولا ارتباط فهو عقل مباعدة وتفريق لا جمع وتأليف وأما العقل الآرى فهــو عكــس ذلك ، – وهذا الكلام لاشك أنه مردود *وذلك لأن مناطق أخري غــير الــيونان) قــد سطعت مهما أنوار التفكير المجرد وتلالات في وضوح ،وكذلــك لا يكون من غير عاقل امتزاج الفكر الفلسفي بالفكر الديني في شتى عصور الإنسانية فأي محاولة للفصل بينهما تنتهى لامحالة إلي العجز عن فهم كلــيهما فالتفكير حلقة واحدة فلا يمكن القول بأن التفكير الغربىالذي كان دائماً يعــيش فى محيط عقلي يتصل بالعلم بأسره فإذا عزلناه عن العالم أسانا فهمة (*).

(*) راجع أسس الفلسفة .

الفلسفة والدين

علمـــنا مما سبق أن موضوع الفلسفة علي البحث عن الحقائق التي تدور حول أصل الوجود ومعرفة سبيل السعادة الإنسانية في العاجل الأجل . ومن هنا فإن لهــا مكانة مرتفعة حيث أنها سبيل لاعمال الفصل في مجالاته وفي اتجاهاته التـــي تحـــد فـــي بعـــض الأمور ومن هنا فإن الدين الذي هو ثمرة الرسالات الســـماوية يهدف أيضاً لنفس هذه الأمور فهو يرشد المرء حول أصل الوجود ويهديــــه لنـــيل سبل السعادة في حياته الدنيوية والأخروية ، ولذلك قد يرى الـــناظر أن بينهما اتفاق فالعلاقة بينها – هي علاقة الوائمة وذلك شئ طبيعي فالأنســـان فـــي حاجـــة إلي العقل والوحي معا والدين الصحيح لا يمنع العقل البشري من التفلسف فمن حقه الفهم والتفكير في ملكوت الله ٠٠٠٠٠٠٠٠الخ٠

*وإذا كانـــت الفلسفة بحث عقلي فأنها تضع للصواب والخطأ في طريقها لكن الديـــن محكـــوم باطـــار الوحي المعصوم ، ولسنا هنا في مجال التفرقة بينهما فالفليســـوف يحمد له إعمال عقله وهذا إذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال ٠ فأخطـــاء العقل راجعة إلي قصوره من بعض الأوجه التي قديراهاأى فليسوف وقد تخفى ولاتظهر لغيره وهكذا القدر العقلي سيبيل لنيل واكتساب المعارف ومدعـــاة الفلسفة لتفسير الحقيقة التي هي واحدة ، كالوحي له العصمة والفلسفة هـــي محـــل المعرفة ، فقط ومن هنا فإن الفلسفة نبتت وترعرعت في حضن الدين (الصحيح) فارتباطها ارتباط قديماً . حيث كان التفكير الفلسفي متزوجاً بالتفكير الديني ، فالفليسوف ينظرويفكرليصل إلي الحقيقة المطلقة التي وراء هذا الكون بكل ظواهرها ورجل الدين يريد الوصول في اطار الوحي إلي ا لله تعالي ٠فالفلسفة كأعمال عقل والدين كوحى إلهي معصوم كانا وما يزالا طرفاً

واحـداً ولـم يكـن بيـنهما علاقة تضارب وإنما الأمر راجع إلي التطرف في اسـتعمال العقـل،أو كبـته عـند بعض مدعي الفكر والنظر ، وذلك لأن عدم اسـتخدام العقل في النظر إلي الأمور تعطيل لحكمة الله من خلق العقل ، ومن ناحـية أخـري فإن الحملات أو الهجمات من جانب الفلاسفة ضد الدين كدين ليست من الفلسفة الصحيحة في شئ ولا يقرها العقل السليم. [1]

---

[1] راجع تمهيد للفلسفة د/زقزوق .

من أعلام المدرسة الإغريقية

الطبيعيون الأوائل

طاليس - انكسمندر - انكمناس - هيرقليطس

١- مدرسة الطبيعين الأوائل(الأيونية)

أولاً:- طالـــيس : -

٥٤٦/ ٦٢٤ ق.م

مولده :-

ولـــد طاليس في ملطية من مقاطعة أيونيا سنة ٦٤٠ علي الساحل الغربي لأسيا الصـــغرى من أسرة عريقة الأصل، فقة كان يرقي بنسبه إلي قدموس وأغنيور ملـــك صور . وهو أحد الحكماء السبعة ،والذين لم تثبت قصتهم تاريخيا ولكنه انفرد بالعلم عنهم بينما كانوا يعنون بالسياسة والأخلاق .

ثقافتة

طـــوف طاليس بكثير من البلاد بحثا عن المعرفة وطرقها فكشف علي دراسة العلوم المختلفة .

فـــبلغ مصـــر وأخذ عن الكهنة المصريين بعضاً من المعرف الرياضية،بذلك توصل لطريقة رياضية لقياس ارتفاع الهرم بناء علي قياس ظله ومقارنته بظل العصـــا وعمـــل كمهندس بحري حتى فاق أرباب البحرية وذلك بوضع تقويم بحـــري للملاحين ضمنه ارشادات وقو اعد فلكية كانت لها قيمتها الكبرى في تـــاريخ الملاحة ، كذلك تنبأ طاليس بكسوف الشمس ٥٨٥ م وبذلك حسم اللقاء العســـكري بيـــن الليديين والميديين،ووقتئذ بدأ نجمه يسطع في سماء ملطية ، ودعـــي بالحكيم وارتبط اسمه بالحكماء السابقين عليه ، وبدأ من خلال رحلاته العلمـــية إدخـــال علوم الأخرى إلي موطنه، فقد أدخل علم المصريين بالهندسة إلـــي بلاده كما أنه قدم تفسيرات لظاهرة فيضان النيل وتكوين الدلتا وقد اثبت جدراتـــه وأحقيته بنسبة الحكمة إليه وذلك في وجه المعارضين، حيث استأجر كـــل معاصـــر الزيـــتون لعلمـــه سلفا (عن طريق علم الفلك أو النجوم) أن

المحصول سيكون وخيراً . وكان الوقت شتاء – حتى إذا جاء المحصول وفيرا واراد كل واحد أن يعصر زيته أضطروا جميعاً للذهاب إليه ومن هنا أثبت أنه بحكنـــته يستطيع التطلع إلي كل مايريده ٠ففي وسع الفلاسفة أن يكونوا إغنياء إن هم رغبوا في ذلك ،أما الفلاسفة فهدفهم جمع الحكمة لا الثروة .
كمـــا ينســـب إليه بعض الباحثين بأنه اخترع الة يعرف بها قياس الإرتفاعات التي لا يمكن الوصول إلي قمتها ٠

*وبذلك يجد المرء نفسه أمام فيلسوف طوف فى أغلب الفنون الفكرية ومن هنا كان رائدا من رواد الحكمة ٠

وبعــد هــذا العرض الموجز لحياة هذا الفيلسوف نعرج الآن على أهم ملامح فلسفته ٠

فلسفته

أولاً: تعدد الآلهة

اعتمدت النظريات السابقة علي الأساطير في تفسيرها للإله وتعدده ، فقد كانت تلــك البقعة تؤمن بتعدد الآلهة، فالسماء اله، والأرض إله أيضاً. فتتحدث هذه الأســاطير عن تزاوج السماء بالأرض وعنهما صدرت الآلهة الأخرى ابتداء بكــرونوس وانتهاء بزوس رب الأرباب وحاكم السماء والأرض. مبدأ العدالة والمســاواة والا لفة بين الألهة .، ومن هنافقد حلت النظرة الطبيعية البحته محل هذه النظريات ولم يسلم طاليس من خبرها فقد امن يؤمن بتعدد الألهة لا الله وذلك دين أهل اليونان والأله له صفة الكمال عن البشر. وأثر عنه قوله(أن كــل الأشــياء مليئة بالألهة أو بالنفوس) وهذا القول ينبغي أن يفسر في أطار تفســير المــادة بالحياة ولهذا وصف مذهبه بالحيوية وهي نزعة سادات معظم مذاهــب القدماء في المادة وهذا القول ذكره أرسطو في كتاب النفس معللا أن طالــيس"ربمــا كان يعني بذلك أن النفس منتشرة في جميع أرجاء الكون وأن جميع الأشياء تتصف بالحياة.

ثانيا:-أصل الكون :-

كــان لنشــأة طاليس علي شاطئ البحر ومشاهدته لتصاعد الأبخرة و أفاعيل الضــباب ولمعــان الــبرق أثرة الواضح في قوله (إن الجوهر الاساسى الذى تكونت منه الأشياء هو الماء وعلل قوله بما يلى :-

١- المــاء قــوام كــل شــئ "* فالكائنات تعتمد عليه فهو يري أن النبات والحــيوان يتغذي بالرطوبة ولا يستطيع الحياة بدونها والرطوبة أنما تنشأ عن المــاء وكمــا أن قــوام الشــئ إنما يتكون عما يكون منه ذلك الشئ، كان من الطبيعي أن يتكون الإنسان والنبات من الماء .

١- عملــية التولد نفسها – فالحيوان والنبات في نظرة يولدان من الجراثيم الحــية وهذه الأشياء رطبة والرطوبة من الماء . فالمادة الحية مشتملة علــى روح الحياة فكل جزء من أجزاء الصنعة فيه حياة أو فيه الآلهة وأظهر ما يتضح من أجزاء المادة هو المغناطيس عندما يشاهده يجذب الحديد ٠٠فالتراب مثلا ليس إلاماء تبخر والسحاب ليس الابخارا تكثف والــنار ليست إلا حرارة انبعثت من احتكاك الاجسام التى كانت ماء ثم تجمدت فكل شئ راجع الى الماء ٠

٢- أن الــتراب يتكون من الماء ويتحول إليه وهذا الاخير شيئا فشيئا كما هو المشاهد في ماء النيل وفي كثير من الأنهار ٠

*كذلــك كــان طاليس من القائلين بالمادة الحية أي وجود الحياة في كل شئ ولعله أخذها من المصريين وما كانوا يذكرونه٠

*** نـظرة حول رأى طاليس ٠**

*يــري بعــض الباحثيــن أن كلام طاليس حول الماء وكونه أصلا للأشياء (الوجود) يرجع إلي الشعراء الأسطوريين الذين كانوا يردون أصل الاشــياء إلــي" أوقيانوس" وهو النهر المحيط وثيثنتيس ، مع اختلاف الأسلوب العقلي في العرض لهذا الأمر ٠

* وهــو فــي نظر البعض (كلامه حول أصل الوجود)مجرد خرافات ساذجة تلمــح إلــي فكــر مادي وثني وملامح لخرافات بابلية او مصرية أو أشورية قديمة .

*بيــنما يعد أرسطو هذه المحاولة (أو الفكرة) راجعة إلي ملاحظات طاليس من كون الكائنات الحية تنشا في البيئة الرطبة ومن البذر .

ومن كل ما سبق يـتـبـين لنا :-

*أن طاليس كان موسوعة علمية فساعدته رحلاته المختلفة علي اتساع دائرته مـــن الإطار الأسطوري إلى العقل ،. فقد نقل التفكير اليوناني من الأساطير ،والخرافات المحضة كما ظهر في فعل هو ميروس إلي نوع من التفلسف إو الـــتأمل فـــي الكون . وقد كانت طريقة تأملية بحتة بينما كانت عند المحدثين تجريبية .

فقـــد جعلوا من الهيدروجين العنصر المولد للماء وهو العنصر الكيميائي الذي يمكن تخليق جميع العناصر الأخرى منه "

*ومـــن هـــذا فطاليس قد صبغ الفلسفة فيما قبل سقراط بالصبغة المادية [١]وقد كانـــت لنشأته علي بحر أيونية الأثر الواضح في رده أصل الكون للماء كذلك كان متأثرا بالاشنودة الدينية الأسيوية ،

*كذلـــك يتضـــح لنا أن ما نقله بعض مؤرخى العرب عن طاليس[*] في الإله ليس له مرد من الصحة ،لأنه كان فيسلوفا ماديا ،لم يتعد بحثه دائرة الطبيعة ولم يتناول الإله ولا البحث في هويته، ولا في خلوده .وإنما كان ديناميكيا يرى أن المادة حياة ذاتية وأن حركتها منعثةمن داخلها وأن جوهرها في الماء .

وتلـــك غايـــة إســـرائيلية رمـــى إليها .من العصر الإسكندري وحاولوا إثباتها والتدليل عليها بكل ما أتوا من قوة ودهاء . ، [٣]

---

[١] راجع قصة الفلسفة اليونانينة احمد امين زكى نجيب ص ١٥

[*]يقول الشهرستانى عنه (**أن للعالم مبدعا لا تدرك صفته العقول من جهة جوهريتة، وإنما يدرك من جهة أثاره .وهو الذي لا يعرف اسمه فضلا عن هويته إلا من نحو أفاعيله وإبداعه وتكوينة الأشياء** . راجع الملل والنحل –الشهرستانى ص ٦١

[٣] راجع الفلسفة الاغريقية د/غلاب ص ٣٠

ثانيا:-انكسمندر

مولده :-

ولد انكسمندر في مالطة فيما بين سنة ٦١٠،٦١١ ق م ٥٤٧ ق ٠ م

علاقته بطاليس : -

يذهب بعض الباحثين أي أنه كان تلميذاً لطاليس وأخرون أنه كان معاصراً له٠

ثقافته :-

يذكـــر الباحـــثون أنـــه كان مؤلفاً في مالطة كتب كتاباً ذكر فيه مذهبه الفلسفي ولكـــنه فقـــد ولم يبق منه إلا قطع متناثرة ، كذلك كان مخترعاً ومتمرساً في المسائل العلمية ،وهو أول من رسم الخرائط ويقال أنه اخترع كرة فلكية، وان كـــان استقي صنعها من البابليين الذين رحل إليهم وتتلمذ علي أيديهم ، ويقال أنـــه أول من قال بأن الأرض لا ترتكز علي الماء،ولا علي شئ أخر يابس،أو رطـــب،وإنمـــا هي سابحة في الفضاء وأول من قال بأنها أسطوانية الشكل كما كان أول من اكتشف أنحاء الأرض .

فلسفته:-

خـــالف انكســـمندر طاليس في رده أصل الكون إلي الماء وقرر هذا الرفض فيما يلي :-

أولا : أن المـــاء اســـتحالة اليابس بالحرارة إلي المائع وإذا فالجامد سابق علي الماء فليس الماء مبدأ أولا للكون . (الجامد)

ثانـــياً :- أن المـــاء معيـــن ومحدود ولا يمكن أن يكون المبدأ الأول معينا أو محدوداً وإلا لما تولدت منه الأشياء المتميزة ٠

*ومــن هذا التعليل بسبق الماء بغيره ومحدوديته الضيقة خرج علينا بنظرية جديــدة وهـــي أن أصل الكون مادة لا متناهية لا تخضع للكيفية والتحديد مثل المــاء أو النار أو التراب ..... فهي من ناحية الكيف غير متعينة وغير قابلة للاتصـــاف ،ومن ناحية الكم لا تكون محدودة بحدود تميزها عن غيرها . فهي فــرع من المضادات من الطويل والقصير، والحركة والسكون ،والحلو والمر ....الخ

كيف حدثت الحياة في راية من هذه المتناقضات .

يـــري أنها كانت في البدء شيئاً واحداً وكانت فيه هذه الأشياء متعادلة ومتكافئة وبفعــل الــتطور والحركة حدثت انفصالات واجتماعات بين بعضها والبعض الأخــر بنســبة معينة ،وبمقادير متفاوته، تكون عنها الأشياء الطبيعية ، وكان هــذا الكـــلام كـــداورون فـــيما بعد .(*) فقد نقل ما ذكره إسلافه ونادى بتطور

(*) راجع الفلسفة الاغريقية د/غلاب ص ٤١ شارلس داروين١٨٠٩ – ١٨٨٢م

*ينسب التيار التطورى إلى تشارلز داروين وإن سبق فى هذا الميدان بغيره فلم يكن هو أول من ذهب إلى القول بــتطور الإنسان من حالة حيوانية دنيا متواضعة فإن فكرة التطور كانت قبله مجرد نظرية بحته فأصبحت على يديه وبعد ظهور كتاب أصل الأنواع مبدأ علمياً معترفاً به رغم كل الشكوك والإنتقادات والمآخذ التى وجهت إلى هذه النظرية إلا أنه صاحب الحظ الأكبر فى نشأة هذه النظرية

أولاً : حياته – مصنفاته

هو تشارلز روبرت داروين . العالم البريطانى الطبيعى الشهير . ولد فى ١٢ شباط ١٨٠٩ وتوفى فـــى نيسيان ١٨٨٢م .عن ثلاثة وسبعين عاماً كانت أمه ابنة صانع خزف اسمه (ودجود) أدخله والده فى كلية يسرع بجامعة كيميزدج لينخرط فى سلك اللاهوت وبعد أن اكمل دراسته بالكلية . قام ســنه ١٨٣١ برحلـــته الشهيرة حول العالم التى استغرقت خمس سنوات وكانت هذه الرحلة ضمن البعـــثة البريطانـــية الـــتى اوفدت على ظهر السفينه بيغل وقد أطلع فيها على الكثير من أسرار عام الحيوان والنبات ولم يكن قد عرف عنه القول بالتطور بل سبقه لامارك الفرنسى بهذا القول ويلاحظ تنكر داروين لاقول لامارك قبل رحلته لكفه عدل عن ارائه بعد رحلته وصار قطباً من أقطابها الداعين لها . واستغرقت ابحاثه بعد عودته حولى ربع قرن يحاول أن يدعمها .

الإنســـان عـــن الحيوان . ونعود إلي اللامتناهى فهو في نظرة" دائم الحركة ودائم الحياة" **ولنا أن نفضل ما سبق قوله حول الانفصال على النحو الآتي :-**
فقـــد خرجـــت الســـماوات إلي أعلي والمحيطات إلي أسفل ومن المحيطات إذ تبخرت تحت الشمس خرج أول المخلوقات المائية الحية، ومنه تطور النسل إلي الطيور والحيوانات حتى بلغ أخر خليقة أرضية ألا وهو الإنسان .
، كذلك يعلل نشأة الإنسان وسائر المخلوقات بعملية التطور فالأحياء نشأت من المـــاء عندما بخرته الشمس، وأن الكائنات كانت في الأصل سمكا مغطي بقشر

ولقد أقر أن الإنسان والمجموعة الشبيهة به كالشمبانزى منحدران من أصل واحد . تزوج داروين عام ١٨٣٩م . وكان من سكان لندن ثم انتقل منها إلى داون سنه ١٨٤٢م . وبقى بها إلى أن وافته المنية .

نال داروين وسام الاستحقاق البروس سنه ١٨٧١م وفى سنه ١٨٧٨م صار عضوا فى الاكاديمية الفرنسية وقد عمل داروين سكرتيراً للجمعية الجيولوجية من سنه ١٨٣٨ إلى سنه ١٨٤١م .

* أثار داروين العلمية :-

١ - مذكرات رحلة حول العالم ١٨٤٢ م
٢ - مشاهدات جيولوجية فى أمريكا الجنوبية ١٨٤٦م .
٣ - أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعى ١٨٥٩م .
٤ - تلقيح زهر الأركيديا بواسطة الحشرات ١٨١٢م .
٥ - الحركة للنباتات المتسلقه وعاداتهما ١٨٦٥م .
٦ - تغير الحيوان والنبات فى حالة الدجل ١٩٦٨م .
٧ - أصل الإنسان ١٨٧١ هـ .
٨ - التعبير عن العواطف فى الإنسان وفى الحيوان ١٥٧٢م .
٩ - النباتات أكله الحشرات ١٨٧٥م .
١٠ -تسميد البساتين ١٨٨٠م . راجع كتابنا فى الرد على داروين .

شـــائك ثـــم مـــا لبثت أن زال عنها القشر وتطورات إلي كائنات أخرى،كذلك الإنسان الذي إنحدر من كائنات مائية أصلها السمك .(*)

*فالآلـــية تحـــوط مذهـــب هذا الفليسوف الطبيعي . فالاجتماع والحركة لهذه الـــذرات أيـــا كـــان نوعها هو سبب في تكونها . فالأشياء منه توجد بطريق الحركة التي تعمل علي تجميع العناصر بعضها بعض فبوجود الشيء أو تفرق بيـــنها وبين البعض الأخر تنعدم كلية أو يوجد فيها شيء أو أشياء أخرى كل ذلك بعيدا عن العناية الألهية وفى ضوء الصدفة العمياء .(٢)

ثالثا :- انكمناس حوالي ٤٧٥ ق.م

مولده

:-ولـــد فـــي هذا الفليسوف في أيونية مايين ٥٨٨ ، ٥٢٤ ق.م وليس هناك من دلائل تدل علي علاقته بانكسمندر فير ي البعض أنه أصغر زملائه أو تلميذه - وعـــلي كل،فقد نهل من تراث الطبيعين والماديين مع نحو ما سيتبين لنا إن شاء الله تعالي :-

(*) راجع حكمة الغرب ج١ ص٦ ايضا تاريخ الفلسفة اليونانية ص١٩

(٢) راجع الفلسفة اليونانية د/بيصار ص٥٨

فلسفته :-

ذهــب انكسمناس إلي أن الجوهر الأول واحد لا نهائي ولكنه محدد الكشف إنه الهــواء ،مــنه نشأت الأشياء الموجودة والتي كانت وسوف تكون ومنه أيضا نشأت الألهة وكل ما هو الهي وتفرعت باقي الأشياء [٣].

ويعلــل اختــياره بكون الهواء أصل للاشياء بأنه لا يحمل كالماء،كما أنه أكثر قــدره علــي الانتشار والنفاذ للأشياء.كما أن النفس فينا هو مبدأكيانا ووحدتنا كذلــك الهــواء يحــوى العــالم كله . والهواء يتداخل في العناصر الأخرى بحركتي الخلخل (تولد الحرارة،) والتكاثف (يولد البردوة) فعندما يتخلل فإنه يــتحول إلــي ناروإذاتكثف صار ماء وإذا تكثف الماء أكثر فإنه يتحو ل إلي تراب وإذا زاد تكثفه صار صخرا ٠

فحــركة النفس (أشبه بحركة الهواء تخللا وتكثفا،فعن الزفير تكون الحرارة (التخلل)وعند الشهيق تكون البروده وهذا هو(التكثف)٠

*كمــا رأي أن الأرض دائرة مسطحة تطفوا علي الهواء وكذلك الكواكب كما ذهب إلي تعداد الأكوان٠

*ويلاحــظ أن لقوــله أن مظهر الهواء الأكثر رقة هو نفس العالم وكأنه بذلك يحــدد مــا رآة الفلاسفة الشرقيون من نحو قولهم بأن العالم يتكون منه مادة وروح وأن روح العالم حية أي الأبد [*].

---

[٣] راجع الفلسفة اليونانية د/اميره مطر ص٥١

[*] راجع اعلام الفلاسفة د/هنرى توماس ت مترى امين م زكى نجيب ص٧٠ دار النهضة ١٩٦٤

رابعا:-(هرقلطيس حوالي ٤٧٥ ق. م)

مولده :- ولـــد فـــي مدينة أفسس من أسرة أرستقراطية . ولكنه انحرف عن زخرفها إلي الحياة العزلة وكراهية السياسة الديمقراطية فيبلدته . غلب علية غضبه ، فكان لا يحتمل لجهل الناس ،فالفرد الواحد يساوي عنده عشرة آلاف أن كان ممتازاً .

فهـــو يشبه شوبنهاور في تشاومة علي الرغم من أنه لم يغلب في فلسفته الشر علـــي الخـــير ،بـــل قال أنها وجهان لحقيقية واحدة كما يكون الجمال والقبح والحياة والموت وغلب عليه الغموض .

فلسفته :-

قـــرر أن المـــبدأ الأول يتمثل في النار،فالعالم كله أبدا وهو الأن وسيكون ناراً حـــية أبدية،وهي مستمرة في التميز المتصل إلي كل أنواع المخلوقات والأشياء فهـــي تـــتحكم فـــي التحولات التي ينتقل بها مقوم إلي آخر من مقومات الكون فبينها وبين غيرها تبادلا كتبادل السلع .

كمـــاأن العالم لم يخلقه خالق ،أو عدد من الآلهة ،أو أحد من البشر ولكنه كان دائمـــا كمـــا هـــو اليوم دائما نارا وسيستمر دائما نارا بمعايير اتقادها ومعايير خمودها .

التغيير ورؤيته:

-يــرى هرقليطس أننا لا نري الا تغيرا (للنار)(كمظهر خارجي) فهذا اللهب الأيدي هو البذ رة التي خرج مهنا كل الأشياء واليها تعود كل الأشياء أيضاً . فلــيس لشيء ماصفة علي حال ، وهي أن تنوعت فقد صدرت عن اصل واحد ولهــا مــرجع واحد، وهي تستطيع أن تستبدل نفسها باى شيء، كما تيستطيع اســتبدال الــنار نفســها بأي شيء – فهناك منوعات أخرى مثل النار والماء والأرض – والصراع بينها يؤدى الى تواجدها . فهي نغمات متضارية تنسجم لتألف وحدة واحدة فالكون كله يسمي لوحدة الوجود .

*والــتحولات تحــدث بالطــريق إلي أعلي والطريف إلي أسفل ،ففي هذين الاتجاهيــن تحدث التغيرات فبالطريق إلي أسفل تنقل النار فتصبح ماء وجزء من الماء يفسرأ رضا ،وأما بالطريق إلى أعلى فتتصاعد الأبخرة من الأرض والماء فتصير سحبا ثم تشتعل فتعود إلى النار بواسطة ظاهرة البرستير .

*كذلــك يلاحظ قوله إنَ الأشياء تعود إلي النار يطرح بذلك فكرة تجدد العالم علــي فترات كبيرة ويفسرها البعض بأنه (بنوع اقرب الى التدمير من البناء) ولهذا قال بفكرة الإختراق الكلي.

*وأما تجدد العالم فقد قال بها الكلدانيون حيث اعتمدا أن هناك وقتا تشتعل فيه الكواكــب الســيارة بمــا فيها القمر والشمس ويحدث هذا في رأيهم كل سنة وثلاثين ألف عام .

أيضــا:- جعــل مــن التغيير أساسا لكل شيء وذلك من نظريتة تجاة الطبيعة فاعتــبرها ثابــتة ، وقــرر أن كل شيء في تغيير ولا شيء ثابت، والنار هي ممــثلة هــذا التعبــير الدائــم ومن ثم فهي رمز الوجود ويعطينا مثالاً فيقول

(لا يمكــنك أن تــنزل الــنهر مرتين فيالنهر نفسه لأنُ مياها جديدة تغمرك باستمرار) فالأشياء الباردة تصير حارة والحارة باردة ....الخ

*ويبدوا أن الغموض في فلسفة هذا الرجل من وراء اتحادهذه المتغيرات ولكنه أحــيانا يضــفهاإلي اللوغوس ولكن هذا القول يبدوا بعيدا عندما نراه يقول أن القوة الملكية في يد طفل وأن الصاعقة تفني كل شيء

*واخــيرا ماهذه النار التي ذكرها هذا الفليسوف؟ ولها صفة الخلود؟هل هي النار المحسوسة أم شيئا آخر عقلي :-؟

يــري بعض (الباحثين أنها النار الحسية المعروفة وأنه تأثربنار الفرس فقد غــزت بــلاد اليونان، بينما يري البعض الأخر أنها نار عاقلة إلهية ، لطيفة للغايــة تتمثل في العقل اللوجس أو العقل المسيطر علي العالم ، ولكن هذا بعيد فالأمــر راجــع لخلط المؤرخين ،إلي جانب غموض هذا الرجل فضلا عن منادته بأن العالم لم يخلقه إله ولا بشر لكنه كان وهو سوف يكون نارا ابدية ٠

من أعلام الفلسفة الإسلامية

الكندي - الفارابي



فيلسوف الغــرب وأحــد أبناء ملـوكها

" القفطى"

يحتاج طالب العلم إلى ستة أشياء لكى يكون فيلسوفاً

ذهــن بارع	وعشــق لازم
وصبــر جميل	وروع خـــال
وفاتح مفهم	ومدة طويلة

"الكندى"

الكنـــــــدى

١٨٥ـ ٢٥٢ هـ

أولاً:- **نسبه** :-

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها وهو فاضل دهره وواحد عصره فى معرفة العلوم القديمة بأسرها والمشتهر فى الملة الإسلامية بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية .

ويرجع نسبه آلي يعرب بن قحطان من عرب الجنوب ويمتد نسبه ما بين الجاهلية والإسلام وهمزة الوصل بينهما هو **الأشعث بن قيس** الذى عاش فى الجاهلية وقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم مع وفد كندة وأسلم على يده وتعتبر أسرته سايلة الملك فقد ملك أجداده وسادوا فى أنحاء المعمورة منهم **سبأ بن يعرب بن قحطان** وكان أول من ملك من ملوك العرب وساد فى الأرض وسبيى السبايا ثم كان من ذريته قبائل عديدة .

تضاربت ديانة ملوك اليمن فكانوا تارة يعبدون الأصنام ثم دانوا بدين اليهود وتلوا التوراة . وقعت بين كندة وحضرموت حروب أفنت عامتهم وشمل أهل اليمن التفريق وأدى ذلك بأن سارت كندة آلي معد . ومن مفاخرهم التى ذكرها **الفرج الاصفهانى** مما يدل على سلالتهم الملكية ما قررة **الاشعث بن قيس** أمام كسرى ملك فارس حيث نطق بلسان قبيلته قائلا:-

"لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر وقديم زحفها الأكبر وإنا غياث اللزبات فسئل لم يا أخا كندة ؟ فأجاب بأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبنا الأعظم وتوسطنا بحبوحة الأكرم" .

مولده – نشأته :-

ولد أبو يوسف سنة ١٨٥ هـ وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميرا على الكوفة فى زمن المهدى والرشيد وكان متوليا لأمور الشرطة وقد توفى فى أواخر عهد الرشيد. وكان مشهورا بالكرم وقضاء الحاجات لأهلها ولذا قصده الشعراء . وامتدحوه ومن شعر نصيب فيه /

أغر لابناء السبيل موارد	إلى بيته تهديهم وطريق
وإن عد أنساب الملوك وجدته	إلي نسب يعلوهم ويفوقهم

ولد الكندى فى أواخر حياة أبيه وتربى فى بيت الإمارة بالكوفة حيث كان يعيش والده فنشأ فى أعقاب تراث من السؤدد والغنى وفى حضن اليتم وظل الجاه ولما توفى أبوه عادت به أمه إلي بيتها الأول بالكوفة. وقد كانت بغداد وقتئذ مشعل الحضارة وبيت العلوم فانتقل سليل الملك إلي بغداد لينهل من علومها. يقول ابن نباته المصرى :-

"اشتغل الكندى بعلم الأدب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فأتقنها.... وترجم عددا كثيرا من الكتب إلي لسان العرب منها كتاب بطليموس الفلكى" الجغرفيا فى المعمور من الأرض" ويعزى إليه إعادة وترجمت كتاب (فقه أرسطو) اثيولوجيا مصححا ما ترجمه السريان حوله كما درس الفاسفة انيونانية والفارسية والهندية والهندسة والطب والجغرافيا. ذكر له ابن النديم عددا كثيرا من الكتب بلغت حوالى مائتين وثمانية وثلاثين كتابا ورسالة وكانت له معرفة بالموسيقى وقد ذكر القفطى قصة له تبين مدى معالجته للمرضى بالموسيقى عن طريق معالجة النفس بالأصوات الهادئة وغيرها وقد كانت هذه الطريقة عند الفارابى أيضا كما سيأتي ذكره وكانت متابعة الكندى لأراء المعتزلة سببا فى محنته التى لاقاها على يد المتوكل فقد اضطهد فى زمنه وصودرت كتبه مدة طويلة فى خزانة تسمى الكندية إلي أن استردها .

وتفصيل ذلك – أن الكندى كان من قادة الاعتزال و له فى خدمته وخدمة الدفاع عن العقيدة مواقف مشهورة أجلها الرد على بعض الفرق (الدهرية) التى كانت تنكر الرسالة الإلهية على أساس الاكتفاء بالعقل الإنساني فى الإرشاد - إلي جانب إحياء المتوكل لآراء أهل الحديث أو النص القرآني والحديث النبوي لذلك حمل فى قسوة على كل من يخالف أمره فلم يجد الكندى بدا من فراره من بغداد إلي أطراف المملكة الإسلامية - فإذا أضفنا إلي ذلك الوشايات العديدة ضد الكندى ،

يقول الطبري :-

أن محمد بن موسى المنجم عمل بعد موت المعتصم على إبعاد أحمد بن المعتصم عن الخلافة لأن أحمد كان صاحب الكندى الفليسوف أما محمد وأحمد بن موسى بن شاكر فقد أخذ يكيدان للكندى فى أيام المتوكل حتى أغضبا المتوكل عليه وحدث ما كان من المصادرة لمكتبته وخروجه خارج بغداد وهكذا دفع الكندى ضريبة قربه من الأمراء بخسا لحقه وإهدارا لقدره ومكانته بيد أن هؤلاء لم يتفهموا قدر الكندى ومكانته فلم يكن هدفه جمع المال أو نيل الشهره أو كسب منصب فى قصر الأمراء فتلك أمور اكتسبها عبر مراحل حياته فهو سليل الملك والثراء والعلم .

أثار الكندى

أثرى الكندى المكتبة الإسلامية وغيرها من مكتبات العالم بتراث هائل من الكتب والرسائل وقد ذكر بن النديم له حوالي مائتين وثمان وثلاثين كتابا و رسالة كما ذكرنا من قبل وذكر له القفطى مثل ذلك تقريبا . وقد ألف الكندى فى شتى العلوم مما يدل على سعة أفقه وذكاء عقله وكان قصده من مؤلفاته تقريب مختلف العلوم والمعارف إلي تلاميذه المتوثبين للمعرفة، ويغلب عليها الروح التعليمية من نحو وضع المقدمات والاستنتاج منها والسير

بالقارئ على مهل وتذكيره بالمقدمات الأولى بين حين وأخر ويقسم ابن النديم هذه الكتب إلي أنواع بحسب موضوعاتها فيقول

١- كتبه الفلسفية	٢- كتبه المنطقيه	٣- كتبه الحسابيات
٤- كتبه الكريات	٥- كتبه الموسيقيات	٦- كتبه النجوميات
٧- كتبه الهندسيات	٨- كتبه الفلكيات	٩- كتبه الطبيات
١٠- كتبه الاحكاميات	١١- كتبه الجدليات	١٢- كتبه النفسيات
١٣- كتبه السياسيات	١٤- كتبه الاحداثيات	١٥- كتبه ألا بعاديات
١٦- كتبه التقدميات	١٧- كتبه الانواعيات .	

ويمكننا أن نشير إلي تفصيل لبعض مؤلفاته:-

فمما ألفة في الفلسفة كتاب الفلسفة الأولى فيما وراء الطبيعيات والتوحيد. ورسالة في أنه لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات. وهنا نشير إلي ولعه بالرياضيات والتي يبنى عليها أغلب نظرياته الفلسفية .

وفي المنطق ، رسالته في مدخل المنطق ورسالته في المقولات العشر.

وفي الفلك ، رسالته في المناظير الفلكية .

في الطب ، رسالته في الغذاء والدواء المهلك .

وفي الجدل ، الاحتراس من خداع السوفسطائية .

وفي النفس ، رسالته في أن النفس جوهر بسيط .

ورسالته في ما للنفس ذكره وهي في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس.

وفي الأخلاق - رسالته في الأخلاق

وفي الأبعاد - كتاب الآلة التي تستخرج بها الأبعاد والأجرام .

ومع كل فإن معظم هذه المؤلفات فقد ولم يوجد منها إلا اليسير كما يرى معظم المحققين .

وفاته :-

بعد هذه الحياة الحافلة بالعلم وإعمال العقل نتج عنها تراثا ملأ مشارق الأرض ومغاربها للكندى ما بين ترجمات وكتب ورسائل ، كانت النهاية الحزينة للكندي فقد فر إلي أطراف المملكة الإسلامية بعد إضطهاده من المتوكل ، ويقال إنه لم يعثر منذ ذلك الحين على كسب يقيه شرور الأيام ولذا مات فى حالة سيئة ، معتكفا اعتكافا تاما إلي أن وافته المنية .

ويرجح المؤرخون أن تكون وفاته

كما ذكر المرحوم الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق فى كتاب فيلسوف العرب والمعلم الثانى مرجحا أن تكون وفاته سنة ٢٥٢ هـ .

الوحـــدانيـــة

* كمـــا يصـــورها فيلسوف العـــرب *

من هدي القرآن الكريم

(قل لو كان معه آلهة كمايقولون إذالابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ٠ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ٠)سورة الإسراء (الآيتين رقم ٢٤٠٤٣)

(لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتافسبحان الله رب العرش عما يصفون ٠لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ٠) سورة الانبياء الايتين رقم (٢٢-٢٤)

(ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)(سورة المؤمنون الآيةرقم (١٩)

يقول الكندى (والمُحْدِثُ مُحْدِثُ المُحدَثْ إذ المُحْدِثُ والمُحْدَثْ من المضاف فلكل مُحْدَثٍ إضرارا عن ليس• والمُحْدِثُ لا يخلوأن يكون واحداأو كثيرا• فإن كانواكثيرا فهم مركبون لأن لهم اشتراكافى حال واحدة لجميعهم أى لأنهم أجمعين فاعلون والشئ الذى يعمه شئ واحد إنما يتكثر بأن ينفصل بعضه من بعض بحال ما • فإن كانوا كثيرا ففيهم فصول كثيرةفهم مركبون مما عمهم ومن خواصهم لا أعنى بالكل واحدا دون الا الاخر والمركبون لهم مركب لأن مركبا ومركب من المضاف• فيجب إذن أن يكون للفاعل فاعل •فإن كان الواحدفهو الفاعل الأول وإن كان كثيرا وفاعل الكثير كثيردائما وهذا يخرج بلا نهاية وقد اتضح بطلان ذلك فليس للفاعل فاعل فإذن ليس كثيرا بل واحد غير متكثر سبحانه عن صفات الملحدين علوا كبيرا[1] لا يشبه خلقه لأن الكثرة فى كل الخلق موجودة وليست فيه بته ولأ نه مبدع وهم مبدعون ولأنه دائم وهم غير دائمين لأنّ ما تبدل تبدلت أحواله وماتبدل فهو غير دائم ••••• الخ

---

١ - اشارة إلى صفات الله كما يراها الكندى

- هذه الرسالة كتبها الكندى الى على بن الجهم الشاعر المشهور الخراسانى الذى كان مختصا بالمتوكل ثم نفاه عام ٢٣٢-٢٣٩هـ

- بعد أن انتهى الكندى من اثبات تناهى الجرم والحركة والزمان وحدوثها عن عدم وتقرير أوليتها بفعل محدث وهذا الإحداث هو إبداع إذ الإبداع هو إظهار الشى عن ليس (عن عدم) يبدأ فى هذه الرسالة فى إثبات وحدانية الله وذلك على أساس أن الكثرة فى المحدثين تودى إلى التركيب فى ذواتهم لأنهم لابد أن يكونوا مشتركين فى أمر واحد يعمهم وهو كونهم جميعا فاعلون كما أنهم لابد أن يختلفوا بأصول تخصصهم عن غيرهم فكل منهم مركب مما يخصه ومما يعمه ويعم غيره وهذا يقتضى حدوث كل منهم لأنه يحتاج إلى مركب يركبه .

* تركيب لغة الجمع وعرفا مرادف التأليف وهو جعل الأشياء المتعددة بحيث يطلق عليها اسم الواحد والتركيب فى المنطق هو الجمع بين القضية ونقيضها - وفى علم النفس هو التأليف بين التصورات والعواطف والنزعات فى كل عضو واحد، وفى نظرية المعرفة هو جمع التصورات فى صورة عقلية [illegible] .

فيقول الكندى (إذ المُحْدِثُ والمُحْدَثُ من المضاف فلكل مُحْدِثٍ إضرارا عن ليس) فالعالم مضاف إليه سبحانه وتعالى فمتى ذكر الخالق ذ كر معه الخلق . وقد ثبت تناهى عناصره (الجرم - الحر كة - الزمان)[1] فلابد له من محدث طبقا لمبدا العلية من جهة[1] وتبعا لذلك يتاتى مبدأ التضايف فالعالم مضاف إليه تعالى وطبقا لهذا كان الأمر عاما فى جميع الأشياء المصنو عة (المخلو قة الحادثة) فإ نها مخلو قة عن ليس (عن عدم)

* و كلمة ليس اصلها لا أيس والأيس هو الوجود ثم أسقطت الهمزة من لا أيس وكذلك الأ لف وجمع بين اللام والياء . تقول العرب ائتنى بكذا من حيث أيس وليس .

(١) الجرم ما له ثلاثة أبعاد والملق فيما بعد على الأجرام السماوية وحصره المتأخرون فى الجسم ، وابعاده هى الطول والعرض والعمق .

(٢) الحركة (تبدل حال الذات) وتنقسم إلى ستة انواع
١- الكون ٢- الفساد ٣- الاستحالة ٤- الربو ٥- الاضمحلال ٦- النقلة .
(الجوهر) (الكيف) (كم)
من مكان إلى مكان < دائرية ← إلى قسمين / مستقيمة ← إلى قسمين

(٣) الزمان : مدة تعدها الحركة غير ثابتة الأجزاء .

* الجرم له ثلاثة ابعاد كما علمنا وهو مركب من الجوهر (الجسم المادى) ولما كان التركيب تبدلا والتبدل حركة ، فالجرم والحركة لم يسبق بعضها بعضا وبالحركة كان الزمان لان الحركة تبدل والتبدل مدة عادة مدة المتبدل والزمان مدة تعدها الحركة فالجرم والحركة والزمان لم يسبق بعضها بعضا .

* الادراك للاوانه الحاضرة تعنى أن الزمان له مبدأ وهذا يدل على تناهى الجرم والحركة والزمان .

يخلع الكندى على الله سبحانه وتعالى جميع صفات الكمال والجلال فيرى أنه واحد لا شريك له ولا تركب فى ذاته فالتركيب دليل الا حتياج والفقر[1] ولعله فى هذا متأثرا بالمعتزلة فيما ذهبوا إليه من أدلة ومنها قولهم (إن ذاته تعالى ليست مر كبة من اجتماع وانضمام وأمور كثيرة إذ لوكان مركبا لاحتاج كل جزء إلى غيره لأن كل مركب يفتقر إلى غيره والله منزه عن الا فتقار الى الغير فالله واحدتام وذاته ليست فيها كثرة بوجه من الوجوه فهوقديم خلق العالم بعد أن لم يكن فأولي لكل ذي عقل أن يقربالوهتية ووحدته تعالى ·وأنه تعالى غيرمجانس ولا مشاكل ولامشابه ولا مشارك للأشياء جميعهاوأن وحدته واحدة لاكثرة فيها بوجه من الو جوه وكأن الكندى يريد أن يضع قارئه أمام قول الله تعالى (ليس كمثله شى وهو السميع البصير) ويركز الكندى على عملية التضايف وهى علا قة بين شيئين لاغني لأحدهماعن الأخر ·وهي قاعدة مسلمة وبد هية عند المناطقة وغير هم ·كالأبوة والبنـــوة .

---

* للكندى مقدمات واضحة يدلل بها على حدوث العالم واليك إياها .

٢ - أن كل الاجرام التى ليس منها شئ اعظم من شئ متساوية .

(ب)- والمتساوية أبعاد ما بين نهاياتها واحدة بالفعل والقوة .

(ج)- وذو النهاية ليس لانهاية له .

(د) ٤ - كل الأجرام المتساوية إذا زيد على واحد منها جرم كان أعظمها وكان اعظم مما كان من قبل ان يزاد عليه ذلك الجرم .

(هـ)- كل جرمين متناهى العظم إذا جمعا كان الجرم الكائن منهما متناهى العظم ، وهذا واجب فى كل عظم وكل ذى عظم .

أما قوله (والمحدث لا يخلو أن يكون واحد أو كثيرا ...) ففيه إشارة إلي وحدة الخالق والى امتناع القسمة معه تعالى ، حيث يقول (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ....)

ونوضح الأمر مرة أخرى فنقول إن الكندى يرى أنه لو كان للكون الهة متعددون لكانوا مركبين من صفة تعمهم جميعا وهى أنهم فاعلون ومن صفات أخرى تميز بعضهم عن بعض إذن فهم كما يرى مركبون (مما عمهم ومن خواصهم) والمركبون لهم بالضروره مركب لان التركيب يستلزم مركب واذا فان كان المركب واحدا فهو الفاعل الأول وان كانوا كثيرا فهم مركبون ويخرج بلا نهاية وقد اتضح لنا بطلان الدور والتسلسل ففاعل كل واحد غير متكثر سبحانه وتعالى عن صفات الملحدين علوا كبيرا وقد اتضح لنا أن الكندى الفليسوف المعتزلى يقرر ما قررة المتكلمون من قبل حول وحدانية الله وما ذهبوا إليه من أدله نقلية واخرى عقلية وإليك طرفا منها :-

أولا :- تقرير الكندى لمبدأ الصفات وكونها عين الذات .

قلنا إن الكندى ركز على بيان مخالفته تعالى للحوداث وقد سار على درب الاعتزال وأهله فى قوله (..لأن الكثرة فى كل الخلق موجودة وليست فيه بته) وذلك كما نعلم قول أهل الاعتزال بالصفات وجعلها عين ذاته ،اجتنابا للقول بتعدد القدماء فالتعدد كفر ولعدم التركيب فى ذاته تعالى وهو محال لأنه يؤدى إلي الاحتياج وهو دليل الحدوث والله منزه عن ذلك .

ثانيا :- متابعه الكندى للمتكلمين :

تابع فليسوف العرب المتكلمين فى استدلالهم على وحدانية الله من نحو نفى التعدد لأنه يستلزم التمانع المستلزم للمحال ولو رجعنا إلي ما ذكره إمام الحرمين الجوينى لوجدنا تقريرا لدليل الكندى عنده فى قوله (إنا لو قدرنا ألهين وفرضنا الكلام فى جسم وقدرنا من أحدهما إرادة تحريكه ومن الثانى تسكينه فتتصدى لنا وجوه كلها مستحيلة وذلك أن لو فرضنا ١- نفوذ إردتهما ووقوع مراديهما لافضى ذلك إلي

إجتماع الحركة والسكون فى المحل الواحد والدلاله منصوبة على اتحاد الوقت والمحل .

٢- إستحاله نفوذ مراديهما . ويستحيل ذلك لئلا يؤدى ذلك إلي خلو المحل القابل للحركة والسكون عنهما ثم مآله إلي إثبات إلهين عاجزين قاصرين عن تنفيذ المراد .

٣- نفوذ مراد أحدهما دون الآخر . ويستحيل ذلك لان فيه تعجيز من لم تنفذ إرادته .

وبذلك يكون الكندى بعيداً عن مذاهب فلاسفة اليونان فى عودته إلي الأصل الدينى القويم القرآن الكريم فى إثبات وحدانية الله متكلما بلسان المعتزلة فى تقرير أدلتهم على الوحدة .



أول مفكر مسلم كان فيلسوفاً بكل ما للكلمة من معنى

ماسينيون

لئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابي منذ ألف عام في الشرق والغرب فإنه استحق ذلك بما وهب حياته لخدمة العلم والحكمة وبما ترك من أثر في تاريخ التفكير البشري وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة .

مصطفى عبد الرازق

الفـارابــــي

(٢٥٩ – ٣٣٩)

****

حياتــــــه :-

(١) **نسبه** : هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان " الملقب بالمعلم الثاني الشهير بالفارابي فاسمه محمد ، **وكنيته أبو نصر ولقبه المعلم الثاني** .

اختـلف المؤرخـون فـي نسـبه خاصـة في ذكر نسبه واسم أبيه لكنهم اتفقوا عـلى أن اسـمه محمـد . ويشـتهر بالفارابي نسبة إلي ولاية فاراب وهي إقليم كـبير وراء نهـر جيحـون عـلى تخـوم بلاد الترك . وأتفق أغلب المؤرخين عـلى أنـه تـركي الأصـل ولكن ابن أبي أصيبيعه في كتابه طبقات الأطباء . يذكـر أن أبـاه كـان فارسـي الأصـل تزوج من أمرأة تركية وأصبح قائداً في الجيـش الـتركي . ويجمـع ذلـك المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق قائـلاً (لا سـبيل إلـي تحقيـق نسـبه مـن هـذه الـناحية لتقارب البلدين واشتراك الأعـلام فيهمـا .)وكـانت أسـرته عـلى جانب كبير من الرخاء فقد كان أبوه قـائد جيـش وأثـر ذلـك فيـه فنشأ شجاعاً صابراً على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش مما يشعر أنه سليل أبطال .

مولده –نشأته

لا يكاد يذكر المؤرخون شيئاً عن مولد الفارابي وفترة شبابه وذلك راجع :
لأن المعـلم الـثاني لـم يـترجم لنفسه كما صنع بعض مفكري الإسلام وكذا لم يفعـل ذلـك أحـد مـن تلاميـذه . فإذا أضفنا إلي ذلك أسفار الرجل وتنقله من مكـان الى مكـان إزداد الأمـر غموضـاً ولكـن المؤرخيـن لـم يذكروا عن رحلاتـه إلاّ مـا وقـع مـنها بعد بلوغه سن الخمسين ،ولولا أن ابن أبي خلكان

ذكر أنه توفي سنة ٣٣٩ هـ وقد ناهز الثمانين سنة لما أمكن استنتاج تاريخ مولده إلاّ ظناً .

رحلات الفارابي العلمية :

* رحل الفارابي في سن متأخرة إلي بغداد مدينة العلم وكان عمره حينئذ يناهز الخمسين في سنة ٣١٠ هـ . فلم يدرس الفلسفة في بداية أمره وإنما بدأ يحضر دروساً للمنطق على يد أبي بشر بن متى إمام المناطقة بعد أن أتقن اللغة العربية كما درس المنطق، أيضاً على يد يوحنا بن حيلان في حران المتوفي بمدينة السلام في أيام المقتدر ثم كانت مرحلة نضجه العقلي والتأثير فيمن يتلقي به ، وقد فاق الفارابي من أخذ عنهم وتفوق عليهم . فقد كان رجلاً متطلعاً لاستكشاف المجهول وكان من وسائله في ذلك الرحلات والأسفار من بلدته فاراب إلي بغداد ومنها إلي حران ثم عاد إلي بغداد ثانية وسافر إلي دمشق وإلي مصر وتنعم في حلب بظل سيف الدولة بن حمدان حيث ارتقى في مجلسه وفاق مجالسيه من العلماء (لغويين وأدباء وفلاسفة) وكان مكثه في بغداد ما يقرب من عشرين عاماً كان ثمرتها نضجاً عقلياً ومؤلفات عديدة .

علاقته بسيف الدولة :

يروي ابن خلكان قصة يبين من خلالها تميز العلاقة بين سيف الدولة والفارابي : فتلك البقاع كان مشهوراً فيها تقريب العلماء من كل فن وكان ينبري كل واحد منهم فيما لديه من علم ، فلما ورد أبو نصر الفارابي على سيف الدولة وكان مجلسه يجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو بزي الأتراك وكان ذلك زيه دائماً فقال له سيف الدولة أقعد فقال حيث أنا ، أم حيث أنت ؟ فقال حيث أنت .فتخطى رقاب الناس حتى

انــتهى إلـــي مســـند ســـيف الدولـــة وزاحمـــه فيه حتى أفرجه عنه وكان على رأس ســـيف الدولـــة ممـــاليك ولـــه معهم لسان خاص يسايرهم به قلّ أن يعرفه أحد فقال لهم بذاك اللسان .

* إن هـــذا الشـــيخ قـــد أســـاء الأدب وإنـــي ســـائله عن أشياء إن لم يوف بها فاخـــرجوا بـــه . فقـــال أبـــو نصـــر بذلك اللسان أيها الأمير اصبر فإن الأمور بعواقـــبها . فعجـــب ســـيف الدولـــة مـــنه وقـــال له أتحســـن هذا اللسان ؟ فقال أحســـن أكـــثر مـــن ســـبعين لســـاناً ، فعظـــم عـــنده ثـــم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضـــرين فـــي المجـــلس فـــي كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يقل حتى صـــمت الكـــل وبـــقى يتكـــلم وحـــده ثـــم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولـــة وخـــلا بـــه فقـــال له : هل لك في أن تأكل ؟ فقال لا ، فهل تشرب فقال لا فهـــل تســـمع ؟ فقـــال نعـــم .ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانـــاً وركـــبها ثـــم لعـــب بهـــا فضـــحك كـــل من كان في المجلس . ثم فكها وركـــبها تركيـــباً آخـــر ثـــم ضرب بها فبكى كل من كان في المجلس . ثم فكها وركـــبها وغيـــر تركيـــبها وضـــرب بهـــا ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حـــتى الـــبواب فـــتركهم نيامـــاً وخرج . وعلى افتراض صحة هذه القصة فإنها تبينّ ماللفارابي من قوة علمه وأداء فكري واسع النطاق .

الفيلسوف الزاهد

لا شـــك أن حيـــاة الأمـــراء حيـــاة مـــترفة وقد كان الفارابي مقرباً لسيف الدولة ومـــع ذلـــك لـــم يكـــن بالـــرجل الـــذي تغريه مظاهر الدنيا والجاه بل إنه قضى حياتـــه كـــلها فـــي شـــظف من العيش وكان يكسب قوته بعمل يده وكان يستطيع أن يســـتمتع بـــرفاهية العيـــش بجـــوار سيف الدولة لكنه لم يتناول منه إلاّ أربعة دراهـــم فضـــة فـــي اليـــوم يخـــرجها فيمـــا يحتاج إليـــه من ضرورة العيش .

وهو في هذه المكانه كان لا يرى غالباً إلاّ عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه كما ذكر ابن أبي خلكان وغيره .

التصوف عنده

* والتصوف عنده يتخلل مذهبه وعبارات المتصوفه شائعة تقريباً في كل أقواله . وكأن التصوف عنده ليس نظرية من النظريات وإنما هو حالة ذاتية .

علاقته بالتراث اليوناني خاصة (أرسطو) يرجع تسمية الفارابي بالمعلم الثاني لمكانته الهائلة والكبيرة في عكوفه على التراث الأرسطي شارحاً ومعلقاً ومتابعاً لأكثر النظريات الأرسطية حتى لقد اعتبر أكبر الفلاسفة من بعده وأعظم ناشر وموضح لآرائه . ولما كان أرسطو يلقب بالمعلم الأول لذلك أطلق على خليفته في علم الفلسفة وناشر أرائه المعلم الثاني . وهناك آراء أخرى ترى أن السبب راجع لترجمته كتاباً لأرسطو يسمى بالتعلم الثاني وهذا مردود لأن الكتاب لم يكن معروفاً للناس فكيف يلقب الفارابي بلقب مشتق من اسم كتاب غير معروف ؟

* وهذا رد على صاحب كشف الظنون فيما ذهب إليه وهناك رأي ثالث يرى أن ذلك راجع لجمع الفارابي الآراء الفلسفية في كتاب يسمى التعلم الثاني بناء على رغبة المنصور بن نوح الساماني وفي هذه الرواية خطأ تاريخي واضح لأن المنصور بن نوح قد ولي خراسان سنة ٣٤٣ هـ أي بعد موت الفارابي بنحو أربع سنين .

* بدأ الفارابي بفلسفة أفلاطون فعرف بغرضه منها وسمى تأليفه فيها ثم اتبع ذلك بفلسفة أرسطوطاليس وبدأ يصف أغراضه وشتى مصنفاته .

ولعل في محاولته الجمع بين رايي الحكيمين – أفلاطون أرسطو ما يبين لنا نهمه لهذا التراث الفلسفي اليوناني على الرغم من اعتماده على كتاب منحول خطأ إلى أرسطو وهو كتاب الربوبية والذي اعتقد خلافاً للواقع أنه لأرسطو وهو من تاسوعات أفلوطين كما حاول من خلال كتاب أرسطو السماء والعالم أن يؤكد قول المعلم الأول بحدوث العالم ، بناء على أن الكل ليس له بدء زماني والزمان ما هو إلا عدد حركة الفلك ووجود الفلك إذن خارج عن الزمان وهذا إجمال يرجع إليه في موضعه إن شاء الله. وخلاصة الأمر أن الفارابي عكف على مؤلفات أرسطو فمحصها وكشف عن غامضها فاستحق أن يلقب بالمعلم الثاني .

تجاربه الحياتية : يرى د/ السبعي أنه كان يميل إلى الميتافيزيقا لأنه كان من أتباع مدرسة مرو وأنه أخذ قسطاً من ثقافته بالتلمذة أو الصحبة لعلماء مسيحيين منطقيين وأنه غلب على حياته الزهد والتصوف والميل إلى الناحية الروحية .

آثار الفارابي الفكرية

تعتبر الحقبة التي قضاها الفارابي متنقلاً بين بغداد ودمشق من أرقى فترات حياته ونضجه العقلي ، ففيها ألف معظم كتبه كما يذكر ذلك ابن خلكان في وفياته وبلغت مؤلفات الفارابي من الكثرة ما جعل المستشرق الألماني (ستينشنيدر) يخصص لها مجلداً ضخماً ولكن فقد عدداً كبيراً من كتبه ورسائله وبقي منها كما يذكر بروكلمان أربعون رسالة منها اثنتان وثلاثون رسالة بالخط العربي مترجمة إلى العبرية ورسالتان وصلتا إلينا مترجمتين إلى اللاتينية .

* أمـا عـدد مصـنفاته فقـد بـلغت عـند بعـض المحققين إلى مائة وثمانية وعشـرين كـتاباً ورسـالة وهـي في كل فن تقريباً – ثم أنها تنقسم طبيعياً إلى قسمين :-

(أ) قسم هو شرح او تعليق أو بيان لأراء أفلاطون وأرسطو .

(ب) قسم هو تأليف شخصي للفارابي .

<u>ومن أشهر مصنفاته :-</u>

١- مقالـة فـي أغـراض الحكيـم فـي كـل مقالـة مـن الكتاب المرسوم بالحروف وهو تحقيق غرض أرسطاليس في كتاب ما بعد الطبيعة .

٢- رسالة في إثبات المفارقات .

٣- شرح رسالة زينون الكبير اليوناني .

٤- رسالة فيما يجب معرفته قبل تعلم الفلسفة .

٥- رسالة في مسائل متفرقة . ٦- رسالة في العقل

٧-رسالة فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة .

٨-عيون المسائل . ٩-كتاب الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو.

١٠- كتاب تحصيل السعادة. ١١- كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة .

١٢- كتاب السياسة المدنية . ١٣- كتاب الموسيقى الكبير .

١٤- فصوص الحكم . ١٥- التنبيه على سبل السعادة .

١٦- كتاب المنطق . ١٧- فضيلة العلوم والصناعات .

وغير ذلك من المؤلفات المفقودة .

* عمت كتب الفارابي مشارق الأرض ومغاربها – خاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين وانتقلت إلي الأندلس في المغرب فتتلمذ عليها كثير من

الأندلسيين وترجم بعضها إلي اللغة اللاتينية وكذا إلي العبرية . واستأثرت مكتبات أوربا بمخطوطات الفارابي سواء المترجمة إلي العبرية أو غيرها .

كما امتد أثرها إلي الإسكولاتية والمسيحية وترجم قسط كبير منها إلي بعض اللغات الأوربية .

وقد كان لمؤلفات الفارابي وابن سينا أثرها في المؤلفات الفلسفية التي خلفها إبراهام بن داود الطليطلي (٥٠٣هـ/ ١١١٠م – ٥٧٥هـ/ ١١٨٠ م) الذي حاول أن يوفق بين كتب اليهود المقدسة وفلسفة أرسطو .

ولم يقدر لكتب الفارابي حظ الانتشار الواسع بالرغم من كثرتها مثلما كان لابن سينا ، ولعل ذلك راجع إلي أن أكثر مؤلفاته تقع في رقاع منثورة وكراريس متفرقة إلي جانب ذلك لم يترك من الكتب الطويلة والرسائل المفصلة إلاّ القليل الذي لا يلفت النظر ، ولعل ذلك يكون واضحاً إذا علمنا أن ابن سينا لم يكن يعلم أن للفارابي كتاباً يسمى أغراض ما بعد الطبيعة ، يشرح فيه غموض أرسطو في كتابه ما بعد الطبيعة والذي قرأه أكثر من أربعين مرة فما فهمه إلاّ بعد ذهابه لسوق الوارقين ببغداد وشرائه من دلال بثلاثة دراهم ، فيقول (وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوارقين (سوق الكتب) وبيد دلال مجلد ينادي عليه فعرضه علي فرددته رد متبرم معتقداً ألا فائدة من هذا العلم فقال لي اشتر هذا مني فإنه رخيص ابيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلي ثمنه فاشتريته فإذا هو كتاب أبي نصر الفارابي – في أغراض ما بعد الطبيعة ، ورجعت إلي بيتي وأسرعت قرائته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظاً عن ظهر قلب وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم

بشـــئ كـــثير عـــلى الفقراء شكرا لله تعالى ، وهذه القصة تدلنا أيضاً على مدى تعمق الفارابي في كتب أرسطو وفضل الفارابي على ابن سينا .

أسلوبه :

يمـــتاز اســـلوب الفـــارابي بالوضـــوح والجـــلاء إلي جانب ذلك فهو يجمع بين المـــتقابلات كمـــا جـــاء فـــي رســـالة في جواب مسائل سئل عنها ويعمم ويرتب ويؤلـــف بيـــن ارائـــه كمـــا يحـــلل ويركب ويفرغ ويركز ويصنف كل فن تحت مصـــنفه . وخيـــر دليـــل عـــلى ذلـــك أســـلوبه في رسالته المسماة ما ينبغي أن يقـــدم قـــبل تعـــلم الفلســـفة . فهـــي أشبه ما يكون بفهرس مقسم مبوب لعرض المدارس الفلسفية اليونانية مبيناً مصدر تسميتها وأسماء رؤسائها .

وفاته : ٣٩٣هـ

وإذا كـــان لكـــل بـــدء نهايـــة فإن نهايته كما يذكر معظم المؤرخين أن الفارابي قـــد توفـــي وفـــاة طـــبيعية بدمشق سنة ٣٩٣هـــ وأنه دفن بظاهر دمشق خارج الـــباب الصـــغير . وخـــالف فـــي ذلـــك البيهقي في كتابه تاريخ حكماء الإسلام فذكـــر أن بعـــض اللصـــوص قتـــلوه فـــي أثناء رحلته بن دمشق إلي عسقلان ولكـــن هـــذا الكـــلام مـــردود كمـــا أشـــار إلـــي ذلـــك الأستاذ المرحوم الشيخ مصـــطفى عـــبد الـــرازق فـــي كـــتابه فيلسوف العرب والمعلم الثاني قائلاً (إنه لـــو صـــحت حكايـــة قـــتل الفارابي لأشار إليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريـــباً مـــن زمـــنه كـــأبي الحسن علي المسعودي المتوفي سنة ٣٦٤هـــ / سنة ٩٥٧م عـــلى أنـــنا لاحظـــنا فـــي ترجمة البيهقي خلطاً تاريخياً يزعزع الثقة بها . وهـــذه الـــرواية تشـــبه أن يكـــون نقـــلاً لمـــا رواه المؤرخون عن مقتل أبي الطيـــب المتنـــبي الشـــاعر المشـــهور فـــي أثـــناء عودتـــه من بلاد فارس إلي العراق سنة ٣٥٤هـــ .

إلــي جــانب ذلــك فــإن البيهقي قد خلط أيضاً في رواية أخرى تتعلق بالفارابي وصلته بالصاحب بن عباد .

* ومــن هــذا يتــبين لــنا أن الفارابي توفي وفاة طبيعية وهو في جوار سيف الدولــة أثــناء حملــته عــلى دمشق وقد بلغ من العمر ثمانين عاماً وصلى عليه سـيف الدولــة فــي نفــر مــن خاصته عرفاناً بمكانته ، وبذلك انطوت صفحة الفارابي التاريخية وما زال تراثه عذباً يستقى منه كل أناس مشربهم .

(أ.هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى الموجودات الثوانى وكيفية الصدور

يقـول الفـارابى (ويفيـض مـن **الأول** وجـود الـثانى فهذا **الثانى** هـو أيضـا جوهرغيـر متجسـم اصـلاولاهو فى مادة فهـو يعقـل ذاتـه ، ويعقـل الأول وليـس ما يعقل مـن ذاته هـو شـىء غيـر ذاتـه فبما يعقل من الأول يلزم عنـه وجود **ثالث** وبمـا هـو مـتجوهر بذاتـه الـتى تخصـه يـلزم عنه وجودالسـماء الأولى والـثالث أيضـا وجـوده لافى مادة وهو بجوهـرة عقـل وهـو يعقـل ذاته ويعقل الأول فبما يتجوهر به مـن ذاتـه الـتى تخصـه يلزم عنه وجود **كـرة الكواكب الثابتة** وبمـا يعقلـه مـن الأول يـلزم عنه **وجود رابع** وهذا أيضـا وجـوده لافى مـادة فهـو يعقل ذاتـه ويعقل الأول فبما يـتجوهر بـه مـن ذاته التى تخصه يلزم عنه وجود **كرة زحل** وبمـا يعقلـه مـن الأول يلزم عنه وجود خامس **وهذا الخامس** أيضـا وجـوده لا فى مـادة فهـو يعقـل ذا ته ويعقل الأول فبما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كرة المشترى -

• وبمـــا يعقلـــه مـــن الأول يـــلزم عـــنه **وجود سادس** ·
وهـــذا أيضـــا وجـــوده لا فى مادة وهو يعقل ذاته ويعقل الأول
فـــبما يـــتجوهر بـــه مـــن ذاتـــه يلزم عنه وجـــود **كرة المريخ**
وبمـــا يعقلـــه مـــن الأول يـــلزم عـــنه **وجود سابع** وهذا أيضا
وجـــوده لا فـــــى مـــادة وهـــو يعقـــل ذاته ويعقل الأول فبما
يـــتجوهربه مـــن ذاتـــه يـــلزم عـــنه وجـــود **كرة الشمس** وبما
يعقـــل مـــن الأول يـــلزم عـــنه **وجود ثامن** وهو أيضا وجوده لا
فـــي مـــادة فـــبما يـــتجوهر بـــه من ذاته التى تخصه يلزم عنه
وجـــود **كرة الزهرة** وبمـــا يعقـــل مـــن الاول يلزم عنه **وجود
تاسع** - وهـــذا أيضـــا وجـــوده لا فى مـــادة فهـــو يعقـــل
ذاتـــــــه ويعقـــل الأول فـــبما يـــتجوهر بـــه من ذاته يلزم عنه
وجـــود **كرة عطارد** وبمـــا يعقـــل مـــن الأول يلزم عنه **وجود
عاشر** وهـــذ اأيضـــا وجـــوده لا فى ما دة فهو يعقل ذاته ويعقل
الأول فـــبما يـــتجوهـــر بـــه من ذاته يلزم عنه وجود كرة **القمر**
وعـــند كـــرة القمـــر ينتهى وجود الأجسام السماوية والتى هى
بطبيعتها تتحرك دورا ·

• في صفحات سابقة كنا قد عرضنا للوجهة اليونانية لتلك المسألة وما رأه أرسطو فيها وهناك يقتضينا المقام أن نبرز شيئاهاما يتعلق بتلك النظرية من حيث تسميتها فالفلاسفة ومن تابعهم يطلقون عليها اسم الصدور لاالخلق كما يقول أستاذنا الدكتور مزروعة ذلك لأن الخلق يثبت للخالق إرادة وقدرة وعلما وتصرفا في المخلوق وهم لايؤمنون بذلك وقد اختاروا لفظة الصدور لأنهم يؤمنون بأن العالم صدر عن الله تعالى كما تصدر الحرارة عن النار وكما تصدر الحرارة عن النار بلا إرادة أو قدرة أو تصرف حر من النار كذلك الأمر عندهم بالنسبة لصدور العالم تعالى عن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا ...

• إن نظرية العقول العشرة أساس اعتمد عليه الفارابى ليفسر به مشكلة الصلة بين الواحد والمتعدد ويوفق به من ناحية اخرى بين هيولى أرسطو الأزليه الأبدية والخلق الذى قال به الدين الاسلامى .

• وللمتكلمين رؤيتهم الخاصة بهم حيث يرون على الضد من الفلاسفة أن العالم لم يوجد من شيء لأن الله تعالى أوجده من عدم محض فالعالم ليس قديما فهو لم يكن وحين أراد الله ايجاده أوجده من عدم وذلك أمر طبيعي واضح . لأن العالم إذا كان من شيء فهذا الشيء إما أن يكون حادثا فينتقل السؤال إلى ذلك الشيء ويتسلسل الأمر وهو محال . وإما أن يكون ذلك الشيء الذي منه العالم قديما فيكون هناك قديمانفيكون إذن إلهان لاإله واحد وذلك محال لأن القدم من أخص صفات الإله والفارق بينهما واضح .

• كما يرى المتكلمون أيضا أن العالم لم يسبق بزمان ليس لأنه قديم كما يرى الفلاسفة ولكن لأن الزمان حادث بحدوث العالم فهو مرتبط بالعالم في وجوده فإن الزمان مرتبط بدورات الفلك من شمس وقمر وإذا كانت الأفلاك التى يقدر بها الزمان هي جزء من العالم فالزمان إذن مرتبط بوجود ذلك العالم وبالتالى لم يكن له وجود قبل خلق العالم وإذن فالعالم لم يكن مسبوقا بالزمان .

- كمـــا يـــرى المتكـــلمون أن الله تعـــالى خلق العالم بعد أن لـــم يكـن وأوجـــده من عدم محض أوجده بإرادته وقدرتـــه عـــلى مقتضـــى عـــلمه وحكمته وأنه تعالى قـــدر فى الأزل وجـــود العـــالم فى زمانـــه ومكانـــه اللذين وجد فيهما وقدرصفاته التى يكون عليها
- وقد قامت الآيات العديدة فى كتاب ربنا عز وجل لتثبيت هذا الأمر فمنها قوله تعالى **(ماأصاب من مصيبه فى الأرض ولافى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير)**

(ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض مايكون من نجوى ثلاثة إلاهو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولاأكثر إلاهو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامه إن الله بكل شىء عليم)

- تـــلك رؤيـــة المتكـــلمين والـــتى ناهضوا بها الفلا سفة فى زعمهـــم أن العـــالم يوجـــد من مادة سابقة عليه لأنه لم يسبق بمـــادة وذلـــك لأنـــه كـــائن دائما فهو موجود أزلى قديم ومن ثـــم فهـــو غيـــر مسبوق بشى فلا يوجد من شى لأنه لم يتناهى .وقولهـــم إن العـــالم لـــم يـــتقدمه زمـــان لأنه دايم أيضا أزلى

فهـو لـم يـكن معدومـا قط وقولهم إن العالم قديم وأنه صدر عـنه تعـالى بالعـلة بمعـنى إن الله لـم يكن له إرادة ولاقدرة ولكنه صدر عنه طريق العالم أو التعقل ٠٠

*** ونسـتعرضا لان تـلك الـنظرية الـتى سـار فى ركابها كثير من الفلاسفة لنرى خلطهم المزيف فيها

- قسـم أرسـطو العـالم الى قسـمين عـالم السماء وعالم مادون فلك القمـر

(عـالم الأرض) والعلاقـة بيـنهما واسعة النطاق فالأول عالم الأطهـار ؛

والـثانى عـالم الأدنـاس (**الكون والفساد**) ومادتـه قديمة أزلية ٠

- حـاولت تـلك الـنظرية الـتقريب بيـن وجهة نظر الاسلام فى قوله بالخـلق وبيـن قـول الفلاسـفة بالصـدور أو بـالفيض كمـا حـاولت حـل مشـكلة الوحدة والتعددفى الذات الإلهيـة فـالواحد فى زعمهـم لايصدر عنه إلاواحد فمـن تعقل الله لذاتـه أو عـلمه بذاتـه ومـن حيث إنه مبدأ للخير والنظام صـدر عـنه موجـود هـو العقل الأول فالعلم هو القدرة التى تخلق كل شىء ويكفى أن يعلم الشىء لكى يوجد ٥ ٠

- وهذا العقل الذى صدر عنه له مهمتان أساسيتان

** الأولى :ـ أنه يتوجه بذاته نحو معقوله الأول ،

** الثانيه :ـ أنه يتوجه نحو ذاته الأقل شأنـــا

ومـن حيـث توجهـه نحو ذاته وهى أقل رتبه ينشأ عنه كوكـبا معيـنا وهـو فى ترتيـبها مـن الأول إلى العاشر ترتب بحسـب الأفضـلية ترتيـبا متناسـقا تـنازليا فالأول أفضل من الثانى والثانى أفضل من الثالث ٠٠٠٠٠٠٠٠٠)

وكـذا السـماء الأولى أفضـل مـن الكرات الأخرى والتى تليها وتمـتاز هـذه العقـول بـأن وجودهـا لايكون فى مادة (فهى مبرأة عن المادة) تبعاً لما صدرت عنه .

ويلاحـظ أن العقـل الأول كـان ممكـنا قـبل وجوده ثم أصبح بعـد ذلـك واجـبا وهـذا أمـر اعتـبارى أما إمكانه فذلك قبل وجوده وأما وجوبه فذلك بعد وجوده بفعل الموجدالاول ٠

*** ويمكنـنا ان نجمـع جمـلة الأفـلاك الخاصة بالعقول

فى قول بعضهم ٠٠٠٠٠ **زحل شرى مريخه من شمسه**

فتزهرت لعطارد الأقمـــار

فهـذه الأفـلاك السـبعة مضـافا إليها السماء الأولى و كرة الثوابت ٠

فالاول (الذى صدر عنه كل ذلك مبرأ عن الكثرة) وأما مافاض عنه ففيه الكثرة الاعتبارية) ثم تنتهى تلك العقول إلى العقل الفعال أو الروح الأمين أوروح القدس كما يسمية الفارابى ٠

ويلاحظ أيضا أن انتقال العقل الأول إلى الثانى ٠٠٠٠٠ ألخ منزعة شوق الأدنى إلى الأعلى والعقل الأعلى يرفع الأدنى إليه ٠ والتدرج يتم بمؤثر هو فعل بطبيعته يعمل على نقل حالة من القوة الى حالة الفعل وهذا المؤثر هو العقل الفعال فهو بالنسبة إلى القوة كنسبة الشمس إلى العين فإن العين تبصر بالقوة مادامت فى ظلمه فإن حصل الضوء وحصلت صور المرئيات فى البصر صارت بصرا بالفعل ٠

- وهذا العقل هو حلقة الاتصال بين عقول الافلاك وعالم الحوادث وهو الذى يوجه العقول الأرضية التى ترقى إليه فهو يوجهها إلى المدركات ويوحى اليها ويشرف عليها بالمعقولات وإذا أشرف العقل الفعال على عقل حادث بجميع المعقولات يكون قد بلغ به الى أرقى درجة من الحكمة وفيه من المحازير البالغة من مساواة صاحب العقول المتخلية القوية مع النبى فى تلقى الوحى من هذا العقل الفعال ٠

آثار تلك النظريه

* عمت تلك النظرية أرجاء الارض من خلال أنصارها فقد كان لها اثر كبير فى القرون الوسطى فأخذ بها أبن سيناء وزادها وضوحا وتأثر بها أبن رشد برغم تمسكه بارسطو وكاد أبن ميمون الفليسوف اليهودى أن يرددها حرفيا وعند المسيحين كانت فى مقدمه المشاكل الفلسفية لانها كانت تدور حول نظرية المعرفة وتتصل كل الاتصال بخلود النفس ٠

وقد نشأ عنها اتجاهات ومذاهب مختلفه ناصرت الفارابى وأبن سيناء أحيانا وناقضهما أحيانا أخرى وهى فى جملتها لاأساس لها إلا انها تلغى إرادة الله وقدرته فى إيجاد العالم وقد عرضنا من قبل لأهم مايمكن أن ينشأ عنها ٠

وهذا مادعا أبن خلدون لقوله (إن الذى ذهبوا إليه باطل بجميع وجوهه فأما أسنادهم الموجودات كلها إلى العقل الأول واكتفائهم به فى الترقى إلى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود أوسع نطاقا من ذلك ويخلق مالا تعلمون ٠

وقد اعتمد الفارابى وابن سينا من بعده فى اعتماد هذه النظرية على التراث اليونانى •

[illegible] والذى حاول من خلاله التوفيق بين الرؤية اليونانية والرؤية الاسلامية وهذا اجحاف وهو تلفيق وليس بتوفيق •

* أما عالم الكون والفساد فله مقام أخر فهو يرتقى بأصحابه من تدرج النفس الناطقة من القوة إلى الفعل (الملكة) إلى درجة المستفاد عندئذ يصبح أهلا لتلقى إشراقات العقول المفارقة وهذا لايتيسر إلا لفئة هم أصحاب النفوس الخالدة ويصبح أربابها فى غنى عن المادة قادرين على الاتصال بالعقل الفعال فتصبح تلك النفوس إلهيه بعد إن كانت مادية •

المذهب الواقعي في انجلترا

فرنسيس بيكون

(١٥٦١م - ١٦٢٦م)

١٥٦١ - ١٦٢٦م

عصره

نشأ بيكون فى البيئة الإنجليزية . والتى شهدت أنذاك أزهى عصورها الزاهرة . فى القرن السـادس عشر فقد كان لاكتشاف أمريكا صدى واسعا فى تحويل مجرى التجارة من البحر الأبيض إلى المحيط الأطلسى فارتفع نصيب انجلترا وصديقاتها المحيطة بها وانتعشت التجارة بها كما كانت لدى ايطاليـا من قبل ومن ثم انتقلت النهضة بكافة نواحيها الى انجلترا خاصة بعد أن أفلت قوة منافستها الاسـبانية سنه ١٥٨٨م وبدأ الانحصار يتضح أمامها فبدأ ملاحوها يطوفون حول الأرض روادا كاشفين نـاهيك عن الرقى الأدبى وظهور شعراء وأدباء مشهورين كشكسبير ، ومارلو ، وبن جونسون ، وسينسـر ..... الخ [١]

فى هذا العصر الذهبى . ولد فرنسيس بيكون – وقد تهيأت انجلترا وصديقاتـها بالانتعـاش وتركـز اهتمامها على الابداع الفلسفى وانجاز إعمال فلسفية ومنهجية نذكر منها :-

١- وضع منهج جديد للبحث الفلسفى يحل محل المنهج المدرسى القياسى وكان تـاثير مـن يتلـون ودكارت عظيما جدا فى هذة الناحية .

٢- فى هذه الفترة أيضا تم وضع مذاهب هامة عند هوبز وديكارت وسينوزا وليبنتز وكان لها تأثير على الفكر إلى عصرنا هذا .[٢]

---

(١) راجع قصة الفلسفة الحديثة ص ٣٦ .

(٢) الفلسفة الحديثة . محمد على أبو ريان ٣٨ .

حياة بيكون :-

١- مولده

ولد بيكون في لندن سنة ١٥٦١م في الثاني والعشرين من شهر يناير من أسرة كريمة مجيدة فقد كان والده السير نقولا بيكون متربعا في منصب عال من مناصب الدولة فقد كان حاملا للختم الأكبر في خدمة ملكة انجلترا اليزابيث . وأما والدته فقد ذكر ماكولي الكاتب الانجليزي المعروف عنها انها سليلة بيت عريق حصلت من العلم وأصول الدين قدرا محمودا فأخذت ترضع ابنها من رحيق علمها الواسع ولم تدخر جهدا في تنشئته وتكوينه منذ نعومة أظفاره لتخرج منه رجلا قويا . [1]

ثانيا :- تعليمه

تدرج بيكون في تعليمة حتى وصل إلى المرحلة الجامعية فالتحق بجامعة كمبردج في الثالثة عشرة من عمره عام ١٥٧٣م وخرج منها بعد ثلاث سنين دون أن يحصل على إجازة علمية ولعل ذلك قد يكون راجعا لعزوفه عما كان يدرس من علوم ومذهب أرسطو والمدرسين ثم رحل إلى فرنسا ونال منصبا رفيعا في السفارة الإنجليزية بباريس وتوفي أبوه ١٥٧٩م فعاد إلى وطنه . ولم ينل من ميراثه الا شيئا ضئيلا ذلك لأنه لم يكن الأبن الأكبر لأبيه وتلك كانت عادة للانجليز وقتئذ ثم تحول إلى دراسة القانون أي من الفلسفة إلى القانون وبرز فيه حتى تخرج محاميا سنه ١٥٨٢م ثم اشتغل بالحياة السياسية فانتخب عضوا بمجلس النواب كان ذلك بعد سنتين من تخرجه بما يدل على ذكائه وقدرته في استجلاب المناصب . فقد كان خطيبا مفوها فأثار الاعجاب في المجلس النيابي ببراعته الخطابية فاسترعته الملكة (اليزبيث) وعينته مستشارا فوق العادة للتاج فأخلص كل الإخلاص في خدمتها ملتزما بمبادئ الحق والعدالة والأخلاق كمستشار لها يحاول مرضاتها . حتى دفعة ذلك للغدر برجل أحسن إليه ووهبه أرضا هو الكونت إسكس إذ تغيرت عليه الملكة واتهم بالتآمر عليها فترافع بيكون

---

[1] راجع قصة الفلسفة الحديثة ص ٣٧ .

ضده طالبا توقيع الحكم الصادر عليه [1] ولما آل العرش إلى جـــاك الأول اصطنـــع بيكـــون الملـــق والدسيسة ومالأ الملك في استبداده وقضاء مصالحة ومصالح الأسرة المالكة فبلـــغ أقصـــى وأرقـــى المناصب القضائية ولما كان الملك يتسم بمثل هذه الصفات فإنه سرعان ما انقلب على بيكـــون بعـــد اتهامه من مجلس النواب بالرشوة والاختلاس واحسن بيكون أن ذلك يتبرير من الملك وانه كان كبش الفداء في هذه التهم ومن هنا كان العقاب صار ما عليه حيث أبعد عن المناصب العامة وآثر اعـــتزال الحياة السياسية معتكفا على الدراسة في داره خمس سنوات للدراسة والبحث . [2]وكان بيكون في سنه ١٦٢١م قد اتهم بالرشوة كما علمنا فاعترف بما فعله فحكم عليه بغرامة قدرها أربعون الـــف جنيـــه وبحرمانه من المناصب العامة وولاياتها ومن عضوية البرلمان ومن الإ قامة بالقرب مـــن البـــلاط ، وبفضل رعاية الملك لم يقض في السجن سوى بضعة أيام ولم يؤد الغرامة ولكنه حاول عابثا استرداد الاعتبار ولكن هيهات فكان انكبابه على العلم التجريب ليعلو نجمه من جديد إنه حقا شخصية متناقضة

*عكف يكون على دراسة ووضع أساس المذهب التجريبي وقد حدث في شهر مـــارس مـــن سـنـه ١٦٢٦م أنه كان مسافرا من لندن إلى احدى المدن القريبة فأخذ يفكر تفكيرا عميقا في امكـــان حفـــظ اللحم من التعفن بتغطيقه بالثلج وأراد أن يجرب بنفسه فنزل من عربتة الى كوخ صادفه فـــي بعـــض الطريق وابتاع منه دجاجة ذبحها وملأها بقطع الثلج ليرى كم تعيش محفوظة دون ان يصيبها العفـــن وبينما هو لذلك إذا داهمه مرض مفاجئ (عجزه عن العودة لندن فنقل إلـــى مـــنزل مجـــاور لأحـــد الأثرياء حيث كانت النهاية ورقدة الموت وقد كتب على سرير الموت أخر ما خطه قلمه إنني أضـــع

---

[1] جمع أسكس جيشاجرارا ضد الملكة وساربه الى لندن وحاول اشعال نار الثورة بين الناس وهنا خاصة بيكون وقبض عليه للمرة الثانية ولم يتردد بيكون بالمطالبة بالحكم عليه باقصى العقوبات حتى حكم عليه بالموت . ومن هنا كان قول الشاعر الانجليزي بوب (عن بيكون . إنه أعظم وأحكم وأحسن إنسان بين البشر)

[2] راجع تاريخ الفلسفة الحديثة / يوسف كرم . ص ٤٤ ، ٤٥ ط دار المعارف ١٩٨٦م

روحى بين يدى الله وليد فن جسدى فى طن الخفاء وأما اسمى فإنى باعث به إلى العصـــور المقبلـــة وإلى سائر الأمم) [١]

وتوفى سنه ١٦٢٦م وهو فى الخامسة والستين من عمره . وهاهى الأجيال من بعده تبدأ مـــن حيــث انتهى بيكون فى المجال التجريبى .

وقفة مع شخصية فرنسيس بيكون

من خلال ما سبق بيانه عن بيكون ومولده وعصره وحياته الفكرية والسياسية نراه قد تضاربت فيــه الاراء وربما كان ذلك راجعا لما امتاز به من شخصية يحويها الغرور والتلون والانتهازية

فهو فى نظر البعض (اقدر عقلية انجبتها العصور الحديثة ومصنفاته اعظم انتاج للفكر الإنسانى منـذ عصر ارسطو وفلسفته قد حركت العقول التى حركت العالم بينما فــى نظــر الشــاعر الانجلــيزى الكسندريوب أحكم وأحسن إنسان بين البشر) وقد عرضنا ا لما بينه وبين صديقه اسكس والذى تفانى فى المطالبة بمقاصنته بأقصى العقوبات حتى حكم عليه بالموت ولكن برتداند رســل يلتمــس العــذر للرجل حيث يقول – إن بيكون قـ عمل مع اسكس حين كان إسكس مخلصا ولكنه تخلى عنـــه حيــن كان استمرار الولاء له معناه الخيانة وليس فى هذا شئ يمكن أن يدينه حتى من أشــد أخلاقــى هــذا العصر) [٢]

وكانت لحياته السياسية أثرها البارز على الرجل فقد خان وغش ودلس وليس فــى الأمــر عيبــا أو حكما على كل من ولى منصبا ما فقليل ماهم من يثبتون أمام تيار الاغراء المالى والترقى السياســـى والنفس بطبعها تريد العلو ومن هنا صح ما نسب إلى الامام الشيخ محمد عبده قوله لعن الله السياسـية وساس ويسوس وما تصرف منها " ولكن كما قلت إن القله هى التى تثبـــت أمـــام زخـــرف المجــد والسلطان وهؤلاء فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله . فقد كان بيكون محافظا جامدا وليس ذلك بعجيــب من رجل يطمح إلى مناصب الحكم .

---

(١) راجع قصة الفلسفة الحديثة (٣٩) .

(٢) دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٣٨ .

وأما الغرور فقد اعتبر نفسه داعيا لعلم جديد يزيد فى سلطان الانسان على الطبيعة والحق أنه نـــافذة إلى ماهية العلم الاستقرائى .

*وقد كان يتكلم بلسانين أحدهما مع الحكماء والثانى كما يرى مع الحمقى . فيقـــول " فـــى الفلســفة نتحادث مع الحكماء اما فى اغمالنا فنتعامل مع الحمقى " [١] ولكنه باء بالفشل فى حياته السياسية فلــم يحد من النهاية بدمن العودة للفلسفة والبحث والتجريب والتى خلد من خلالها اسمه كما ذكر على مر العصور .

كما كان بيكون داعيا للحرب ولا يميل للسلم ومن هنا كان سبه لتقدم الصناعات لأنها تبعـــث علـــى الاستقرار والذى تتنافى فى معه دواعى الحرب والذى يحيه ويحيذه فالسلام فى راية يقتـــل الشـــهامة والشجاعة فى الرجال [٢] ومع هذا فهو متناقض مع نفسه حينما يتكلم فى مدينة الفاضلة عن الحـــرب والسلم فهو فيها يكره الحرب ويحب المسلم ومن هنا فلا رأى له . فهو مذبذب ولعل ذلك راجع لأنـــه رجل مصانع ومدلس يلقى هذا بوجه وذاك بوجه أخره فهو صاحب مصلحته انى وجدت ومن هنا فقد اتهم بيكون من جانب معاصرية ومع ذلك فقد رد عليهم يقوله (إن القليل من الفلسفة يميـــل بعقـــل الإنسان إلى الإلحاد ولكن التعمق فيها ينتهى بعقول الناس إلى الايمان وإذا ما صادف عقـــل الإنســـان اسبابا ثانوية مبعثرة فقد يقف أحيانا عندها ولايتابع السير إلى ما وراءهـــا ولكنـــه إذا اتعـــم النظـــر فشهدسلسله الأسباب كيف تتصل حلقاتها فإنه لايجد بدا من الارتماءفى احضان العناية الالهية والتسليم بالله) [١]

ومن هنا فقد جعل الفلسفة مطيته للوصول إلى الخالق وهو واثق فيما يعينه من الاعتماد على العقـــل دون الوحى والاسهام فى التعرف على الدين ولعل هذا منه كان نبذا لما كان من الاحبـــار والرهبـــان الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا. ومع اعترافنا بعجز العقل عن الوصول كليه إلى الله خاصـــة فيمـــا وراء الحجب فاننا نرى أن الرحل يعترف بوجود الاله ويسلم به.

---

[١] دراسات فى الفلسفة الحديثة ٣٨ .

[٢] قصة الفلسفة الحديثة - ص ٤٣ .

(١)) المرجع السابق ص ٤٣ .

مؤلفاته

بلغت مصنفات بيكون أكثر من عشرين مصنفا تناول فيها جميع جوانب الادب والعلوم والفنون تقريبا

وله مقالات عديدة فى شئ الفنون بلغت فى الروعة والاسلوب مبلغاً راقيا ولبيكون نهجه الخاص فى قراءة اكتب وتذوقها حيث يقول (بعض الكتب ينبغى أن يذاق وبعضها يجب أن يـزدرد وبعضها القليل خليق أن يمضغ ويهضم)(٢)

ولقد كانت مقالاته بغير شك من هذا القليل النادر ، من أهم كتبه :-

١-فى تقدم العلم ١٦٠٥م وضع باللغة الانجليزية .

٢-الأورغانون الجديد أو العلامات الصادقه لتأويل الطبيعة نشره عام ١٦٢٠ . ويطلق عليه الاورجانون الجديد (أو المنطق الجديد وهو كتاب فى المنهج الا ستقرائى عارض فيه منطق أرسطو).

٣-أطلنتس الجديدة وهو كتاب فى السياسة المثلى على نسق المدن الفاضلة الخيالية (يوتوبيا) وفيها يقترح أن يمنح المزارعون ملكية أرضهم ثم يقوم على رأسهم ارسقتراطية تدير أمرهم ......)

٤-كتاب أحكام القانون .

هذا وقد وضع بيكون اهدافا عامة نصب عينه واراد تطبيقها . للنهوض بمجتمعه وهى على النحو التالى :-

---

(٢) راجع مؤلفات فرنسيس بيكون من خلال المراجع الأتية :-

١- قصة الفلسفة الحديثة . ص ٤٢ ، ٤٣ .

٢- تاريخ الفلسفة الحديثة . ص ٤٥ ، ٤٦ .

٣- دراسات فى الفلسفة الحديثة . ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

٤- الفلسفة الحديثة . ص ١١ ، ١٢ .

نقول اراد يكون أن يضع خطة جديدة يخلص بها العقل من ادارته ومن سياته السابق ليفيق أمام العلـم الشجرينى . فعمد إلى وضع اساسيات جديدة فى مذهبه أو فى بحثه فها .

أولا :- الكشف عن أسباب توفق العلم وجموده منذ عصر اليونان .

ثانيا :- وضع تصينف جديد للعلوم وتحديد مجالات عملها .

ثالثا :- وضع منهج جديد لتفسير الطبيعة .

رابعا :- الاهتمام بالعلوم الطبيعية الحقيقية والبحث فى جزئيتهاوظواهرهافقد كان السابقون قبله مـن فلاسفة العصور الوسطى . يبداون بالملاحظة ثم يقفزون من الجزئيات وملاحظتها إلى الاحكام الكليـة (التعميم) غير محتاطين لما يعممون ودون استقراء أكبر عدد من العناصر ومن هنا كانت وصيتـه بالاناه الغير للباحثين . حتى لا يقعوا فى هذه المشكلة .

خامسا :- الإشارة إلى جملة الابتكارات والاكتشافات التى سيكون لها صدى فى المسـتقبل العلمـى فالعلم قوة تدفع نحو الابتكار والإبداع .

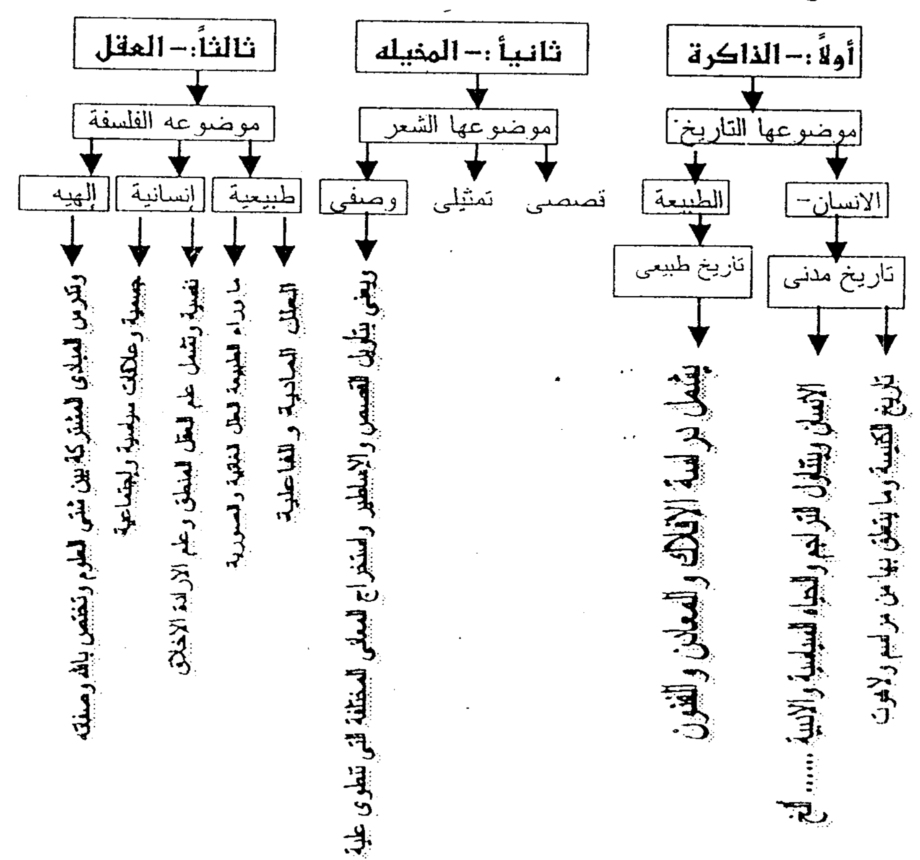
سادسا :- رسم صورة لمدينة العلم الفاضلة وهذا ما كان من كتابه اطلنتس الجديدة[١]

ورغم جهد بيكون فى اتمام خطته الا إنها لم يتم لها النجاح إلا فى جوانب ثلاثه هى فى قيمة العلـوم والارجانون الجديد والمدينة المثالية والتى حذى فيها حذو سابقية وان اختلف عنهم بعض الشئ .

تصنيف بيكون للعلوم

إن الباحثين فى أى فن يفيدون من التصنيفات التى يضعها ارباب الصناعات فى فنونهم وقد كان هدف بيكون من تصيفاته الاخذ بيد إنسان المستقبل نحو النهوض العلمى وبالاخص فى العلوم التى ستجد فيما بعد – ويمكننا أن تشير إلى مصنفاته من خلال ما يلى :-

أولاً :- رتب بيكون العلوم خسب القوى المدركة (الذاتية) فى الإنسان وهى عنده تتمثل فى ثلاثه أنواع



ويلاحظ على تصنيف بيكون أنه تصنيف ذاتى وإن كان سبق إليه من غيره وتعرض للنقد من قبل معاصريه فالعلم الواحد قد يحتاج لأكثر من وسيله للادراك .

كما يشيد بيكون بقوى الإنسان ويجعل كلا من التاريخ والشعر والفلسفه موضوعات لقوى الادراك النفسية وهى مراحل متتالية يمر بها الفكر الإنسانى فى تكوينه للعلوم ولكن منها فائدة تعمل على خدمة العقل الذى مر فعلا بهذه المراحل . وقد قام القدماء بترتيب لهذه العلوم وأن للمحدثين أن يصلوا إلى عملية التركيب العقلى ليصلوا إلى المعرفة العلمية الحقيقية .

المنطق الجديد (أو المنهج الجديد عند بيكون)

* لما كان موضوع العقل هو الفلسفة فإنها ليست جديرة بالرقى بالإنسان لما يحوطها من شوائب الجاهلية ورواسب التقليد ومن هنا فهى عاجزة عن الأخذ بيد الانسان نحو التقدم العلمى الذى يكشف من خلاله عن قوانين الطبيعة ومن هنا فلابد من مراعاة أمرين أحدهما :-

ذاتى :- ويعمل على التخلص من تلك الأوهام والاخطاء الباطلة التى تحول دون سلامة الفكر والتى انحدرت إليه من الامم السابقة .

ثانيهما :- موضوعى ويتمثل فى قيام الفلسفة على أساس من العلم وتستمد من نتائجه القائمة على الملاحظة والتجربة ، فيجب على العالم الطبيعى إذن احترام الواقع إلى جانب الذهن فى تخطيطه للطبيعة وهذا يتأتى من خلال استخدام الاستقراء الحقيقى الذى يعتمد على الصبر والتأنى وبه يتوقف الاصلاح المنشود للعلوم .

وعن هاتين الطريقتين يقول بيكون

(ينبغى ألا نمد العقل بالأجنحة بل يجب أن نثقله بالأغلال حتى نحـــول بينــه وبيــن القفــز والطيران) [١]

فهو يخلص العقل من أوهام القرون الوسطى ومن سار على دريهاثم يفـــرض علــى العقــل الانحلال والقيود التى تسمح بصدور أحكام متأنية صحيحة وسليمة منه يكـــون ملـــها الفــائدة وتحقيق الأمن والسعادة .

ونشير الآن إلى المنهج الذاتى ويتمثل فى القضاء على الاوهام والتى حصرهـــا فـــى أربعـــة وهى على النحو التالى أوهام الجنس – أوهام الكهف – أوهام السوق – اوهام المسرح

أولا أوهام الجنس -أو أوهام القبيلة

ويقصد بها تلك الأخطاء التى غرست فى طبائع البشر بصفة عامة رغم ما بين النــــاس مـــن فوارق هائلة مثل اعتقادهم فى نفح النذور وثقتهم بنفعها ٠والانسان بطبعة ميـــال للتعميـــم دون تعرضة للحالات الأخرى عند غيرة من بنى جنسية ومن أمثله هذه الاوهام أيضا – ان يفـوض العقل البشرى فى الأشياء درجة من النظام والاطراد اعظم مما هى عليه فى الواقـــع – مثـــال ذلك أن الإنسان لايكاد يرى الكواكب تعود مبتدأ سيرها من حيث إنتـــهت حتـــى يفـــرض أن أفلاكها دوائر كاملة . وأنها تسير سيرا منتظما . [٢]..... الخ فأما نـــى النـــاس تتحكـــم فـــى احكامهم ٠ومن هنا صدق الناس السحر والتنجيم والاساطير .... الخ .

ثانيا :- أوهام الكهف

لكل فرد كهف أو مغارة خاصة به دون غيره يعمل على كسر أضواء الطبيعة والتغيـــير مـــن لونها وليس هذا إلاليبرز شخصيته التى تكونها الطبيعة والبيئة والتغذية والتربية و .... الـخ . ومن هنا فاختلاف هذه الامور أدى لاختلاف النزعات والميول والعواطف فلكل انسان نزعاتـــه وأخطاؤه الخاصة . ومن هنا .

---

[١] أعلام الفلسفة الحديثة دار فتى زاهر – ص ١٧

(٢) قصة الفلسفة الحديثة ص ٤٤ .

(٢٣)

نجد بعض الناس بميلون الى التحليل وملاحظة أوجه الاختلاف والاتفاق بين الأشياء وأخـرون لايعبأون بذلك ولذا نجد الشعراء يختلفون عن الفلاسفة فى مشربهم ومن أمثلتـها – أن يعتقـد الرجل (شخص ما) أن اباه افضل رجل فى الدنيا أو أن أمه اصلح سيدة فى العالم وقد تمـر به أزمة عاطفية خاصة فيستنبكر الحب ويكره جميع النساء . [1]

ثالثاً :- أوهام السوق :-

فهى التى تنشأ من التجارة واجتماع الناس بعضهم مع البعض ولكـل حديـث خـاص ولغـة يتحدثون بها ومن هنا قد تحتلط الالفاظ وتضيع اللغةالاصلية بين هذه المجامع ومن هنا ينشـأ تعطيل للعقل لفقد الالفاظ دلالتها الحقيقية ومن هنا قد يصفق الناس لخطيب مـاليس إعجابابـة وانما مشاركة وجدانية فقط فإذا خلا كل منهم إلى نفسه وجد الخطاب اهون مما يسـتحق لـه التصفيق ومن هنا استنكر صمويل بيكيت –و يوجين يونيسكوا وظيقة اللغة واقـاموا مكانـها فلسفة العبث أو اللامعقول[2]. فاللغة ليست مصدر الأخطاء وإنما استعمالها الخاطئ هو الـذى أدى باصاحبها إلى هذا الوهم الكبير والذى يجب التخلص منه .

رابعا :- أوهام المسرح ..

ويقصد بها الدنيا كمدرسة كبيرة أشبه بالمسرح الذى يستمع فيه النـاس ويشـاهدون صنوفـا متعددة من اشكال الحياة والتى يقلدونها ويؤمنون بها . دون نظراوفكر فالانظمة الفلسفية التـى يتلقاها كل جيل عن اسلافه ليست الاروايات مسرحية تمثل اكوانا خلقها الفلاسفة بفكرهم خلقـا كما يخلق الروائى اشخاص روايته وحوادثها [3] كما هو الحال فى مثل أفلطون ومن هنا فقـد يفتن الناس فى كل زمان بمشاهير الرجال ومثال ذلك ما قرره جـاليلو فيمـا يخـص قـانون الجاذبية إنه لو قذف من مكان عالى بحجرين زنة إحداهما رطل وزنة الاخر عشرة أرطـال

---

(١) اعلام الفلسفة الحديثة ص ٧ .

(٢) اعلام الفلسفة الحديثة ص ٧ .

(٣) اعلام الفلسفة الحديثة صـ ١٨ .

لوصل كلاهما الى الارض فى وقت واحد ورغم نجاح هذا الامـــر إلا أن الكنيســة رفضتــة وكذبه من أفتتن بأرستو والذى قرر أن الحجر الذى زنته عشرة أرطال يصل إلى الارض فــى عشر الوقت الذى يصل فية حجر زنه رطل واحد ، وهكذا يضل العقل ويزيـــغ فــى أوهــام السابقين بغير علم وليس إلا اجحاف ومكابرة .

اهتمام الفلاسفة التجريبيين

بالاستقراء

" مشكله المنهج "

يرجع اهتمام بيكون ومن سار فى ركابة بالاستقراء إلى قصور القياس الصورى القديم عـــن تحقيق الغاية من الاستدلال فى كل صورة وهى كسب معرفه جديدة لأن مقدماته ليست علـــى الدوام يقينة .

فقد تكون ظنية (فى الاستدلال الجدلى) اوكاذية فى الاستدلال (السو فسطائى) فلا فائدة لــها فى الواقع المحسوس لأن العبره فيه مرتبطة بمقدماته الصادقة أو الكاذبـــة . فنتائجـــة مقيـــده لارتباطها بالمقدمات ولا يعطى معرفة جديدة ومن ثم لا تكون لها قيمة فـــى حياتنـــا . لانـــها ليست جديدة بالنسبة للباحث .

من أجل هذا كان العقم سببا فى ظلام فكر العصر المدرسى المرتبط بالقيـــاس الصـــورى إذا الاصل فى التفكير العلمى أنه أداة لكسب معرفة جديدة عن طريق الانتقال مـــن معلـــوم إلـــى مجهول وفق قواعد معينه حددها منهج علمى وقد عجز القياس عن هذا الأمر ومن هنـــا قيـــل إنه استدلال هابط . أما الاستقراء فهوا ستدلال صاعد يبدأ بالجزئيات وملاحظتها ثـــم إصـــدار قانون عام لها فالقياس انتقال من حكم كلى أى حكم جزئى والاستقراء انتقال من جزئيات إلـــى

حكم عام ومن هذا فنتائج القياس أحص من مقدماته بينما هي في الاستقراء أعم منها [١]
وكانت الكنيسة في العصور المظلمة قد اعتمدت القياس الصوري (منطق ارسطو) وحمل لواء هذا الأمر القديس الفيلسوف (توما الاكويني) [٢] وقد عارضت الكنيسة هذا المنطق في البداية ولكنها سرعان ما آمنت به واعتمدته واعتنقه الكاثو ليك كدين إلى جانب ما يدينون به بل أنهم اثبتوا له القداسة والاحترام واعلنوا ان من خالفه فقد خالف الدين . وقد خالف الا ناجيل لدرجة أنهم اتهموا بالكفر والالحاد كل من يخرج على كلام أرسطو ونظرياتة وحكموا عليه بالموت بأبشع الطرق [١] وقد مضى ما كان من أمر عالم الفلك جاليلو والحكم عليه بالموت لمخالفته لاراء ارسطو الإلهي عندهم . وقد تعرض هذا لحملة من النقد قديما وحديثا [٢]

واليك أيها القارئ العزيز بعض الفروق بين المنطق الصوري عند ارسطو والمنهج الاستقرائي .

---

(٢) راجع أسر الفلسفة توفيق الطويل - صـ١٥٤ وما بعدها .

(٢) راجع المنطق الصوري د / رفقي زاهر صـ٦٦

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوي صـ١٩٤ .

(٢) راجع جهود والمفكرين المسلمين في الرد على منطق اليونان صـ٢٤ وما بعدها .

-أيضا راجع الرد على المنطقيين - ١١٠ وما بعدها .

ايضا راجع المنطق الصوري رد على سامي النشار ص٣٠ وما بعدها ط دار المعارف ١٩٦٦م .

(٣٦)

ويمكننا أن تشير إلى بعض الفروق بين القياس والاستقراء من خلال ما يلى :-

القياس	الاستقراء
قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول أخر.	تصفح الجزيئات لإثبات حكم كلى
استدلال هابط	استدلال صاعد
يقتضى الصعود قبل القيام بالهبوط اى انه يبدأ بالكليات إلى الجزيئات	يرتقى من الجزئيات إلى الكليات
* يهتم بصورة الفكر وشكله دون مادته نتائجة أخص من مقدماته	يعنى بالناحية الموضوعية للاشياء نتائجه اعم من مقدماته
معيار الصدق والكذب فية متوقف على نتائجة واتساقها مع مقدماته	معيار الصدق والكذب فية تطايق نتائجه مع الواقع المحسوس .
* مطلق فى احكامه وهى ثابته	* نتائجة ظنية تتوقف على أخر ما توصل إلية الباحث
* نتائجة معروفه من خلال مقدماته	* يعطى نتائج جديدة من خلال البحث والاستقراء
ينتقل من المعلوم ليصل إلى المجهول	ينتقل من المجهول ليصل إلى المعلوم ينقسم إلى قسمين تام – ناقص
ينقسم القياس الى استثنائى وأقترانى	ليسمى الاسقراء الناقص بالتوسعى او التعميمى ويسمى استقراء علميا لانه ينتقل من الظواهر الى القوانين
* يعتمد على العقل فقط	يعتمد على العقل مع التجريب.

والاستقراء بداية (فحص مجموعة من الظواهر الحسية ابتغاء الكشف عن عللها او معلولاتـــها عن طريق وضعها وتقرير حالتها وفقا للواقع المحس وقوام هذا هـــو الملاحظـــة او التجربـــة المقصوده)[١] ويطلق على المنهج التجريبى كثيرا اسم المنهج الاستقرائي وذلك علـــى اعتبـــار على إعتبار أن الخبرة الحسية هى المنطلق الاول فى البحث لآن فهم الظاهرة يفـــرض علـــى العالم أن يقترب من الواقع ويقوم بملاحظة الظاهرة بدقة ويقف علي تفصيل منـــها ويكشـــف جوانب التشابة والاختلاف فيها......)[١]

بعد هذه الاطلالة على اوجه الاختلاف بين المنطق الصورى والاستقراء التجريبى.يمكننـــا أن تشير الى حقيقة هامة وهى اى كلا الامرين لاغناء لاحدهما عن الاخرفانه لايمكن غالبا تتبـــع جميع افراد الظاهرة موضوع البحث فى الاستقراء ومن ثم نحكم على ما غـــاب منـــها بمـــا وصلنا إليه من نتائج فيما امكن حضورة من افراد الموضوع وذلك بواسطة القياس-

فمثلا لو لم يكن فى الامكان الا اختيار الحديد والذهب والنحاس للحكم على المعدن بأنة يمتـــدد بالحرارة أم لا فحدثت ظاهرة التمدد فى هذه المواد فقط ثم اريد لهذا الحكم ان يكون عاما فـــى جميع افراد المعدن لايكون ذلك الا بالقياس مالم يستقرىء معادن أخرى ومن هنا فـــان لكـــل منها مجاله الخاص فالاستقراء يخدم العلوم الطبيعية التجريبية و القياس يخدم الناحية العقليـــة ومما سبق يتبين لنا أن كل قياس يستدعى استقراء سابقا وكل استقراء يحتاج الى القياس فـــى مرحلة التحقيق من صدق المقدمات العامة او الفروض التى ينتهى اليها)[٢]

واذا كان بيكون قددعا الى سلب العقل عن الاوهام الباطلة وهو الجانب الذاتى فإنه قـــد دعـــا ايضا إلى جانب موضوعي ايجابى نتحدث عنه فى الصفحات التالية إن شاء الله تعالى .

---

[١] اسس الفلسفة ص ١٥٥

[١] فلسفة العلوم الطبيعية ص ٣٥ .

[٢] راجع التفصيل المنطق الحديث ومناهج البحث ص ٥٢ وما بعدها .

ثانياً - الاستقراء التجريبى

الجانب الايجابى

قلنا إن بيكون قد حرص على النهوض بالفكر او بالعقل الانسانى ومن هنا كان منهجة الذاتــــى فى القضاء على الاوهام بكل أشكالها السالفة الذكر . ومن هنا كان له اتجاه أخـــر اتســـم فيـــة بالهجود على القياس الأرسطى ورفض الصورية المطلقة التى اتسم بها الفكر المنطقى وهـــــذا ما جعله يتجه الى الطبيعة ملاحظا ومجربا فالموضوعات التى تكشف عن اتصالـــــها بـــالواقع التجريبى جديرة البحث العلمى وقد عارض منطق ارسطو الصورى فى كتابـــه الاروجـــانون الجديد .

ومن هنا كانت بدايته فى الشك فيما حوله لتطهير العقل من الادران والحجب وفى هذا يقـــــول لو بدأ الإنسان ببعض الحقائق فسينتهى به الامر إلى الشك ولكنه إذا بدأ السير بالشك فـــلا بـــد أن ينتهى بالحق واليقين . ..

ومن هذا المنطلق أكد بيكون فى الحاجة الى منهج قويم يعتمد على الملاحظة والتجربة وهـــــذا المنهج هو السبيل للأخرين للاعتماد عليه فهو بمثابة الشمعة التى تكشف لنـــا الطريـــق الـــذى علينا أن نسلكه حى النهاية .

ومن ثم فإنه من الضرورى ان نستعين بالتحليل لنقف على حقيقة الصور أو الطبائع البسيطه.

فالانسان حين يتجه إلى الطبيعة ليدرس ظواهرها . يرى أن هناك جزئيـــات لـــهذه الظواهـــر بمعنى أن الطبيعة تبدو له وكأنها متحققة فى صور شتى كذلك فإننا حين نلاحظ الظاهرة نجـــد أن هناك حالات تبدو فيها وحالات أخرى تغيب فيها وحتى تتكشف الصورة الحقيقية للظـــاهرة فإنه يتعين علينا أن نستخدم الاستقراء باعتباره المنهج القويم الدقيق لفهم الظـــاهرة (الصـــورة الحقيقية للأشياء) ذلك لأن الاستقراء يفصل الطبيعة عن طريق العمليات الصحيحـــة للرفـــض

والاستبعاد ثم ينتهى إلى النتيجة الإيجابية بعد أن يجمع عدداً كافيا من الحـــالات الســلبية [١]
وقد كانت الطريقة السالفة قبل بيكون تعتمد على التعداد البسيط للامثلة مثـــال ذلــك مــاوروه برتراندرسل حيث يورد مثالاً للعد البسيط فيقول ذهب موظف الإحصـــاء الســكانى لتسـجيل أسماء جميع سكان إحدى القرى وقد كان أول شخص سألة الموظف عن اســـمه مـــن ســكان القرية يدعى (وليام وليامز) وكذلك كان اسم الثانى والثالث والرابع وأخيراً قـــال الموظــف لنفسه هذا شيء ممل فالواضح أنهم كلهم يدعون (وليام وليامز) سأسجلهم على هـــذا النحـــو وأظهر بيوم عطله [١]ومن هنا كان الخطأ المرتقب فقد كان واحدا منهم يدعـــى جـــون جونـــز وتتلخص طريقة بيكون فى خطوتين

أولا :– جمع الامثلة بقدر المستطاع

ثانياً : تنظيم هذه الأمثلة وتبويبها وتحليلها وإبعاد ما يظهر منها أنه ليس له بالظاهر المبحوثه علاقة علة ومعلوم وصولا إلى صورة الظاهرة والكشف عنها أى عن قانونـــها وتقـــوم هـــذه الخطوة على النحو التالى :–

١–وضع قوائم للظواهر المشتركة فى صفة معينه هى موضوع البحث (قائمة الحضور)

٢–وضع قوائم للظواهر التى تفتقر (تخلو) إلى هذه الصفة (قائمة الغياب).

٣–وضع قوائم للظواهر التى تملك هذه الصفة بدرجات متفاوته (قائمة درجات المقارنة)[٢]

---

(١) راجع فلسفة العلوم الطبيعية - ص ١٠٣ .

(١)راجع تاريخ الفلسفة الغربية -جـ٣ - ص ٨٣ .

(٢) راجع دراسات فى الفلسفة الحديثة - ص ٥٣ وما بعدها .

راجع ايضا فلسفة العلوم الطبيعة ص ١٠٥ وما بعدها .

ومن هذه الطرق الثلاثة يصل إلى صورة الظاهرة والتى هى القانون الــذى نريــد الوصــول إليه.أو نتيجه البحث .

وقد بحث بيكون العلل الأربع المادية والصورية والفاعلية والغائية وقد كان فهم بيكــون للعلــة الصورية غير فهم أرسطولها وأفلاطون . فعند الأول تعرف بالمنطق وعند الثانى تندرج فــى عالم المثل ويتم التوصل إليها باستخدام الجدل الصاعد ومن هنــا كــان احتفاظــه بــالصورة باعتباره شائعاً ومألوفا وهى سبب ضرورى لوجود طبيعة بسيطة معينة .

وهذه الصورة عند بيكون والتى يريد الوصول اليها تمتاز بما يلى

١-إن الصورة لا تعنى فقط معرفة الطبيعة الجديدة التى توجد بالاقتران الثابت مــع الصفــة المعطاة حيث ليكلفى الاقتران فى الحضور وحدة بل لابد إلى جانب ذلك من العزل *

ثانياً :- إن الصورة ليست تصورا مجردا وانما هى خاصية فيزيائية أو طبيعية بمعنــى أن الصورة تظهر لنا فى قائمة الحضور ولا تظهر فى قائمة الغياب ، ويتضمن فهم بيكــون هنــا لطبيعة عمليات خفية سوف يستطلعها المرء وهو لذلك يستعين بالشواهد المميزة التى تســاعد الذهن فى التوصل لتفسير الطبيعة وفهمها ولتعيين الصورة التى تبحث عنها وبالتــالى يمكــن الاستدلال من الطبائع الملاحظة إلى غير الملاحظة وهو ما نجده فى مثال الحرارة ...

ثالثاً :- إن الصورة ليست وضعاً رياضياً فقد كــان بيكــون يعتقــد أن المكــان الحقيقــى للرياضيات ليس بين المبادئ الدنيا للسلم الاستقرائى التى تهتم بها بما هو عيانى بل إن مكانــها الحقيقى بين المبادئ العليا التى تهتم بالعموميات .*

رابعاً :- تعكس الصورة طبيعة الأشياء فى علاقتها بالعالم الطبيعى

خامساً :- ينظر بيكون إلى القانون على أنه الصورة ومن ثم فهو تفسير علمى لظاهرة مـــا أو عدد من الظواهر يكشف عن صورة تلك الظاهرة [٤]

بعد هذه المراحل والتى وقفنا فيها على معرفة الصورة وقانونها عند بيكـــون وخصائصـــها - يتبقى معنا هنا

منهج الحذف أو الاستبعاد

الأمر الأول يرى يكون أن منهج الاستقراء العلمى هو الذى يفصل طبيعة الأشياء بـــالرفض أو الاستبعاد الدقيق وهذا يتوقف على أمرين .

أولهما - ظهور حالة واحدة سالبة تخالف الملاحظات التى سبق التوصل اليها فلابد من رفـض القانون فظهور هذه الحالة يلغى مابنى عليه سالفا ولذا فهمنا نسبية فى العلوم . مـــهما كـــانت عدد الاسئلة [١]

ثانياً :- إثبات قانون ما أونظرية يكون باثبات كل القوانين المعارضة لــــه . فالقـــانون عنـــدة يعتبر تفسيراً للملاحظات والتجارب مستنداً إلى ان مبدأ العلية كلى .

الثانى :- ارتبط منهج الاستبعاد عند بيكون بالحتمية فكل حادثة فى الكون تتحدذ عن طريـــــق حادثه اخرى سابقة عليها

---

(٤) راجع الاستقراء والمنهج العلمى محمود فهمى زيدان ص ٦٩ ط مكتبه الجامعة العربية بيروت ١٩٦٦م

(١) راجع فلسفة العلوم الطبيعية . ص ١٠٦ ، ١٠٧

والاستبعاد ثم ينتهى إلى النتيجة الإيجابية بعد أن يجمع عددا كافيا من الحـــالات الســلبية [١]
وقد كانت الطريقة السالفة قبل بيكون تعتمد على التعداد البسيط للامثلة مثـــال ذلــك مـــاوروه
برتراندرسل حيث يورد مثالا للعد البسيط فيقول ذهب موظف الإحصـــاء الســكانى لتسـجيل
أسماء جميع سكان إحدى القرى وقد كان أول شخص سألة الموظف عن اســمه مــن ســكان
القرية يدعى (وليام وليامز) وكذلك كان اسم الثانى والثالث والرابع وأخيرا قـــال الموظــف
لنفسه هذا شيء ممل فالواضح أنهم كلهم يدعون (وليام وليامز) سأسجلهم على هـــذا النحــو
وأظهر بيوم عطله [١]ومن هنا كان الخطأ المرتقب فقد كان واحدا منهم يدعــى جــون جونــز
وتتلخص طريقة بيكون فى خطوتين

أولا :- جمع الامثلة بقدر المستطاع

ثانيا : تنظيم هذه الأمثلة وتبويبها وتحليلها وإبعاد ما يظهر منها أنه ليس له بالظاهر المبحوثه علاقة علة ومعلوم وصولا إلى صورة الظاهرة والكشف عنها أى عن قانونـــها وتقــوم هــذه الخطوة على النحو التالى :-

١-وضع قوائم للظواهر المشتركة فى صفة معينه هى موضوع البحث (قائمة الحضور)

٢-وضع قوائم للظواهر التى تفتقر (تخلو) إلى هذه الصفة (قائمة الغياب).

٣-وضع قوائم للظواهر التى تملك هذه الصفة بدرجات متفاوته (قائمة درجات المقارنة)[٢]

---

(١) راجع فلسفة العلوم الطبيعية - ص ١٠٣ .

(١)راجع تاريخ الفلسفة الغربية -جـ٣ - ص ٨٣ .

(٢) راجع دراسات فى الفلسفة الحديثة - ص ٥٣ وما بعدها .

راجع ايضا فلسفة العلوم الطبيعة ص ١٠٥ وما بعدها .

(٤٢)

ومن هذه الطرق الثلاثة يصل إلى صورة الظاهرة والتى هى القانون الذى نريد الوصول إليه.أو نتيجه البحث .

وقد بحث بيكون العلل الأربع المادية والصورية والفاعلية والغائية وقد كان فهم بيكون للعلة الصورية غير فهم أرسطولها وأفلاطون . فعند الأول تعرف بالمنطق وعند الثانى تندرج فى عالم المثل ويتم التوصل إليها باستخدام الجدل الصاعد ومن هنا كان احتفاظه بالصورة باعتباره شائعاً ومألوفا وهى سبب ضرورى لوجود طبيعة بسيطة معينة .

وهذه الصورة عند بيكون والتى يريد الوصول اليها تمتاز بما يلى

١-إن الصورة لا تعنى فقط معرفة الطبيعة الجديدة التى توجد بالاقتران الثابت مع الصفة المعطاة حيث ليكلفى الاقتران فى الحضور وحدة بل لابد إلى جانب ذلك من العزل *

ثانياً :- إن الصورة ليست تصورا مجردا وانما هى خاصية فيزيائية أو طبيعية بمعنى أن الصورة تظهر لنا فى قائمة الحضور ولا تظهر فى قائمة الغياب ، ويتضمن فهم بيكون هنا لطبيعية عمليات خفية سوف يستطلعها المرء وهو لذلك يستعين بالشواهد المميزة التى تساعد الذهن فى التوصل لتفسير الطبيعة وفهمها ولتعيين الصورة التى تبحث عنها وبالتالى يمكن الاستدلال من الطبائع الملاحظة إلى غير الملاحظة وهو ما نجده فى مثال الحرارة ...

ثالثاً :- إن الصورة ليست وضعاً رياضياً فقد كان بيكون يعتقد أن المكان الحقيقى للرياضيات ليس بين المبادئ الدنيا للسلم الاستقرائى التى تهتم بها بما هو عيانى بل إن مكانها الحقيقى بين المبادئ العليا التى تهتم بالعموميات .*

رابعاً :- تعكس الصورة طبيعة الأشياء فى علاقتها بالعالم الطبيعى

منهجه فى الميزان

أولاً – تغافل بيكون عن وضع خطة أو خطوة ضرورية في المنـــهج العلمـــى القـــائم علـــى الملاحظة والتجريب إلا وهى مرحلة الفروض – أو خطوة الفرض باعتبارهـــا مـــن مراحـــل المنهج الأساسية وقد علل العلماء هذا الاتجاه بأمور منها

* يقول حنين ح من الجائز أن بيكون كان يعتقد أن الفروض تفضى إلى أغاليط وهذا ما جعلـه يهتم بالملاحظة والتجربة دون الفروض.[1]

ويقول مايرسون

إن ذلك راجع أن بيكون كان يرى أن الاكتشافات العلمية يمكن التوصل اليـــها عـــن طريـــق استخدام الاستقراء كعملية ميكانيكية .[2]

وهو مع هذا كما يرى جيفونز لم يغفل قيمة التوقعات الفرضية فقد أشار إليها بطريقة عرضيـــة .وقد كان همه جمع أكبر عدد ممكن من الواقع وتصنيفها مما يضفي عليه قيمة تاريخية مـــع نطاق تاريخ العلم وقد يكون الأمر راجعا لخشيته من وجود أراء لم تمحصها التجربـــة ومـــن هنا كان حرصة الشديد في منهجة على الرغم من استخدامه الفرض العلمى دون أن يدرى .

ثانيا:– مع هذا الجهد الذى قام به بيكون إلا أنـــه قـــد أغفـــل دور التصـــورات الرياضيـــة والاستدلال الرياضى كادوات جيدة يمكن للمنهج الاستقرائى أن يتزود بها .[3]

---

[1] فلسفة العلوم الطبيعة ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

[2] نفسه ص ١٠٨ .

[3] دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٥٥ .

ثالثاً :- تجاهل بيكون الاكتشافات العلمية وغفل عما كان يجرى فى ميدان العلم فى عصـــره على الرغم من كل ما ابداه من اهتمامه بالبحث العلمى فقد رفض نظرية كوبربنكوس وتجـاهل انجازات كبلر فى علم الفلك .... الخ

رابعاً :- لم يستطع بيكون رغم حملته الشرسه على المدرسيين وارسطو أن ينأى عن التـأثر بهم فقد تحدث عن الفلك والاسباب التى يريد الوصول إليها وقد تحدث ارسـطو عـن العلـل الاربع الغائية والفاعلية والصورية والمادية وقد تحدث بيكون عن العلـه الصوريـة والتـى تشكل فى نظرة ماهية الأشياء واذا ما انتزعت منها تلاشت طبيعتها . وهذه الصـور ليسـت صورا عينية للاشياء وفقط بل هى صور مركبه من صور الصفات الفرديـة أو مـن طبـائع الأشياء فالذهب له صورة مركبه من اللون الأصفر ، والثقل والامتداد .... وكلها صـورا بسيطة وهى محور البحث أولا بداية كما خاصيات للأشياء [1]

وهو فى هذا كما يرى د/ غلاب حين يطلق على الروائح . والحرارة والبروده والثقل والخفـة ..... وما اليها بسائط الطبائع أو اسم الصور الأسية للاشياء يكون خاضعـا كـل الخضـوع لتأثير أراء أهل العصور الوسطى ولما كانوا بدعونه بالخصائص الخفية للاشياء [2] وهـو وأن استعمل الصورة على أنها القانون الخاص للاشياء الخفية السالفة الذكر فيحمد له كمـا يـرى لالاند أنه جعل الناحية العملية اسمى من الناحية النظرية فهو يريد علما منتجا يجعلنا نسـيطر على الطبيعة لا معلومات تافهة يرددها جيل بعد جيل [3]

أضف الى ما سبق بيانه أمراً هاما يتعلق بفلسفة الرجل فيما دعا اليه من التحرير من السـلبيه الوهميه واللجوء للايجابية التجريبية عن طريق الاستقراء .

---

[1] راجع دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٥٤ .

[2] راجع المذاهب الفلسفية . د/ غلاب ص ٥ القاهرة ١٩٤٨ م .

[3] راجع المنطق الحديث ومناهج البحث د/يوسف قاسم ص ٥٤ ط - الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٣ م .

علمنا مما سبق أن فرنسيس بيكون وروجر وبيكون وغيرهما قد أطلعوا على ثقافات العـــرب وعلومهم كما ذكر ذلك بريفولت فى كتابه بناء الإنسانية من نحو تلمذتهما علـــى يـد رجـال الاندلس المسلمين إلى جانب ترجمة تراث المسلمين إلى اللاتينية فى الوقت المظلم لاوريا كـان شروق العلم ورفعته فى المراكز الاسلامية المتعددة انذاك ومن هذا المنطلـق نطـوف بـ أوهام بيكون الاربعة لنرى اصالتها الاسلامية فى الكتاب والسنه فالقرآن الكريم قد دعا العقـول للتحرر من ربقه التقليد ودعا اربابه للتفكر والنظر وقد حطم التبعية الزائفة للعظمـاء والابـاء وتلك هى أوهام المسرح التى دعا اليها بيكون وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعـالى (وقـالوا ربنا إنا اطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا) [١]

وقوله (وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان أبـاؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) [٢]

كذلك حرر الاسلام أربابه من أوهام الجنس والتى تدعو التقوقـع داخـل الكـهوف المظلمـة والسير وراء الشائعات والذوبان فيها دون تدبـير أو تفكـير وفـى هـذا يقـول الله تعـالى (وإن قطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سـبيل الله إن يتبعـون إلا الظـن وإن هـم إلا يخرصون)[٣]

وكذا أيضا دعا المنهج الاسلامى للتحـرر مـن أوهـام الكـهف والتـى يقـع فيـها اتبـاع للهوى والأمانى الكاذبة وفى هذا يقول الله عالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليـه وكيلا .....)[٤]

---

[١] **سورة الأحزاب الاية رقم ٦٧**

[٢] **سورة البقرة الاية رقم ١٧٠ .**

[٣] **سورة الانعام الاية ١١٦ .**

[٤] **سورة الفرقان الاية رقم ٤٣ .**

(٤٧)

وكذا دعا الاسلام إلى التحرر من أوهام السوق وضبط ما يقوله المرء دون خلط في أقواله ليصح لفظه و ضبط عباراته وفى هذا يقول الله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) [1]

وفى هديه عليه السلام نلاحظ قوله

(لا يكن احدكم إمعه يقول أنا مع الناس إن احسن الناس احسنت وإن اساؤا أساءت ولكن وطنوا أنفسكم إن احسن الناس أن تحسنوا وإن اساؤا أن تجتنبوا إساءتهم) [2]

وهكذا بين لنا اصالة المنهج الربانى فى تخليص العقل من أوهامة ودعوه للانفتاح العلمى والنظر فى اقطار السموات والارض ليفيد نفسة وليزاداد إيمانه بربه . [3]

كما يتبين لنا أيضا أن علماء أصول الفقة قد عرفوا فى استدلالتهم منهجا يشبه إلى حد كبير منهج بيكون ومن ذلك الجانب الإيجابى وهى على النحو التالى :-

أ- السبر والتقسيم :- وهو أن يبحث المناظر عن معان موجودة فى الأصل ويتبعها واحدا واحدا ويبين خروج أحادها عن صلاحية التعليل به الا واحد ايراه ويرضاه .

ب- الدوران وهو أن يوجد الحكم بوجود الوصف ويرتفع بارتفاعه فيعلم أن هذا الوصف علة ذلك الحكم والوصف يسمى مدارا والحكم يسمى دائرا .

(جـ) تنقيح المناط وهو أن تكون أوصافا فى الحكم فيحذف بعضها عن الاعتبار بالاجتهاد ويناط بالباقى [4]

---

[1] سورة الجاثية الايات من ١٧ إلى ١٩ .

[2] ورة الجاثية الايات من ١٧ إلى ١٩ .

[3] راجع أعلام الفلسفة الحديثة ص ٣٢ وما بعدها .

وهذه الطريقة كما يرى الدكتور سامي النشار عين ما عند المحدثين وتسمى طريقـــة الحـــذف وهي في ايجاز

(أن يكون لدينا عدد من الفروض فنضع قائمة لها ثم نقوم بحذف الفـــروض التـــي تنـــاقض التجارب التي نعملها لتحقيق المسألة التي نريد بحثها ثم نعتبر الفرض الباقي في القائمـــة هـــو الفرض الصحيح)[٢]

وما قرره بيكون حول مدينة الفاضله فقد سبقه اليها فلاسفة يونانين وإسلاميين مثل أفلاطـــون والذي قرر وجود هذه المدينة في جمهوريتة وأيضا أبو نصر الفارابي [٣] ومدينه الفارابي

تمتاز باحتوائها علـــى شـــتى الطبقـــات البشـــرية أمـــا اطلنطـــس الجديـــدة فانـــها تـــهمل (العلاقات الطبيعية بمدن العالم وأقاليمه وكانها عالما منفردا ومنعزلا عـــن غـــيره – وهـــي بلاشك اشبه إلى الخيال منه الى الحقيقيه لأن الواقع المشاهد يرفضها ولا مكان لهما في كتابه

وبعـــد

فقد أسهم بيكون في نهضة العلوم الطبيعية وقد كان بحق رائد التجريبية في العصر الحديث .

---

[١] راجع اعلام الفلاسفة ص٣٠ .

[٢] راجع مناهج البحث عند مفكري الاسلام ص ١٠٣،١٠١،٩٧ .

[٣] راجع اراء اهل المدينة الفاضله - الفارابي .

خطأ مطبعي لا يوجد رقم ١٠٠ في الترقيم

ديكارت

الشك المنهجي

١٥٩٦ — ١٦٥٠م

أولاً :- عصره

امتاز عصر ديكارت يتضاؤل سلطة الكنيسه فيه نوعـا مـا وتزايـد سـلطة العلـم . وامتـد حياته أثناء حكمى هزى الرابع ولويس الثالث عشر ملكى فرنسا ثـم بعـد وفـاة الأخـير حتـ أوائل عصر الفروند ووزارة مزاران وهى فتره اتسـمت بـالهدوء والاسـتقرار ممـا كـان لـ اثره على فكر ديكارت . وقد حول ديكارت التيارات السالفه قبلـه إلـى صفـه - بدعوتـه إلـ تيار جديد جدد فيه ما كان مـن اورجـانون بيكـون . إلا أن أعظـم وأخصـب المنـاهج قبـ ديكارت والتى اعتمدت على الرياضة كانت على يـد معـاصره جـاليلو

أما بالنسبة للاتجاه الفلسفى فقد كان هنـاك اتجاهـان احدهمـا :-

- **الشكاك** الذى تنباه مونتينى وقد كان هذا المنهج شائعا فـى فرنسـا ، وإيطاليـا وأسـبانيا فـ وقت واحد .

- **إتجاه المجددين لتقديم من التراث اليونانى** . واتخـذه بعـض فلاسـفة ايطاليـا فـى القـر السادس عشر وحاولوا احياء وتجديد التراث اليونـانى ولقـد رفـض ديكـارت هـذه الإتجـ الاخير ودعا إلى العلم والمنهـج العلمـى .

ولقد برز **فى هذا العصر الفنون خاصـة فـن البـاروك** . وهـو فـن يعطـى للبـاحث قـدر الاسهام على الابتكار وقد تأثر ديكارت بذلك - الا أنه اخضـع جميـع مظـاهره لعقـل مديـ وإدارة حاكمة .

ديكارت

١٥٩٦ - ١٦٥٠م

ثانياً حياتـه :-

ولد رينيه ريكارت فى مدينة لا هى التابعة لمقاطعة تورين بفرنسا . مـــن أســرة علــى جــانب من الفنى واليسار . مما كان لذلك أثره فى حياتــه . العلميــة والعمليــة . ولمــا كــان ديكــارت حاد الذكاء فقد التحق فى سن ميكرة بمدرسة اليسو عيين فى لافليــش فــى الثامنــة مــن عمــره . وكان يتمتع . بينية ضعيفة [1] وكان دراســته بمدرســة اليســوعيين بمثابــة توطئــة لتحليــل أفكاره حول التعاليم التى كان يدرسها الآباء الجزويــت وقتئــذ ، فلــم يلبــث أن غادرهــا بعــد ثمان سفوات ناقما على ما فيها - فلقد عجز الفلاسفة عن حــل المســائل التــى اخــذوا أنفســهم محلها واختلفوا فيما بينهم اختلافا بلغ من الحدة أنك لاتكــاد تــرى بينهــم رجليــن أثنيــن علــى اتفاق فى الرأى ومن هنا نراه يقول عـــن نفســه (ازمعــت ألا أنشــد مــن العلــم إلا معرفــة نفسى أو الالمام بسفر الكون العظيم ....) وقـــد درس ديكــارت فــى مدرســة اليســوعين . منطق ارسطو وفلسفته كما الم بعلوم عصـــره كالرياضيــات والتــى راى فيهــا الغنيــة عــن شكوك الفلسفة واقبل عليها حتــى حذقهــا . غــادر ديكــارت مدرســة اليســوعيين وهــو فــى السادسة والعشرين من عمره ، وانتقل إلــى لــون أخــر مــن التعليــم وهــو دراســة الحقــوق

---

[1] فقد ورث عن أمة لونا شاحبا وسعا لا لازمة إلى ما بعد سن العشرين وكانت أمة قد ماتت بداء صدرى بعد ولادته بوقت قصيره ومن هنا كان التحذير ممهداً لمحافظة ديكارت على حياته الصحية والا لحق به بوالدته .

وساعده ذلك على التطلع على كتاب الكون ثم انخرط في ضجيج الحياة الاجتماعية ولكنه وجد فيه الجفاء الذى يحول بينه وبين التطلع لما يريد وعن هذا يقول .

(أزور الملوك في قصورهم ، وانخرط في سلك الجيوش وأبادل الحديث رجالا من ذوى المناصب المتفاوته والطبقات المتباينة واجمع من التجربة ألوانا شتى ....)

ولقد ساعده ثراء والدية على الانتقال من مكان الى مكان ومن الاخذ بشتى فنون العلم

وقد التحق بالجيش الهولاندى والالمانى خارج فرنسا لكى يدرس أحوال البلاد الاخرى وكان قد التقى اثناء تطوعة فى جيش موريس دى ناسو بهو لاندا بطبيب يدعى إيزاك بكمان فتباحثا مما فى الرياضيات والطبيعة ومن مخالطة الجيوش حتى عام ١٦١٩، وبالتحديد فى اليوم العاشر من نوفمبر وكان الطقس باردا مما دعاه للاعتكاف فى حجرته الدافئة ورأى فيها حلما عجيبا ولعل ذلك كان ايذانا بمنهجه الجديد الذى سيعرضه فى كتابه المقال عن المنهج .

وكان لرحلات ديكارت ونهمه الشديد فى طلب العلم أثره فى كساد ثروته والتى بدأ يبيع ما بقيا منها ليعول به نفسه وهو فى هذا الامر معتكفا للبحث والدراسة فى ربوع هولاند . ويلاحظ على ديكارت أثناء إقامته فى هولندا والتى استمرت زهاء العشرين عاما أنه كان يغير مكان إقامته دائما لكى لايز عجه فى وحدته الهادئه أحد من فئات المعجبين به الذين كانوا يودون زيارته من كل صوب . [1] وفى سنه ١٦٢٨ نال ديكارت شهرته

---

[1] راجع قصة الفلسفة الحديثة ص ٦٦ .

راجع ديكارت - نجيب بلدى ص ٣٨ ط دار المعارف ١٩٥٩م.

واسعة وذلك من خلال مجلس علمى ضم الكردينال دى بيرك وكان أو غسطينى المذهب وديكارت والذى استطاع أن يعرض أراء توما (القدس) فى يسر وسهولة معارضا إياه ومبيناً اقتراب مذهبه من الافلاطونية الأوغسطينية .(١)

ثالثاً :- شخصية ديكارت

ويظهر من خلال هذه المرحلة الطويله والتى ذاع فيها صبته كاعظم فيلسوف ورياضى أنتجه العصر - أنه كان مائلا للعزلة مخافة أن يصيبه مثل ما أصاب العلماء من قبله على يد محاكم التفتيش قبل جاليلو الذى حكم عليه بالحرق ١٦٣٣م لقوله بدوران الارض ولذا لم ينشر ديكارت **كتابة العالم** الذى أخذ فيه بالنظام الفلكى الكوبر نيكى حتى لايحدث له مثل ماحدث لسابقية وقد وصفه يرتدراندسل بالجبن " قائلا عنه (ربما كان من الأكرام القول بأنه كان يروم أن يترك فى سلام لكى ينجز عمله دون أن يعكر صفوه معكر)" (٢)

* مما سبق يتبين لنا أن شخصية ديكارت شابها شئ من الغموض والتورية ولكنها فى غالب أمرها تمتاز بالهدوء . وقد اتخذ ديكارت لنفسه مبادئ ثلاثه يسير عليها فى حياته العلمية والعملية وهى :-

---

(١) **راجع الفلسفة الحديثة . أيوريان . ص ٥٧ .**

(٢) **تاريخ الفلسفة الغربية جـ٣ - ص ١٠٦**

مبادئ ديكارت

أولا :- أن اطيع قوانين امتى وتقاليدها واحافظ على الديانة التــــى نشــأت عليهــا.

ثانياً :- أن أكون راسخ القدم ثابت العزم فى أفكارى على قــــدر مـــا أســتطيع .

ثالثاً :- أن اجتهد دائما فى أن أغالب نفسى لا أن أغـــالب الاقـــدار وأن أغـــير مـــن رغبـــاتى ومطالبى الشخصية وليس من نظـــام الكـــون . [١]

كما امتاز ديكارت بثقته الزائدة فى نفسه ويظهر ذلـــك مـــن خـــلال عرضـــه كتـــاب التـــأملات على مشاهد الفلاسفة ورجال الدين لا بـــداء رايهـــم وملاحظتهـــم عليـــه فقـــام ديكـــارت بعدهـــا بنشر ملاحظاتهم ومعها الردود الخلصة بها مما يـــدل علـــى ايمانـــه التـــام بارائـــه واســتعداده للدفاع عنها ودحض أى اعتراض يوجـــه إليهـــا .

نهاية المطاف

كان لشهرة ديكارت العظيمة أثرا عظيما فى استقطابه مـــن لـــدن الأمـــراء وللملـــوك للاســتفادة بعلمة وفى سنه ١٦٤٩ أرسلت إليه ملكة الســـويد (كرســتينا أبنـــة جوســـتاف أدولـــف) لكـــى يعلمها الفلسفة وقد استطلعت قبل مقدمة عليها رأى قبطان الســفينه فيـــه والـــذى ابـــدى اعجابـــه بديكارت لانه فى نظره ليس إنسانا من البشر ومن هنا كـــان قولـــه لهـــا .

---

[١] راجع اتجاهات الفلسفة الحديثة د / على عبد المعطى - ص ٥٥ وما بعدها .

(..... فإن من جنتك به إلى جلالتك اليوم الأقــرب مــن مرتبــه الآلهــة . أنــه زودنــى مــن العلم فى ثلاثة أسابيع فى شئون الملاحة والرياح أكثر ممـــا تعلمــت فــى ســتين ســنه انفقتهــا فى البحار .) [٢]

وكانت ملكة السويد تمتاز بالحيوية والنشــاط الجــم ولــذا فقــد كــانت تســتيقظ مبكــراً لتــأخذ الدروس فى الفلسفة فى الساعة الخامسة صباحاً من ديكارت مما كــان لــه أثــره عليــه حيــث أنه كان لا يقوى على برد الصباح فقد كانت بنيتـــه ضعيفــة فقــاس كثــيرا فــى طريقــة مــن مكنه إلى القصر فقرر مغادرة السويد ولكن الملكــة الحــت عليــه فــى البقــاء فــاصيب بــبرد شديد فى رئتيه مما اودى بحياته سنه ١٦٥٠م فى اليـــوم الحــادى عشــر مــن شــهر فــبراير عن عمر جاوز الخمسين من عمـــره .

رابعاً :- مصنفاتــه

إذا كان برتداندرسل قد وصف ديكــارت بــالجين فيمــا يخــص شــخصيته فإنــه قــد وصــف مؤلفاته بأن فيها عذوبة لانجدها عند أى فيلسوف سابق بــارز منــذ أفلاطــون وكــل الفلاســفة الذين جاءوا بينهما كانوا معلمين مع التفــوق الاحــترا فــى الــذى ينتمــى إلــى تلــك المهنــة وديكارت يكتب لا كمعلم ولكن مكتشف متلهف لإذاعة مــا وجــده وأســلوبه ســهل لا تحذلــق فيه موجه إلى أذكياء الناس فى الحياة لا إلى تلاميذ وهو فوق ذلــك أســلوب ممتــاز قــد ومــن حسن حظ الفلسفة الحديثة أن يكون لرائدها مثل هذا الحــس الأدبــى الرائــع .

---

[٢] راجع قصة الفلسفة الحديثة ص ٦٦ وما بعدها .

أهم مؤلفاته

١- مقال عن المنهج سنه ١٦٣٧ وقد بين فيـــه الطريـــق لاســـتخلاص المعـــارف التـــى يوثـــق وضم إليه ثلاث وسائل فى البصريـــات ، والآثـــار العلويـــة والهندســـة وتوصـــل مـــن خـــلال رسالته فى الهندسة إلى اكتشاف الهندسة التحليلية التى ضـــم بهـــا الجـــبر الى الهندســـة وجعلهـــا تحت علم واحد .

وقد اشتهرت رسائله هذه فى بداية الأمر بعيدا عـــن المنهـــج الـــذى اعتـــبره وأخـــذا بـــه لكـــن سرعان ما تبدل الأمر وركز الاهتمام من لدن المثقفيـــن علـــى منهـــج ديكـــارت الأمـــر الـــذى جعل بعض الجامعات الأوربية . والمصرية تحتفى بذكرى مرور ثلاثـــة قـــرون علـــى وضـــع المنهج الديكارتى سنه ١٩٣٧ وهذا الأمر طبيعـــى قـــد لازم عـــددا مـــن المفكريـــن الاوربييـــن والمسلمين على سبيل المثال وجدنا عالمُ التاريخ ابن خلدون والـــذى اشـــتهر بمقدمتـــه كأنـــه لـــم يؤلف غيرهـــا . [1]

* وقد وضع ديكارت فى كتابة المقال عدداً من القواعد التى قرر مـــن خلالهـــا تـــألف المنطـــق الحديث وتبين من خلالها منهجة وهى على النحـــو التـــالى .

---

[1] راجع اعلام الفلسفة - د / رفقى زاهر - ٤٧ وما بعدها .

قواعد ديكارت

أولاً :- " **قاعدة اليقين** " وتتمثل في قوله . ألا اقبل شيئا على أنـــه حـــق مـــالم أعـــرف يقينـــا أنه كذلك فى وضوح وتميز بحيث لا يكون فيه مجال للشـــك بحـــال مُـــن الأحـــوال .

ثانياً :- **قاعدة التحليل** - وتتمثل فـــى قولـــه أن اقســـم المشـــكلة المطروحـــة للبحـــث إلـــى اجزاء على قدر المستطاع وعلى قدر ما تدعو الحاجة إلى حلهـــا علـــى خـــير الوجـــوه .

ثالثاً :- **قاعدتا التأليف والتركيب** أن أقود أفكـــارى بنظـــام بادئـــا بأبســـط الامـــور وأســـهلها معرفة منتهيا باكثرها تركيبـــا

رابعاً :- **قـــاعدة الاســـتقراء** - وتتمثـــل فـــى قولـــه أن أعمـــل فـــى كـــل الاحـــوال مـــن الاحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلنى على ثقه من أننـــى لـــم أغفـــل شـــيئا[1]

وهذه الطرق والقواعد السالفة الذكر تعبر باختصـــار عـــن الاجـــراءات التـــى تتبـــع فـــى حـــل المشكلات الأصلية فى الهندسة وهو من خلالها يقود الفكـــر إلـــى الوضـــوح والبيـــان والتميـــيز بين الأشياء وقد طالب الباحث فى طريقـــه بتحليـــل المعضـــلات والمشـــكلات التـــى تعـــترض طريقة ثم ينظم ويرتب أفكاره على أساس منطقى واخيرا ينظـــر إلـــى موضـــوع بحثـــه نظـــرة شمولية من جميع النواحى متوخيا فـــى ذلـــك كلـــه النظـــام والدقـــه وصـــولا لكمـــال المنهـــج الاستقرائى الذى ركز عليه بيكـــون ســـالفا .

---

(١) راجع مقال عن المنهج لديكارت نقلا عن كتاب دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٩١ .

مستأصلا بذلك جذور المنهج المدرسى ورواسبة من الفلسفة .

• وقد اعتمد ديكارت على مناهج الحدس (المعرفة المباشرة العقلية بلاوساطة والاستنباط البرهانى . والتى تنتج به قضية من قضية أخرى أو عده قضايا . وثنى ذلك بالتجربة والتى تساعد على اكتشاف هذه النتائج . ومن هنا فهذه هى المراحل التى يتعين على الباحثين اتباعها للوصول إلى المعرفة اليقينية بشرط اجادة استخدامها . [٢]

ثانياً :- التأملات فى الفلسفة فى جزئين ١٦٤١ ويشتمل هذا الكتاب على تأملات ستة هى

* **التأمل الأول** :- فى الأشياء التى يمكن أن توضع موضع الشك

* **التأمل الثانى** :- فى طبيعة النفس الإنسانية وأن معرفتها أيسر من معرفة الجسم .

* **التأمل الثالث** :- فى وجود الله .

* **التأمل الرابع** :- فى الصواب والخطأ .

* **التأمل الخامس** :- فى ماهية الإشياء المادية والعود إلى الله ووجوده .

* **التأمل السادس** :-فى وجود الأشياء وفى التمييز الحقيقى بين نفس الإنسان وبدنه [١]

---

[٢] **راجع أندريه كريسون – ديكارت ترجمة حسن شحاته سعفان ص ١٨ وما بعدها ط الانجلو المصرية ١٩٦١م.**

[١] **راجع دراسات فى الفلسفة الحديثة . (٩٣)**

ثالثا :- **كتاب مبادئ الفلسفة** (١٦٤٤) ومعه عـــرض ديكـــارت لمعظـــم نظرياتـــه العلميـــة ،ويشتمل على أربعة أجـــزاء :-

الأول :- فى مبادئ المعرفـــة

الثانى :- فى مبادئ الأشـــياء الماديـــة .

الثالث :- فى العالم المنظـــور .

الرابـع :- فـــى الأرض .

رابعاً :- **قواعد لهداية (لارشـــاد) العقــل** ســنه ١٦٣٠م .

خامساً :- رسالة فى **انفعالات النفس** سنه ١٦٤٩ وتناول فيه بالبحث المشكلة الأخلاقية.

واخيرا كتاب **العالم** والذى امتنع عن نشره لما علمنـــا ســابقا مـــن ســخط الكنســية وســلطتها وقتئذ وقد رفضت أى أفكار حـــول دوران الأرض ولا نهايـــة العـــالم وقـــد نشـــرت مقتطفـــات من هذا الكتاب بعد وفاة ديكـــارت . (١)

---

(١) **راجع دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٩٢ وما بعدها .**

أولاً الفلسفة

الفلسفة عند ديكارت مفهوم واسع وشامل فهى منهـج استنباطى يقـوم علـى ربـط المعـا
ومعيارها الوضوح والجلاء وهـى المعرفـة الكاملـة المسـتنبطة مـن العلـل الأولـى وهـ
معرفة ذات نفع عملى فهى لا تبعد عـن الحيـاة العامـة كفلسـفة المدرسـيين بـل يجـب
يستفيد منها الإنسان لإصلاح أخلاقه وهداية حياتـه . وإذا أنهـا ترشـدة إلـى الخـير الاسـ
فيصبح مسيطرا على الطبيعة . وعلى الموجـودات الأخـرى فالفلسـفة نظـام شـامل للبشـر
يدخل فيها علم الله وعلم الطبيعة ويشترط ديكارت لهـذه المعرفـة الشـاملة شـرطين :-

الاول :- أن تكون واضحة وضوحاتاما بحيث لا يمكن الشك فيهـا بحـال مـن الأحـوال .

الثانى :- أن تعتمد عليها معرفـة الأشـياء الأخـرى بحيـث يمكـن معرفتهـا بـدون هـ
الأشياء فى حين لا تعرف هذه الأشـياء بدونهـا . [1]

---

[1] **راجع الترجمة العربية لكتاب المبادئ - لديكارت ت د/ عثمان أمين المقدمة ص ٤٦ وما بعدها .**

أقسام الفلسفة وفروعها

الفلسفة عنده أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقيا والفروع التـــى تخــرج مــن هــذا الجــذع هــى كل العلوم الاخرى والتى تنتهى إلى ثلاثه علوم رئيسية هـــى الطــب والميكانيكــا والاخــلاق .

الميتافيزيقيا وتشمل على مبادئ المعرفـــة جزؤهـــا الأول مـــا يشـــمل علـــى مـــا يفســـر أهـــم صفات الله وروحانية نفوسنا وجميع المعانى الواضحـــة المتمـــيزة الموجـــودة فينـــا .

أما الفيزيقيا يبحث فيها عن ما هية الكون باسره بعـــد أن يكـــون قـــد وجـــد المبـــادئ الحقـــه للماديات وعن طبيعـــة الأرض وجميـــع الاجســـام لاســـيما الانســـان وطبيعتـــه حتـــى يتســـنى استكشاف جميع العلوم النافعـــة لـــه ، وصـــولا إلـــى العلـــوم الرئيســـة المتمثلـــه فـــى الطـــب والميكانيكا والاخلاق ويعنى بالاخيرة الأخـــلاق الارفـــع والأكمـــل التـــى لمـــا كـــانت تفـــترض معرفة تامة بالعلوم الأخرى فقد بلغت المرتبة " الاخـــيره فـــى مراتـــب الحكمـــة " ولقـــد كـــان تصنيف ديكارت للعلوم النافعة تصنيفاً مبسطا قصد مـــن ورائـــه الوصـــول إلـــى العلـــوم التـــى تخدم الإنسان وتحقيق منفعتـــه الرئيســـة .

لقد مربنا سابقا أن منهج ديكارت يعتمد علـــى قواعـــد وهـــذه القواعـــد تمـــر بدائـــرة الحـــدس والاستباط والتجربه وهو فى هذا كله يرى أن المنهـــج الســـليم الواجـــب الاتبـــاع هـــو المنهـــج الرياضى .

ويستخدم ديكارت منهجة للكشف عن مبادئ ما وراء الطبيعة حيـــث يبـــدأ مســـاره مـــن إثبـــات وجود الذات المفكره أى الجوهر النفسى ثم ينتقل إلى إثبـــات وجـــود الجوهـــر الإلهـــى ومنهـــا يصل إلى إثبات العالم الخـــارجى .

ثانياً الشك الديكارتي

الشك المنهجي والكوجيتو

قبل أن نتكلم عن الشك المنهجي عند ديكارت ينبغي أن ننـــوه إلـــى أمـــر هـــام يتعلـــق بثـــورة الشك التي اجتـــاحت أوربـــا واوشـــكت أن تعصـــف فـــي قســـوة بمســـلمات النـــاس وحقـــائق الحياة وإذا كان السوفسطائيون في القرن الخـــامس ق . م قـــد شـــككوا النـــاس فـــي معـــارفهم واستطاع سقراط أن يلجم أفكارهم فقد استطاع ديكـــارت أن يعـــود بالنـــاس مـــن دائـــرة الشـــك إلى دائرة الإيمان وقد اتخذ ديكارت الشـــك المرتـــب أو المنهجـــي كتمهيـــد للفلســـفة وبـــدأ بـــه كطريق موصل إلى الحقيقة وهو في شكله لاينكر الحقائق مطلقـــا بـــل يثبتهـــا وصـــولا للحقيقـــة المطلقة [1] .

وفي هذا الإطار المرتب فإنه يفترض منذ البداية أن ذهنـــة صفحـــة بيضـــاء لا أثـــر فيهـــا لأي نوع من التحصيل المعرفي وهذه مرحلة تطهيريه يبدأ الذهن بعدهـــا فـــي اقامـــة معارفـــه علـــى أساس من الحدس والاســـتنباط .

على عكس الشك الارتيابي والذي يغلق علـــى نفســـة دائـــرة ضيقـــة لا يريـــد الخـــروج منهـــا ويرفض الاعتراف بامكانية هـــذا الخـــروج .

---

(١)

(٧٧)

* ويمكننا أن نلاحظ الفرق بين الشك المذهبي والشـك المنهجـي فيمـا يلـي :-

الشك المذهبي	الشك المنهجي
١- يعد مذهبا لصاحبه في حياتـه وتفكـيره .	١- يعد منهجا لصاحبة في تفكيره فقـط
٢- دائم لان صاحبة لا ينوي تغيـيره	٢- مؤقت لأنه ينتهي إلى الوصول إلى الحقيقة
٣- غاية في ذاته وليس وسـيلة .	٣- وسيلة للوصول إلى اليقين وليـس غايـة
٤- هدام لأنه لا ينفع المجتمـع	٤- بناء نافع للحضارة وللمجتمـع
٥- من أعلامه بروتـاجورس والـذي جعـل الإنسان مقياسا لكل شـيء	٥- من أعلامه الغزالي وديكـارت

وفي هذا يقول (وكانت رغبتي شديدة دائماً في أن أتعلم كيف أمـيز الحـق مـن البـاطل كـي أكون على بصيرة في أعمالي ولكي أسير على هـدى فـي حيـاتي)

وكما علمنا فإنه ينبغي على الطارق لبـاب الشـك المنهجـي أن يسـتقل اسـتقلالاً تامـاً بعقلـه ويتحرر من التقليد والتبعية الفكرية وأن يتخلص مـن الأوهـام والأحكـام السـابقة وفـي هـذا الاطار نتذكر منهج بيكون الذاتي -ويرى ديكارت ان من لم يسـتطع فعـل هـذا الأمـر فعليـه ألا يقرع باب الشك ويصفهم بأنهم قليـل جـداً .

ثم تلى هذه المرحلة (مرحلة التجريد التـــام) مرحلـــة اليقيـــن الفلســـفى وفيهـــا يصـــل الشـــاك لقمة اليقين ولو فرض له نوع شك واحد لم يصـــل بعـــد يقـــول فيكفينـــى لرفضهـــا جميعـــاً أن يتيسر لى أن اجد فى كل واحد منها ســـبيلاً للشـــك .

فيجب التخلى عن كل المعارف التى يكون فيها سبب للشك وصـــولاً للمعـــارف اليقينيـــة وهـــذا الفعل نراه على الواقع العملى كحـــال المهنـــدس المعمـــارى الـــذى يعـــد للحفـــر فـــى المكـــان المطلوب اقامة البناء عليه ثم يقوم بأزالة كل الرمال والمخلفات حتى يصـــل فـــى النهايـــة الـــى أرض صلبة يستطيع أن يشيد عليها ابنيـــة راســـخة .

* **ومن هنا كانت مراتب الشك عنده على النحـــو التـــالى**

أولاً:- الشك فى المعارف الحســـية :-

ثانياً :- الشك فى المعارف العقليـــة

ثالثاً :- الشك فى الواقع كله بصفـــة عامـــة

* إنه الشك الذى لا يبقى احد فى الكون إلا الشـــاك نفســـه .

وعن الأولى يرى أن الحس كثيراً ما يخدعنا فلا يجب الوثوق به وضـــرب مثـــالاً علـــى ذلـــك

* انه كان يحلم بالليل بأنه جـــالس إلـــى جـــوار المدفـــأة بينمـــا يكـــون فـــى الواقـــع مســـتلقياً فى سريره حينذاك وهكذا تدفعه الرؤية المناميـــة أيضـــاً إلـــى الشـــك فـــى الواقـــع المحســـوس بصفة عامة .

ومع هذا لا يهتدى لما رآه يقظة أهو مناماً أم يقظة ويقول عـن الحـواس فـى نـص آخـر لـه كل ما تلقيته حتى اليوم وآمنت بأنه اصدق الأشياء وأوثقهـا قـد اكتسـبته مـن الحـواس غـير أنى جربت هذه الحواس فى بعض الأحيان فوجدتها خداعـة . ومـن الحكمـة ألا نطمئـن كـل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مـرة واحـدة)) [١]

وأما من الناحية العقلية فيعتريها الشـك ايضـاً ؛

فـإن ٢+٣=٥ تصـدق دائمـاً وفـى كـل ألأوقـات ، وإذن الابحـاث الرياضيـة يجـب ان تكون صادقة دائماً - ولكن كما يرى ديكارت ربما كان هناك شـيطان مـاكر خبيـث ذا يـد

يخدعنى ويرينى الحق باطلاً والباطل حقـاً - فضـلاً عـن كـون الرياضيـات تتسـم بـاليقين الداخلى ، وليست الواقعية فالذهن يقف عندها ويدور فى افكا رهـا ومـن ثـم فلـن يكـون لـه إتصال بـالواقع . [٢]

وبهذا يكون ديكارت قد إنتهى إلـى مرحلـة الشـك الميتـافيزيقى (المنهجـى) إلـى الشـك فى كل شيء ولم يقف ديكارت بشكه عند هذا الحد بل جعـل شـكله بدايـة إيجابيـة للوصـول من خلالها إلى موضـع افضـل مـن وسـط الغابـة علـى حـد تعبـيرة وهـذا مـا نلمحـه فى الصفحات التاليـة :-

---

(١) راجع التأملات ص ٧٠ وما بعدها .

(٢) راجع الفلسفة الحديثة ابو ريان ص ٧٥.

اليقين الأول

إثبات النفس

" الكوجيتو " إثبات وجود الذات المفكرة

إبتدأ ديكارت باثبات وجود ذاتا مفكرة تشـــك فيمـــا حولهـــا واســـتطاع مـــن خـــلال عبارتـــه المشهورة

((أنا أفكر فأنا موجود)) او أنا أفكر إذن فأنا موجود))

أن يثبت وجود الذات ولكن كيف،نقول: بدأ ديكـــارت فـــى تقســـيم النفـــس إلـــى شـــقين الجســـم والنفس ، وقد ابتدأ بإثبات النفس تاركا الجسم الآن لأنه فى نظـــره مـــن العـــالم الخـــارجى .

* ويقرر ديكارت أنة إذا صح الشك فى كل الحقائق فإن حقيقـــة واحـــدة لا يمكـــن أن يتطـــرق إليها الشك وهذة الحقيقة هى أنة يشـــك فالشـــك عمليـــة فكريـــة تقتضـــى ذاتـــا مفكـــرة وهـــذا الموصوف هو النفس الإنسانية التى تمـــارس عمليـــة الشـــك أوالتفكـــير .ويتضـــح مـــن خـــلال كوجيتو ديكارت أن وجود الذات ليس شـــيئا آخـــر غـــير الفكـــر والفكـــر بـــدورة هـــو العقـــل أوالروح وهذة المعرفة عندة تسمى بالمعرفـــة الاولـــى . [١]

---

[١] راجع دراسات فى الفلسفة الجديثة ص ١٠٤

" اليقين الثاني "

إثبات وجود الله

يرى ديكارت ان وجود الإله فكرة فطرية مغروسة فى النفس الإنسانية فلكل فكرة نفسية

مدلولا خارجيا . حقيقيا فلابد من القول إنة اللـه. اللامتناهى " [١] فكل فى نفسة تخيلا لموجود لامتناهى له أسمى الكمالات وهذا الموجود هو سبب وجودنا وعله وجود جميع الأشياء ولما كان كل منا موجودا متناهيا فكل فى نفسة تخيلا لموجود الامتناهى له أسمى الكمالات وهذا الموجود هو سبب وجودنا وعله وجود جميع الأشياء لنا كان كل منا موجودا متناهيا ناقصا [٢] فلا يمكن أن نتخيل أو نؤلف من تلقاء أنفسنا أى فكرة عن موجود كامل لامتناهى وما دامت هذه الفكرة موجوده لدينا فلا بد وانها صادرة عن موجود لامتناه كامل له وجوده الفعلى المستقل عن فكرتنا عنه وإذن فالله موجود .

* فالحقيقة الأولى تتمثل فى أن الإنسان شئ ناقص ومعتمد على غيره .

والحقيقة الثانية مضمونها أن كل من يعرف شيئا أكمل فى ذاته لا يمكن أن يكون خالق وجوده ومادامت هذه المعرفة لا يمكن أن تكون صادرة من ذاته فيجب أن تكون صادرة من موجود له الكمال اللانهائى

---

(١)

(٢)

ومن هنا فلو خلق كل إنسان نفسه لمنحها من الكمـــال مـــا يروقـــه ومـــن المســتبعد أن يخلـــق إنسان إنسانا آخر فإن تكمين النفس أيسر من خلـــق الغـــير وأحـــق بالعنايـــة فالانســـان يعتمـــد على غيره وهو الله الذى له كل كمال فمعرفة الذات تتضمن معرفـــة وجـــود اللـــه وفـــى هـــذا يقول ديكارت .

(وإنى أتصور هذه المشابهه المتضمنة لفكرة الله بعين الملكـــة التـــى أتصـــور بهـــا نفســـى أى أنى حين أجعل نفسى موضوع تفكيرى لا أتبين فقط أنـــــى شـــئ نـــاقص غـــير تـــام ومعتمـــد على غيرى ودائم النزوع والاشتياق إلى شئ أحســـن وأعظـــم منـــى بـــل أعـــرف أيضـــا فـــى الوقت نفسه أن الذى اعتمد عليه يملك فى ذاته كل هذه الأشـــياء العظيمـــة التـــى أشـــتاق إليهـــا والتى أجد فى نفس أنكارا عنها وأنه يملكها لاعلى نحـــو معيـــن أو بـــالقوة فحســـب بـــل يتمتـــع بها فى الواقع وبالفعل وإلى غير نهاية ومن ثم أعرف أنـــــه هـــو اللـــه [1]

---

[1] يقـول ديكـارت (... فقـد وضـح لـى كـل الوضـوح أن يقيـن كـل علـم وحقيقتـه إنمـا يعتمـدان علـى معرفتنـا للإله الحق بـحيث يصح لى أن أقول إنى قبل أن أعرف الله ما كان بوسعى أن أعرف شيئا آخر معرفة كاملة)

راجع التأملات ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

الدليل الانطلوجى

بعد أن وصل ديكارت إلى الإله أو إلى فكرة الألوهية وصل من خلالها إلى وجود الاله لأن الوجود هو إحدى صفات الكمال التى لا تتصور ذات الإله بدونها .

فمن يتسن له فهم الوجود وغيره من صفات الكمال لابد أن يستنبط فكرة الإله أو الكائن الكامل الموصوف ضروره بهذه الصفات .

وهذه الإله له جميع صفات الكمال والشرف وهى أمور ليست زائدة ولا تسبق إحداهما الأخرى لا فى الوجود ولا فى الماهية لأنها ليست مختلفه فى ذاته .

وإله ديكارت أيضا ليس خالقا للعالم المادى فحسب بل هو أيضا الموجد لكل حقائق العالم العقلى وهذا ما يتفق تماما مع نظرية الخلق المستمر الديكارتيه التى تذهب إلى أن وجودنا يصبح ثابتا بقدر ما يكون هناك موجود . يرفعنا فى كل لحظة من العدم ويقيمنا فى كل لحظة فى الوجود أى بقدر ما كان وجودنا مستمرا [١]

---

[١] ديكارت نجيب بلدى – ص ١٣٥ – القسم الثالث

راجع أيضا اتجاهات الفلسفة الحديثة – ص ٩٥ .

اليقين الثالث

إثبات وجود العالم المادي

رتب ديكارت مقدماته وحقائقه اليقينه وصولا إلى الله عـز وجـل فيعدمـا انتهـى مـن إثبـ وجود ذاته وإثبات وجود ذاته وإثبات وجود الالــه والـذى وصفـه بأحسـن وصـف وبـأ تقديس رتب على وجود الله يقينا ثالثا وهو إثبات العالم الخـارجى ولكـن كيـف ذلـك .

علمنا سالفا أن ديكـارت قلـل مـن دور الحـواس فـى الإدراك ورفـض الاعتمـاد وعليه كمصدر للمعرفة .

* فكرة الامتـداد الذهبـى

ويعطينا مثالا على مشاهدة ومعرفة الأشياء الخارجية إنه مثـال الشـمعة :- حيـث يـرى .

إن ما تعرفة من الشمعة ليسـت هـى الصفـات الظاهريـة التـى تدركهـا بـالحواس كـاللو والرائحة مثلا .... الخ حيث إن هذه الصفات قـد تلاشـت مـن الشـمعة نتيجـة الحـرار والذى يظل من الشمعة وما تدركة فيها ادراكا واضحـا ومتميـزا هـو إمتدادهـا ولكنـه ليـ الامتداد أى ما يدركه الذهن من ماهية الشمعة ويـراه رؤيـة جليـه ومتميـزة أو بلمحـة مـ لمحات الذهـن . (١)

---

(١) راجع اتجاهات الفلسفة الحديثة ص ٨٣ .

فالامتداد صفة للعالم الخارجي هو وحدة الصفة الأولى وهو جوهر المادة أمـا بالنسـبة للصفـات الاخرى كاللون والرائحة فما هى الا صفات ثانوية . يعرفها الانسان عن المادة .

ومن هذا المنطلق فـإن معرفـة الامتـداد الخـارجى (الذهنـى) للعـالم أو المـادة لا يكـون بالحواس وانما سبيله ؛ الأفكار الواضحـة المتمـيزة أو مـا يعـرف عنـده بـالنور الفطـرى والذى بواسطته . تستطيع أن نميز الموجودات الخارجية ومـن بينهـا أجسـادنا فالشـمعه قبـل تسخينها كانت نحوى صفات حديدة منها الصلايـة والقـوة وامكانيـة صـدور الصـوت منهـا عند طرقها باليد .... السـخ لكنهـا بعـد تسـخينها زالـت عنهـا تلـك الصفـات الثانوية والتى خدعنا الحس من خلالها ولم يبق منها الا شـئ ممتدليـن كـالعجين يـترك شـيئا لا يمكن إدراكة عن طريق الحس بل عن طريق الفكر . وهـو مـا يسـميه ديكـارت بـالامتداد وهو صفة رياضة . بحته وخاصية أساسـية للجوهـر المـادى . [١]

* وهو فى هـذا الاطـار يرفـض فكـرة الجـزأ الـذى لا يتجـزأ أى الـذى لا يتـألف مـن ذرات وذلك لأنه يرى أن كل ماله إمتداد أو يخص أخـر كـل جسـم لابـد وأن يقبـل القسـمة إلى مالا نهاية .

وهو بهذا يخالف الذريين فما ذهبوا إليه :- حيث يـرون أن الامتـداد ينقسـم إلـى وحـدات لا يمكن أن تنقسم بدورها إلى ما هو أصغر منها وهـى الـذرات وهـم فـى ذلـك إنمـا يتبعـون منهج الفيزيقيـا . [٢]

---

[١] راجع التأملات الثانية .

[٢] راجع الفلسفة الحديثة ص ٨٣ .

أما ديكارت فإنه يرى أن الامتداد يمكن أن ينقسم إلى عدد لا يحصـــا مـــن الأجـــزاء وهـــو فـــ
هذا انما يتبع منهج الرياضة لاثبات وجود العالم الخارجي ولكن مـــا مقيـــاس صـــدق مـــا نـــر
من مواد أومن هذا العالم الخارجي . يرى ديكـــارت أن ذلـــك راجـــع إلـــى النـــور الفطـــرى
والذى هو من الله ومن هنـــا فحقـــائق العـــالم الخـــارجى حقـــائق ثابتـــة لأن حكمتـــه تعـــال
أسمى من أن توقع الانسان (النفس) فى الخطـــأ . حتـــى يعتقـــد بحقـــائق ليســـت إلا أوهام
وخيالات ومعى هذا أن كل الأفكار الموحى بها للنفـــوس البشـــرية هـــى حـــق ويقيـــن . فالله
تعالى لا يخدعنا فالثقة فى الله هى الاساس لإثبـــات العـــالم الخـــارجى . [١]

ثالثاً (ثنائية الوجود)

العلاقة بين النفس والجسم

مضى بنا الكلام علـــى نحـــو خـــاص عنـــد ديكـــارت حيـــث اعتـــبر أن النفـــس مـــن عـــا
الروحانيات والجسم من العالم الخارجى والأول صفته الجوهريـــة هـــى الفكـــر والثـــانى صفتـــ
المميزه له هى الامتداد . ولكن هل هناك بينها من علاقـــة اتصـــال أو تنـــافر .... الـــخ

واجه ديكارت أمرا فى غاية الصعوبة ولكنه انتهـــى إلـــى أن الجســـم يؤثـــر فـــى النفـــس عـــن
طريق الحواس التى تنقلها اليها صور العالم الخارجى كما أن النفـــس تؤثـــر فـــى الجســـم عـــن
طريق الغدة الصنوبرية الموجودة فى مؤخرة أو مقدمـــة المـــخ والتـــى تتلقـــى وحـــى الايـــراد
وتنقله الى الجوارح والأعصاب . وهى الوسيط بيـــن الـــروح والجســـم .

---

[١] راجع اعلام الفلسفة الحديثة

* (ولم تكن وظيفتها معروفه في عصر ديكارت ولعله اسماها بذلك من خلال تشريحاته)

* فالروح بواسطة هذه الغدة هي بمثابة القائد للجواد الذى يوجه حركته الموجوده فيه ولكنه لا ينشئها من العدم فالروح عاجزة عن خلق حركة جديدة في الجسم لذلك فالجسم عاجز عن خلق أفكار جديدة في الروح (أى العقل) غير التي فيها . [1]

إشكال أول

مشكلة الاتحاد بين النفس والبدن

* أدى قول ديكارت بفكرة الجوهر والتى تصبّ أحيانا على الله وأخرى على الإنسان إلى التمهيد بفكرة وحدة الوجود . ولكن الكثيرين من الفلاسفة يرون أن مفهوم الجوهر عند ديكارت كما يقول لبار

(الإنسان جوهر مخلوق ولكن القول الدقيق هو أن التعريف الديكارتي للجوهر يحمل في طياته معنى الله فقط) .

وهذه المسأله لم يحلها ديكارت حلا حاسما وإنما زادها غموضا ونلاحظ ذلك من خلال خطابه إلى الأميره اليصابات سنه ١٦٤٣م (إنه لابد من التمييز بين أفكار ثلاث رئيسة تملكها النفس بطبعها فالنفس لديها فكرة عن ذاتها أو عن الجوهر المفكر ولديها فكرة عن الاجسام أو عن الامتداد) .

---

[1] راجع قصة الفلسفة الحديثة ٨١ وما بعدها .

ولديها أخيرا فكره عن الاتحاد بين الجوهر بين وتتمـــايز ميــادين الوجــود والمعرفــة بحســب اندراج كل منها تحت فكرة من هذه الأفكـــار الثــلاث :-

* فميدان الله يندرج تحت فكرة الجوهر المفكر وميــدان العلــوم الرياضيــة والطبيعــة يرتبــط بفكرة الامتداد ويبقى أن يكون الميدان الانســانى متدرجــا تحــت فكــرة الاتحــاد . فــى حيــن نراه ينهى الاميره اليصابات عن عملية التمييز بينهما لانهــا تــؤدى إلــى التنــاقض فــلا تفكــر فيها فى أن واحد ولا تفضل بينما . فلا تميز عند مراعـــاة الاتحــاد ولا اتحــاد عنــد التمــيز . بل انه يرى أن النفس موجودة تماما حتى ولو لم يكن الجســـد موجــود التبتــه .

وقد مهد هذا القول للفلسفات التى اتت من بعد ديكارت طريقــا رحبــا للمحاولــة مــن خلالــه . ايجاد حلا مرضيا لهذا الامر كما عند سينيوزا - وليبنــتز - ومــا لــبرانش ..... الــخ .

وبهذا يكون ديكارت فشل فى هذه المسألة ولم يحددها تحديدا جامعــا مانعــا - لمــا يقــول [١]

إشكال ثان

لقد علمنا أن ديكارت قد اثبت وجــود اللــه عــن طريــق فكــرة اللانهــائى .... الــخ على حين أنه أثبت صدق الأفكار وصحتها عن طريــق الصــدق الالهــى فــأدى مســلكه إلــى الدور - والذى فحواه أن كلا من وجود الله وسلامة الأفكـــار يتــوقف كلاهمــا علــى الأخــرى وهنا يلجأ ديكارت إلى التمييز بين نوعيين مـــن الافكــار

---

[١] راجع ديكارت - نجيب بلدى ص ١٢٨ .

* **أولهما** :- أفكار بدهية اثبت على أساسها وجــود اللــه

* **ثانيهما** :- أفكار غامضة اثبت سلامتها علـى أسـاس وجـود اللـه يقـول د / عثمـان أمين في هذا (...... وإذن فديكارت يرد على من اتهموه بـالوقوع فـي الـدور بـأن المعرفـة الحدسية البديعية ليست بحاجة إلى أن تكون مضمونـة مـن الصـدق الإلهـي وانمـا المعرفـة الاستنباطية وحدها بحاجة إلى ذلـك الضمـان . [1]

رابعاً :- المادة والطبيعة

يقرر ديكارت أن الطبيعة المادية والتي خصص لها الجزء الاكبر من الفيزيقا واطلق عليهـا فـي رسائله إسم فلسفة تتكون من ثلاثة أقسام رئيسية

أولاً	ثانياً	ثالثاً
كتل متماسكة	ذرات يراها الأحتكاك	مادة لطيفة
العنصر ثالث ترابي نشأت الاجسام السائلة وغير السائلة	العنصر الثاني نشأ الهواء	الأثير عنصر أول نشأت النار والنجوم

---

[1] ديكارت - د/ عثمان أمين ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

الخـلاء مستحيل

يرى ديكارت أن المادة لا تترك فرصـة للخـلاء (المكـان غـير الممتلـىء) ومـن التنـاقض القول بمكان خال لأن المكان نفسه مادة والمادة تشغل حيزاً من الفـراغ وهـذه المـادة صفتهـا كمـا علمنـا مـن طـلال رمـز الشـمعة) صفتهـا الإمتـداد // وتتحكـم فـي توجيـه المـادة قوانيـن الحركـة وهـي ثابتـة (أى قوانيـن ثابتـة) وخلاصـة هـذه القوانيـن الحركية الخاصة بالمـادة .

* أن كمية الحركة فى الكون محدودة لا تزيد ولا تنقص وان كـل جسـم يحتفـظ بوصفـه مـن الحركة والسكون ولا يتجه إلى ضد وضعه إلا بواسطة مؤثـر آخـر وأن العـالم مـا هـو إلا كل متماسك قابل للإنقسام إلى ذرات لا متناهية فـي الدقـة والصغـر .

وقد مضى بنا الكلام على الفرق بين الإنقسـام الـذرى عنـد الذريـين وعنـد ديكـارت فيمـا يخص المادة

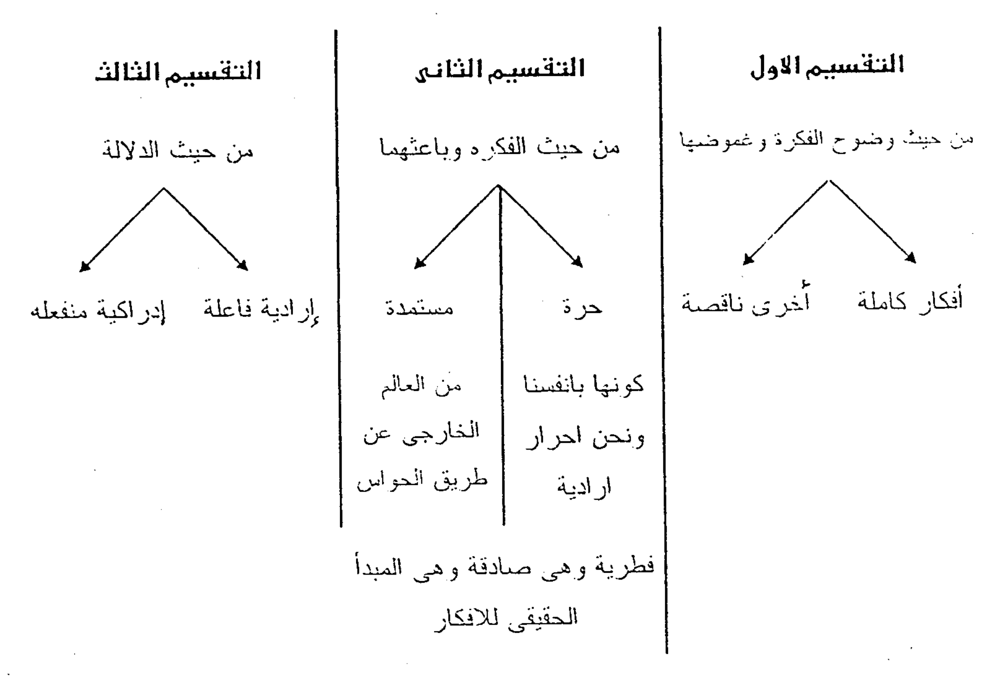
*بين أرسطو وديكارت فى الظواهر الطبيعية

بينما كان أرسطو يرجع التغيير فى الظواهر الطبيعية لإلتقاء المادة بالصورة وهى فكرة غامضة مع إسنادها إلى قوانين غيبية نرى ديكارت ينادى بالتجربة المباشرة لتفسير الظواهر الطبيعية وقد مارس بالفعل عملية التشريح لبعض الحيوانات ليظفر بمكان المخيلة والذاكرة ولقد سخر كثيرا من علماء عصره الذين لا يستخدمون التجربة فى ابحاثهم . ولقد أنتهت أبحاثه فيما يخص الطبيعية إلى تفسير سلوك الكائن الحى بالالية المطلقة . ومثاله فى رؤيه الحمل للذئب فانه يعدو سريعا ليبتعد

عنه . وليخظى بالنجاة من خطر الذئب . وذلك لتخيله أنه مصدر الخطر الحقيقى فهذا مؤثر خاص آلى عند الحمل وغيره[١] .

خامساً :- الأخـلاق

رتب ديكارت على موضوع العلاقة الثنائية بين النفس والجسم موضوع الاخلاق والتى تنقسم عندة إلى تقسيمات متنوعة



---

[١] راجع أعلام الفلسفة الحديثة ص ٥٧ وما بعدها .

وتتخلص الأخلاق عنده (فى السيطرة على العواطف وفيما ينتج عن ذلك من رغبه فيما نعلم أنه خير وحق هذة الرغبة فى أن نحيا حياة فاضلة ينشأ عنها إطمئنان الضمير وهو أوفى جزاء للأخلاق [١]

ومن هذا الإطار نرى أن ديكارت يفسر عملية الاخلاق فى اطار الآلية البحية. وذلك لأن الحواس تنقل صور العالم الخارجي على حين تتساوى الحركة الدائمة فى داخل الإنسان وذلك عن طريق القلب الذى يدفع الدم الى الاوردة والشراين يفضل ما فية من الحرارة والطبيعية .... ويبرد الدم بعد عن مصدرة ذلك حتى يصل الى المخ حيث تتكون الروح الحيوانية وهى المهندس المشرف على سلوك الإنسان ثم يعد الدم الى القلب حيث تتكون ما يعرف بالعواطف . وفى هذا الإطار تعمل الغدة الصنوبرية على تلقى صور الأشياء ثم ترسل وحى الإرادة إلى الجوارح والاعضاء فالإرادة مسبوقة دائما بالادراك .

• ويرى أيضا أنة يمكن للعقل أن يسيطر على عواطفه كما يستطيع الإنسان أن يروض أعلف الكلاب فإذا ما تم هذا انقلبت العواطف إلى صورة خيرة ويقوى هذا الأمر ويثبت لدى النفس عند تمثيلة واقعا جميلا ومن هنا فلا يكف أن تعلم الخير بعقلك بل يجب أن ترغب فية بعواطفك , أيضا .

---

[١] قصة الفلسفة الحديثة ص ٨٣٣٨٢

هامش

* الروح الحيوانية ليست سوى جزيئـــات لطيفـــة رقيقـــة مـــن الـــدم تتحـــرك بســـرعة خـــلال الأعصاب وقد أشار إليها جالينوس وتبعه فى ذلـــك الإســـلاميون وفلاســـفة القـــرون الوســـطى مما يؤيد دعوى القائلين بأن فلسفة ديكارت لم تكن خالصة مـــن شـــوائب العصـــر المدرســـى •

راجع فى ذلك

١- الفلسفة الحديثة أبـــو ريـــان - ص٨٨

٢- أعلام الفلسفة الحديثة - ص٥٧ ومـــا بعدهـــا

٣ _ قصة الفلسفة الحديثـــة ص٨٣

٤ _ المقال عن المنهج _ ديكارت ترجمة الخضيرى ص٥٧ ، ٥٨ القسم الرابع

فلسفة ديكارت فى الميزان

إن المستعرض لآراء ديكارت حول الفلسفة الحديثـــة يـرى أن لـه آراء تجعلـه وتضـعـه كأب للفلسفة الحديثة وأخرى قد قلد وتابع فيها غيره وإليك طرفـــاً مـن ذلـك .

فترجع أهمية المذهب الديكارتى فـى أنـه -

أولا :-واجه مشكلة المعرفة مـن ناحيتـها المعقـدة وأشـار الـى ادراك النفـس للواقـع او للحقيقة فى حالة تكـون النفـس فيـها منفصلـة عـن العـالم الخـارجى و عـن النفـوس الأخرى وعن أعضاء الحـس .

ثانيا :-رفض إتجاهات كثيرا من الحدسيين وتجنب تـأثير النزعـات الصوفيـة.

ثالثا :-رفض الموضعية التى تعـرض حقـائق الواقـع دون ربـط بينـها عـن طريـق الفكرة كما فعل بيكـون .

رابعا :-كانت فكرته عن الحدس (القـوة المباشـرة) ومنهجـة الجديـد بمثابـة اشـعال شمعة لغيره ممن اتى بعـده

خامسا : -ركز فى نظرياته علـى الرياضـة وجعلـها الأسـاس الاول الـذى يجـب أن يحتذى به فى المعرفة وإن قلل بعض الفلاسفة مـن هـذه الوجهـة لتغالفلـها عـن العلـوم الأخرى والمعارف الأخـرى.

سادسا:-ساهم فى العلـــم مســـاهمة خصبـــة ووضـــع فلســـفة تؤيـــدة وتحميـــة و ترفـــع الفردية من مستوى العاطفة و الارادة الغامضـــة الـــى مســـتوى الحـــق و القـــانون فوضـــع دستور الفكر الحديـــث

***والسؤال الذى يطرح نفسه وهو هل أتـــى أبـــو الفلســـفة الحديثـــة بجديـــد فـــى فكـــرة والحقيقة يمكننا أن نفق عليها من خلال مـــا يلـــى:-**

أولاً :- نلاحظ سبق المنهج الاســـلامى لقواعـــد ديكـــارت المنهجيـــة . ونجـــد ذلـــك فـــى الكثير من ايات الذكر الحكيم منها على ســـبيل المثـــال لا الحصـــر .

قوله تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عـــالم الغيـــب والشـــهادة هـــو الرحمـــن الرحيـــم . هو الله الذى لا إله إلا هـــو الملـــك القـــدوس الســـلام المؤمـــن المـــهيمن العزيـــز الجبـــار المتكبر سبحان الله يشـــركون .) .

هو الله الخالق البارئ المصـــور لـــه الأســـماء الحســـنى يســـبح لـــه مـــا فـــى الســـماوات والارض وهو العزيز الحكيـــم.) . [١]

ثانياً :- كان ديكارت مسبوقا فـــى شـــكه المنـــهجى بالامـــام الغزالـــى غـــير أن الامـــام احتمى بالتجربة الصوفيه وديكارت لجأ إلـــى العقـــل .

أما الشـــك لـــذات الشـــك فقـــد تكلـــم فيـــة السوفســـطائيون ومونتـــانى المفكـــر الفرنســـى وغيرهمـــا[٢]

---

[١] **الايات من سورة الحشر من ٢٣ إلى ٢٤ .**

[٢] **يطلب من الأبناء الأعزاء اعداد بحث حول الشك بين الغزالى وديكارت**

ثالثا : إنه لا يتحتم وجود مدلول خارجي لكل فكـــرة ذهنيـــة كمـــا تصـــور النـــاس قديمـــا وجود الغول والعنقاد .....الخ مع أنها ليست لها وجـــود فـــى الخـــارج ممـــا اوقعـــهم مـــى الخطأ. كذلك نرى ديكـــارت يســتدل علـــى وجـــود الله تعـــالى بفكـــرة الامتنـــاهى وهـــى تفترض ان تكون لكل فكرة ذهنية مدلـــبول خـــارجي وهـــى فـــى رأيـــة تقتضـــى وجـــود لامتناهى فى كمالاتة السامية وهو الله تعالى .ورغم مـــا اجـــاب بـــه ديكـــارت عـــن فكـــرة الكمال وكونها بسيطة الإ أن إجابته زادت الامـــر غموضـــا وخفيـــة

رابعا:- ما إستدل به أيضا علـــى وجـــود الإلـــه مـــن خـــلال بيـــان النقـــص الإنســـانى وحاجته الى من يسد طاقته ويكمل نقصه هو فـــى صحيحـــه منـــهج إلـــهى رســـمة القـــران الكريـــم فـــى أكـــثر مـــن موضـــــع منـــــها علــــى ســـــبيل المثـــــال لا الحصـــــر قوله تعالى (الذى خلقنى فهو يـــهدين والـــذى هـــو يطعمنـــى ويســـقين وإذا مرضـــت فـــهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيينـــى ...) فقـــد عرضـــت الآيـــة لطائفـــة مـــن النقـــائص التـــى تلحق بابن أدم وهكذا ينفرد الله عز وجل بالكمال وحـــدة فـــهو الموحـــد .

خامسا:- إن ما عول علية ديكارت فـــى عمليـــة النقـــص البشـــرى هـــو النقـــص النفســـى دون المادى إذا الأول يتعلق بالنفس والثانى بالجسم والجســـم قـــد جعلـــة ديكـــارت ضمـــن العالم الخـــارجى .

سادسا:- إن ما استدل به ديكـــارت علـــى وجـــود الله مـــن خـــلال مـــا يســـمى بـــالدليل الأنطلوجى والـــذى يرتكـــز علـــى فكـــرة ان مجـــرد قصـــور صفـــات الكمـــال يســـتلزم بالضرورة إسقاط الالوهية او إثبـــات وجـــود الله .

نقول هذا الدليل على الرغم ما قيل فية فإن اســـتخلاص فكـرة الوجـود الالــهى لا تكــون الامن خلال الوجود الذهنى لا الوجود العَينـــى كمـــا يقولـــون[1]

يقول كانت (كانط) عن هذا الدليـــل

(إن ذلك الدليل الانطلوجى الذى امتدحه الناس كثــيرا والــذى يزعــم أن يثبـت بواسـطه تصورات وجود كائن متعال ليـــس الا مضيعـــة للوقــت والجـــهد ولــن يصبــح الأنســان اوفر معرفة بمجرد معان كما ان التاجر لـــن يصبـــح اكــثر مـــالا إذا خطـــر لـــة ان يزيـــد فى ايرادة فأضاف إلى دفتر الحساب بضعــــة أصفـــار)

سابعا :- إن فـــى الأديـــان مجــرد تنبـــهات لاســتحضار الامــر الفطـــرى الخــــاص بوجود الالـــه وهـــذا الاســتحضار قـــد كشـــويه غيابـــات الجاهليـــة كالبيئـــة وغيرهـــا ... وهـــذا يجعلنـــا نفســر وجــود الملحديـــن والمعطليـــن ... والمنكريـــن لوجـــود الإلــــــه.

فعبدو الكواكب والأبقار فهذه الفكـــرة الفطريـــة عنـــد ديكـــارت ليســـت مـــع مســتوى واحد عند جميع البشـــر . [2]

ثامنا :- فكرة الغدة الصنوبرية والتى عدها ديكارت كشـــفا علميـــا ليفســر مـــن خلالـــها العلاقة بين الجسم والنفس إلا أن كشفة هذا منـــوط بـــالغموض فليســـت تلـــك الغـــدة محـــل اتفاق بين العلماء كما أنه لم يحدد طبيعتها تحديــــدا دقيقـــا .

---

[1] راجع ديكارت -عثمان امين ص١٧٤ او ما بعدها

[2] راجع أعلام الفلسفة الحديثة ٦٣ وما بعدها .

تاسعا :- فكرة استقلال النفس عن البدن فكرة قديمة سبق اليها ديكارت من ابن سينا والقديس اوغسطين والإمام الغزالى وغيرهم ويمكننا ان نعود للوراء حيث برهان الرجل الطائر لابن سينا [1]

يجب إن يتوهم الواحد منا كأنه خلق دفعة وخلق كاملا بصره عن مشاهدة الخارجات وخلق يهوى فى هواء أوخلاء هويا لا يصدمه منه قوام الهواء صدما يحوجه إلى أن يحس وفرق بين أعضائه فلم تتلاقى ولم تماس ثم يتأمل أنه هل يثبت وجود ذاته فلا يشك فى اثباته لذاته موجودا ولا يثبت مع ذلك طرفا من أعضائه ولا باطنا من احشائه ولا قلبا ولا دماغا ولا شيئا من الأشياء من خارج . بل كان يثبت لها طولا ولا عرضا ولا عمقا ....[2]

عاشراً :- كذلك سبق ديكارت فى إرشاده وتقريره صفه الامتداد الذهنى – للمادة نقول إنه سبق بابن طفيل يقول ابن طفيل (فنظر هل يجد وصفا واحد يعم جميع الأجسام حيها وجمادها فلم يجد شيئا يعم الاجسام كلها إلا معنى الامتداد الموجود فى جميعها فى الأقطار الثلاثة التى يعبر عنها بالطول والعرض والعمق فعلم أن هذا المعنى هو للجسم من حيث هو جسم)[3]

حادى عشر :- سبق ديكارت فى أخلاقة حيث الروح الحيوانية والتى قرر سيادتها على الجوار فى الأعضاء فقد سبقه إليها سقراط حيث ذكر إن الفضيلة هى المعرفة

---

(١) راجع رسالة فى النفس وبقائها د / الاهوانى - ٩٠ ط الاولى - احياء الكتب ١٩٥٢ م .

(٢) راجع الشفاء لابن سينا .

(٣) راجع المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٢٤٨ د/ محمد غلاب ط الدار المصرية للتأليف والترجمة

راجع : الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقة د / مدكور ص ٢٤ .

راجع قصة حى بن يقظان - ابن طفيل

كما أنه تأثر بأُرسطو فى ثنائية الوجود المكون مـــن عنصريـــن همـــا المـــادة والصـــورة أو المادة والعقل أو القوة والفعل وحتى فكرة الامتداد الســـالف ذكرهـــا قررهـــا ارســـطو مـــن قبل كذلك كلامه عن عدم وجـــود خـــلاء .

ثانى عشر :- يلاحظ عدم التماسك فى كتابه مقالـــة عـــن المنـــهج

ثالث عشر :- قامت فلسفة ديكارت فى بعض جوانبها علـــى اســـاس مـــن الاحـــلام التـــى وعدته باقامه العلوم على اساس علمـــى بديـــع .

رابع عشر :- إن منطقة (الكوجيتو) منطق لا يرتفع عن النقـــد بـــل يتـــهاوى امامـــة .

خامس عشر :- إن حديثة عن الاخلاق متنـــاقض لانـــه لا يوافـــق مجتمعـــه وعليـــه فقـــد كان مغايرا للمجتمع الذى يعيـــش فيـــه .

سادس عشر :- انتقد بسكال سنه ١٦٦٢م ديكـــارت بشـــده علـــى اليتـــه الشـــاملة ورأى انه لم يترك لله أى دور فى العالم والعقل عنده يرتبـــط بـــالخير لانـــه وحـــدة العـــارف لـــه الذى يأمر بـــه .

سابع عشر :- لم يوفق ديكارت إلى مثل إتـــزان أرســـطو وتواضعـــة فقـــد علـــى فـــى طلبه المعقوليـــة واراد أن يكـــون علمنـــا كلـــه لاميـــا أولاً يكـــون أصـــلا . فأحـــال العلـــم الطبيعى علما رياضيا بحتـــا .[1]

---

[1] **تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٨٥ وما بعدها .**

ثامن عشر :- استبعاد المنطق القديم عند ديكارت والذى يقر ان الموجودات لها طبائع وما هيات وخواص على عكس تقريره للأجسام الخارجية ووضعها بالالات فهى نظرة مركبات صناعية خاليه من كل طبيعة أو ماهية. [١]

تاسع عشر :-

لا يمكن للمرء أن يعدم الصلة بين الشرق والغرب فى العالم البحث والتفكير فهذه الصلة صارت عبر العصور الموغله فى القدم وقد تجددت فى العصور الوسطى فماذا يمنع أن تمتد إلى التاريخ الحديث. [٢]

عشرون :- قضى ديكارت بنظريته عن المادة وامتدادها على الصفات الخفية أو الكامنه للأشياء ووضع التخطيط للتميز بين الصفات الأولية والصفات الثانوية للأشياء وقد اتم لول هذا الدور . وبهذا يكون قد قضى على ما أدعاه وقرره أرسطو وفلاسفة العصور الوسطى غير أن ديكارت قد أبقى على الامتداد الهندسى فاللون والطعم والرائحة صفات لا تخص الموضوع وانما تخص الذات وليس لها وجود فى ذاتها وانما وجودها فى أذهاننا فقط فهى مرتبطة ارتباطا وثيقا باحوال النفس. [٣]

- ومن كل ما سبق فانه لا يمكن فهم الفلسفة الديكارتيه والتى يتناهى من أثر من بعد ديكارت إلا بمراعاة وفهم آراء ديكارت .

---

(١) نفسه ص ٨٥ .

(٢) راجع فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقة ص ٣٤

(٣) راجع تمهيد للفلسفة د/ زقزوق ص ٢٧ وما بعدها - ط دار المعارف .

إطلالة موجزة

على

الشك الغزالي والشك الديكارتي

عصره :-	عصره :-
آراء متناقضة ومتباينة كل فريق يدعى أنه على حق وأن غيره على باطل ومن هنا كانت مهمة تجديد الفكر واجبا يسعى إليه الغزالى ليحطم مالدى الزنادقة وغيرهم وغلب على عصره المشكلات الدينية وقد كانت هناك ثلاثة إتجاهات من نوع دينى هى اتجاهات المتكلمين - الباطينه الصوفية . وقد كان الغالب عليهم إتجاه التقليد فرفض الغزالى كل ذلك ودعا إلى مذهب جديد .	آراء تناقلها الخلف عن السلف من ساروا على نهج ارسطو والمدرسين ناهيك عن موجه الشك الارتيابى والاستقرار وقد كان الغالب على عصره الاكتشافات الهامة فى مجال العلوم الطبيعية وشروحها مما شكك فى الآراء والتصورات المسيحية بوجه عام .
• الإجابة عن مسائل دينية متيافيزيقية دفعه إليها العصر الذى كان يعيش فيها .	* إبتداء علمى نظرى خالص كان هدفه البحث عن علم كلى شامل يستطيع فى النهاية أن يصل إلى معارف دينيه وقضايا عنصور به عن طريق الاستنباط والحدس .
الاشتراك فى الطريقة الفلسفية الحقيقية التى بوسطتها التوصل إلى الحقيقة .	الاشتراك فى الطريقة الفلسفية الحقيقية التى بوسطتها التوصل إلى الحقيقة .
• دعا إلى الاستقلال اعقلى يقول الغزالى (فجانب الالتفات إلى المذهب واطلب	* كذا كان الامر عند ديكارت دعا إلى الاستقلال العقلى يقول ديكارت

الحق الحـــق بطريـق النظـر لتكـون صاحب مذهب ولا تكن في صورة اعمى تقلد قائدا يرشدك إلى طريق وحولك الف مثل قائدك ينادون عليـك بأنـه أهلكـك وامتلك عن سوء السبيل . ومن هنا فقـد جـانب السفسـطة التمـي نـادى بـها الارتيابيون). ونراه يقول من قلدا عمـى فـلا خـير فـي متابعـة العميـان . رحمــــة الله .... والإ فالسو فسـطائي كيـف ينـاظر ومناظرتـه اعتراف بطريق النظـر .)	(فأنني تعلمت ألا أعتقـد اعتقـاداً جازمـا في شئ ما يحكم التقليـد أو العـادة وكذلـك تخلصت شيئاً فشيئاناً مــن كثـير الأوهـام التى تستطيع أن تخمد فنيا النـور الفطـرى وتنقص من قدرتنا على التعقـل) .

دعـا الغزالـي للشـك المنـهجي وليـس للشك الا رتيابي الـذي يتكـر كـل حقيقـة وينكر امكانية الخروج مـن دائـرة الشـك . ومن هنـا نلاحـظ قـول الامـام الغزالـي اذالشكوك هى الموصلة الى الحق فمـن لـم يشك لم ينظر ومن لـم ينظـر لـم يبصـر ومن لم يبصر بقـى فـي العمـا والضـلال (مـيزان العمـل) ص ٤٠٩ فـارادة الحقيقة هي الـذى دفعتـه للشـك فـي اراء عصره رغبة الوصول للحـق . وقـد شـبه تلك المعـارف المتنوعـة بـالبحر العميـق	دعـا ديكـارت للشـك المنـهجي المرتـب بعيدا عن دائرة الشك الارتيـابي وقـد شـبه شكوكه في المعارف بالبحر العميـق الـذى وجدناه عند حجة الاسـلام الاسـلام حيـث يقول عنه (إن اكـثر البـاحثين قـد لاقـو حتفهم فيـه) وبوجـه خـاص تشـير إلـى عصر الرجل دفعـة للشـك المنـهجي فـي وجـه الشـك الارتيـابي والـذى تزعمـه الشكاك بقيادة مونيتنى وكانوا ينكـرون أيـة إمكانية للوصول إى الحقيقـة .

الذى غرق فيه الاكثرون وما نجـــا منـــة الا الاقلـون .

* تشابة عبارات الاســتقلال العقلــى عنــد الغزالى وديكارت يقول) فاعلم يا أ خى أنــك متى كنت ذاهبا الى تعرف الحق بالرجال مـن يعيتر تك فقد ضل سعيك .... فمن عول على التقليد هلك هلاكا مطلقا .

• من هذه الاطار نلاحظ قول ديكارت (إن الانسان الذى لا يتفلسف انسان لا يستخدم عينيه عند المشى بــل يغمــض عينيــه ويسير بعين شخص أخر)

ويقول ايضا وكانت رغبتــى شــديدة دائمــا فى أن أتعلم كيف أميزا الحق مـــن البــاطل كى اكون على بصيرة فــى أعمــالى ولكــى أسير على هدى فى حيـــاتى .

الشك بين الغزالى وديكارت

• استخدم الاسلوب الامثل فــى الوصــول الى الحقائق مـــن حيــث انتقالــه مــن الحسبات -الى العقليـــات ..

• إن العقل عند الغزالى قاصر علــى ادراك المسائل الإلهية التى لا نعرفــها الا مــن خير السماء الموحى به لتي معصوم أنتى به الطريق إلى المنهج الذوقى

• إن الحواس وســـائل للمعرفــه اليقينيــة بــالله عــزو جــل . ولا بــد مـــن . استخدامها استخداماً مناســـبا .

• يكاد يكون ديكارت قـــد اســخدام الــى حدكير منهج الغزالى فـــى الشــك مــن اجل تاسيس المعرفة الحقـــه ...

• نحى ديكارت حقائق الوحى عن مجـــال العقل لانها فى رأية لا تــدرك إلا بمــدد السماء خارق للعادة فــارتد بــهذا الــى النزعة اللاعقلية فى مجال الدين ..

• انتهى به الطريق إلى المنهج الرياضى .

• يؤمن ديكـــارت بــإن الإلــه لا يمحنــا ألات خادعة مضللــة حقيقــة أنــها قــد

- سبق الغزالى ديكارت فى رسم طريق قويم للمعرفه وفى تحديد مكانة العقل والكشف عن جوانب القصور فيه .

- خرج الغزالى من شكه بنور الله ونور الله هذا لا يعرفه العلم . فهو ليس بدليل مجرد ومن قال بذلك فقد ضيق رحمة الله الواسعة وفى هذا ينقل قول النبى صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الشرح فى قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ......) ( ) قال نور يقذفه الله فى القلب فيشرح به الصدر فعيقل وما علاقته ، قال التجافى عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود.

- كان الغزالى سببا فى خمود الفلسفة فى المشرق بسبب حملته التى شنها على الفلاسفة وكفرهم فى مسائل معلومه كالقول بقدم العالم وعلم الله بالجزيئات لا الكليات ، والحشر الروحانى لا الجسمانى

- لم يفكر الغزالى فى وضع العلم

تعطينا معرفه ليست يقينه لكنها وسيله الى المعرفه ولا يمكن تجاهلها على الرغم من قصورها .

- استعمل ديكارت العقل والمنطق والدليل المرتب فى الخروج من شكوكه .. حيث بدأ شكوكه .. إثبات النفس ثم ثنى ذلك باثبات وجود الله ثم اثبات العالم الخارجى

- كان ديكارت سببا لنهوضها فى الغرب

- كانت وجهة ديكارت الوصول بالعقل الإنسان لدرجة عليا قوامها تطهيره من ادرانه كما فعل بيكون واراد

على أساس جديد ولكنه انتظر هداية الله والله يهدى من يشاء .. كانت عقيدة الامام الغزالى ثابتة لم تزحزح حول إيمانه بالله وبالنبوة واليوم الآخر ...

فهو يقول عنها (... فهذه الثلاثة كانت رسخت فى نفسى لا بدليل معين محرر بل بأسباب وقرائن وتجاريب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها) المنقذ (١٤٧)فلم يك شك الغزالى شك زندقة لانه لم ينف العقيدة صراحة

* كتب د/ زقزوق فى نتائج بحثه

أن أحد الباحثين التونسيين رسول الكعاك قد عثر بين محتويات مكتبة ديكارت الخاصة بباريس على ترجمة لكتاب "المنقذ" للغزالى ووجد أن ديكارت قد وضع عند عبارة الغزالى المشهورة الشك أول مراتب اليقين وضع تحتها خطا أحمر ثم كتب على الهامش ما نصه (يضاف ذلك إلى منهجنا))

وضع منهج جديد يخالف فيه آراء المدرسين وغيرهم إلا وهو الاسلوب الرياضى لأنه فى نظره يعصم الفكر عن الخطأ والضلال وقد مر بنا قواعد التى وضعها ...

كانت دعوة ديكارت إلى الوصول للحقيقة عن طريق نور العقل الفطرى ودعا إلى تضيق مجال الشك وحصره بحيث لا يمتد الي الحياة اليومية ومن هنا فقد حاول ديكارت الوصول الى الحقيقة اليقينه عن طريق قوة العقل الفطرية والتى يساء استخدامها وتوجه توجيها يبلغ بصاحبها مرتبة العجز فإن الغزالى أيضاً حاول الوصول إلى حـ الفطرة الأصلية وما يعتريها من أو واغشية تحجبها عن الوصول الى الله عـ وجل.

راجع

- المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت . د/ زقزوق ص ٦ ط الانجلو المصرية الثانية ١٩٨١ م
- فلاسفة أيقظوا العالم . د/ مصطفى النشار ص ١٧٧ ط دار الثقافة ـ ١٩٨٨م

١٤٥

ثانياً: علم الأخلاق

بين النظرية والتطبيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ... وبعد ..

فإذا كانت الأمم تقاس بحضارتها فإنها أيضا تقاس بأخلاقها فلا أمل لامة ولانهضة لها إلا باعتدال أخلاقها،فإن ذهبت أخلاقها فلا فائدة ترجى منها بل يتعدى ضررها ويفوح كيرها ، ويخور بنيانها سريعا. والتاريخ خير شاهد على ذلك ولذا كانت هذه الصفحات بمثابة بيان لمنهج الإسلام فى إرساء الأخلاق بوجه عام. وذلك لأن الإسلام له قيمته الذ اتية فهو يحول الفرد من حيوان شهواني إلى إنسان ملائكي ومن بهيمة الغرائز إلى قمة العقل والروحانية.إنه يهتم بالإنسان باعتباره الخلية الحية في بناء المجتمع،فإذا صلحت تلك الخلية الأولى قام البناء عليها سليما كما أنه لا يقتصر على تنظيم السلوك لنيل السعادة في الدنيا بل للتمتع بها أيضا في الحياة الأخرى ...الخ والله أسأل أن يهدى أبنائنا وإخواننا إلى أحسن الأخلاق وأن يصرفهم عنهم سيئها وأن يكلل جهودهم بالتوفيق في شتى أمور حياتهم .

علم الاخـــلاق

مفهومه – موضوعه .

يقتضينا المقام ونحن بصدد الحديث عن علم الأخلاق أن ننوه على مفهومه وموضوعه:-

اولا:- مفهوم الاخـــلاق

الأخلاق جمع خلق وهو مأخوذ من الخلاقة بمعنى المرانة على الشيء حتى يصير عادة لمن يزواله .

وقد وردت هذه المادة (خ-ل-ق) ومشتاقتها في القرآن الكريم في مواضع عديدة بالضم تارة ،وأخرى بالفتح مع سكون اللام في كل.فمن ذلك قوله تعالى في مدح حبيبيه صلى الله عليه وسلم (وإنك لعلى خلق عظيم)[1] وقوله تعالى عن إبداعه وخلقه (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ([3]) وقوله تعالى أيضا في معرض حديثه عن الكفار وإنكارهم الوحدة الإلهية في قوله تعالى (إن هذا إلا اختلاق)[3] وقوله في مدح سير الأولين (إن هذا إلاخلق الأولين)[2]فهناك خلق بالفتح وسكون اللام،وهناك أيضا خلق بالضم مع سكون اللام يقول

---

[1] سورة القلم الاية (٤)

3 سورة لقمان الآية (١١)

[3] سورة ص الآيه (٧)

[2] سورة الشعراء الآية (١٣٧)

الإمام الغزالى رحمه الله (*)(الخَلْقُ والخُلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن خلقه وخلقه أي حسن الظاهر والباطن (٣)فالخلق بالضم تشمل

(*) عصـــره :

يعد القرن الخامس الهجري عصراً شائكاً فقد امتلأت الحياة فيه بشتى الثقافات المتنوعة حيث اشتعلت حركة الترجمة فيه عن الفلسفة اليونانية كما ظهرت فيه المذاهب الإسلامية المختلفة كما فتح فيه باب الإجتهاد ولكنه على الجانب المقابل كان عصراً مشوباً بالقلق والإضطراب إذ برزت فيه تعاليم وأفكار وفلاسفة اليونان واشتد فيه الجدل وتعالى فيه صوت المغالطة والسفسطة وظهرت طوائف عديدة . فلاسفة ودهريين وصوفية .... بحر عميق من الآراء غرق فيه الأكثرون وما نجا منه إلا الأقلون كما رأى الإمام الغزالي . ومن هنا فقد برز علم الكلام وظهرت الفلسفة الإسلامية وتوالت قضايا وراء قضايا بحث في الطبيعة وما وراء الطبيعة ومن هنا هيأ هذا العصر لبروز هذا العلامة في سماء العلم ألا وهو حجة الإسلام الإمام الغزالي .

مولـــده – نشأتـــه

ولد أبو حامد الغزالي في منتصف القرن الخامس الهجري سنة ٤٥٠هـ في طوس وهي مقاطعة في خراسان شمال شرقي إيران أما أسرته فقد كان والده كما ذكر السبكي في طبقات الشافعية كان يعمل في غزل الصوف ويطوف على المتفقهة ويجالسهم ويتوفر على خدمتهم ويجد في الإحسان إليهم والنفقة بما يمكنه عليهم وأنه كان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه إبناً فيجعله فقيهاً) (١)واستجاب المولى عز وجل لدعاء هذا الرجل فكان إبناه

فقيهين واعظين ولكن المنية عاجلته قبل أن يرى ثمرة دعائه وقد دلت القرائن العديدة على أن الإمام الغزالي كان صغيراً لم يبلغ بعد سن الرشد وقتئذ وكما هو دأب الصالحين الوصية لغيرهم حين موتهم ومن هنا فقد عهد الأب الصالح بالإبنين الغزالي وأخيه أحمد إلى أحد رجال الصوفية ليقوم برعايتهما على اكمل وجه وكان صوفياً فقيراً ونفد ما كان معه من مال موصى به من لدن الأب للإبنين فعهد الرجل إليهما عهداً يعينهما على طلب العلم والحصول على القوت الذي يسهل لهما السعي على العلم وكان إلتحاقهما بمدرسة من مدارس العهد التي كانت تعين الوافدين عليها بما يلزمهم من النفقة

رحلاته العلمية

تلقى الغزالي أولى نفحات العلم في طوس حيث قرأ في صباه على أحمد بن محمد الطوسي الفقه وكان أستاذ الأول يوسف المساك وكان صوفياً وصار فيما بعد إمام الحرمين ثم انتقل رحمه الله إلى جرجان حيث تلقى طرفاً من العلم على يد الإمام أبي نصر الإسماعيليّ وهو حينئذ لم يبلغ العشرين من عمره ثم عاد إلى طوس مرة أخرى ومكث بها ثلاث سنين بعد عودته من جرجان وكان ذلك إثر حادثة مشهورة أغتصبت فيها كتب الغزالي والتي تعلم منها كما يقول المؤرخون أن يستظهر كل ما يقع تحت يده حتى لا تصبح له حاجة إليه إذا ما تناولته أيدي العفاء) .[1] ثم قدم نيسابور حيث جالس إمام الحرمين ضياء الدين الجويني في المدرسة النظامية فدرس علوم الفقه والمنطق والأصول وظل ملازم له تى وافته المنية في سنة ٤٧٨هـ وهذه الفترة من حياة الغزالي رحمه الله إمتازت بالغزارة الثقافية العلمية إذ برع في أثنائها في المنطق والمحاورة وعرف مناهج الفلاسفة وطرق الرد عليهم وألف

عدداً لا بأس به من الكتب العلمية وقتئذ وكان خروجه من نيسابور خروجاً موفقاً إذ لحق بالوزير السلجوقي الذي عرف بتشجيع العلم والعلماء وكان إذ ذاك في الثامنة والعشرين من عمره وقد ملأت شهرة الغزالي وقتئذ أرض ملكه حيث سمع الثناء على عقله وعلمه وأدبه فأحضره مجلسه وكعادة الخلفاء والوزراء الحريصين على العلم فقد كان منتدى العلم حافلاً بظهور الغزالي ورفعته على أقرانه من علماء عصره المقربين من نظام الملك وكان ذلك لأن الإمام رحمه الله قد أخذ على عاتقه حمل العلم والتفقه فيه ما امكنه إلى ذلك سبيلاً فهو يقول (ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمراته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة وأقتحم كل ورطة وأتفحص عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار ومذهب كل فريق لأميز بين محق ومبطل ....) .[1] وقد خاض الإمام هذا البحر بكل ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم ولعل ذلك كان من كيان شخصية الرجل فهو يقول عن نفسه (وكان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري ....) [1] ومن هنا بدأت رحلة جديدة في حياة الإمام ألا وهي مرحلة الشك للوصول إلى الحقيقة الصائبة وقد كان الشك عند الإمام الغزالي رحمه الله يدب دبيباً في نفسه ومن هنا فقد طرح التقليد الأعمى والعقائد الموروثة المبنية على الضلال والخطأ وبدأ الإمام رحمه الله ينتقل في شكه من الحسيات إلى العقليات ... إلخ وفي هذا يقول (.... فلعل وراء إدراك حاكم العقل حاكماص آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه .....) [2] ثم

انتقل الغزالي في شكه إلى الحدس والتخمين ثم كانت عودته للضروريات في ثوب منظم بنور قذفه الله في صدره كما قال (وعادت النفس إلى الصحة والإعتدال ورجعت الضروريات والعقلية مقبولة موثوقاً وبها على أمن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل ولا ترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ومن ظن أن الكشف موقوف على الأمور المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة ولما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الشرح ومعناه في قوله تعالى ((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ....)) [١] هو نور يقذفه الله تعالى في القلب فقيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود .

وفاتـــــه

ترك الغزالي بغداد وتوجه إلى البيت الحرام مؤدياً شعيرة الله سنة ٤٨٩هـ ثم كانت رحلته إلى بيت المقدس فجاور به سنة ٤٨٨هـ حيث أناب أخاه في المدرسة النظامية ثم دخل دمشق مدة ثم عاد إليها معتكفاً في المنارة الغربية من الجامع ثم ذهب إلى الإسكندرية وأقام بها مدة ويقال أنه كان ينوي الرحلة إلى السلطان يوسف بن تاشفين لما بلغه من عدله ولكنه سرعان ما عاد إلى بغداد وعقد بها المجالس وتكلم فيها كلام أهل التصوف متحدثاً عن كتابه الإحياء ثم عاد إلى خرسان ودرس بالمدرسة النظامية في نيسابور ثم رجع إلى طوس واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ومركزاً للصوفية ووزع أوقاته على ختم القرآن الكريم ومجتمعة أرباب القلوب إلى أن توفى رحمه الله بطوس يوم الإثنين الرابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ ومشهده يزار بمقبرة الطايران .

رحم الله الإمام الغزالي رحمة واسعة وجزاه الله عنا وعن طلاب العلم خير الجزاء .

مؤلفات الغزالي

كتب حجة الا سلام مو لفات عد يدة أوصلها البعض إلى المسلمين وبعضهم إلى المائة وفي هذا الإطار نذكر أهمها فيما يلي :-

في الفلسفة :

١ - المعارف العقلية والحكمة الإلهية .

٢ - مقاصد الفلاسفة .

٣ - تهافت الفلاسفة .

٤ - المنقذ من الضلال .

٥ - فاتحة العلوم .

٦ - حقائق العلوم لأهل الفهوم .

٧ - مكاشفات القلوب .

٨ - رسائل في مواضيع مختلفة في الفلسفة والجدل .

في الأخلاق والتصوف

١ - جمع الحقائق بتجريد العلائق .

٢ - إحياء علوم الدين .

٣ - بداية الهداية .

٤ - ميزان العمل .

٥ - كيمياء السعادة .

٦ - التبر المسبوك من نصيحة الملوك .

٧ - سر العالمين وكشف ما في الدارين .

٨ - ايها الولد

٩ - معارج السالكين

١٠ - مشكاة الا نوار

١٠ مداخل السلوك الى منازل الملوك

١١ - كتاب الز هد الفاتح

١٢ - كتاب منهاج العابدين

الدين والطبع والسجيه وا لمروؤة والتعادة وبالفتح مع سكون اللام تعنى التقدير والخلق إبداع الشي على غير مثال سبق ولذا لم يقل أحد خلقت نفسي، والخليقة الحقيرة المخلوقة في الأرض وقيل هي البئر ساعة تحفر ، والاختلاق هو الافتراء والابتداع والكذب .[٤] . .الخ وهذه المفاهيم اللغو ية بينها تقاربا واضحا ونلاحظ ذلك فيما يلى :-

---

في الدين و الالهيات .

١- كتاب جواهر القران ٢- كتاب فضائل القران

٣- كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة .

٤- كتب الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية

في الفقه :

١- كتب البسيط في الفروع على نهاية المطلب لإمام الحرمين .

٢- كتاب الوسيط لأقطار البسيط .

٣- كتاب الوجيز ٤- كتاب المستصفى في علم الأصول .

٥- كتب النحول في الأصول .[١]

(3) راجع العزلة عند الصوفية د/ثروت حسين سالم /حولية كلية الدراسات العدد سنة --- ٢٠٠٢

(4)

الطبع :- عبارة عن الصفة الراسخة التي جبل عليها الإنسان دون إرادة منه وهى صفاته النفسية والخلقية، والطبع يتناول ما له شعور وإرادة وما لاشعور له بينما الطبيعة فى اكثر استعمالاتها مقيدة بعدم الإرادة . (١)

وأما العادة :- فهي الصفة الراسخة في النفس المكتسبة بالإرادة عن طريق المران بالتدريب فلها أصولها الفطرية ولكن إشباعتها سلوكية ولها أهميتها البالغة فى توجيه أفعال المرء وسلوكه وتكوين أخلاقه وهى أساس لترقيه وتقدمه أو جموده وتدهوره .

وأما السجية :- فتشمل المطبوع والمكتسب معا وهى عبارة عن مجموعة مقومات عقلية وعاطفية وشخصية . فهي تقوى بشيء من التربية الهادفة
وأما المروءة :-فهى مأخوذة من قولهم مرأ الطعام أي قطعه وهى تعنى الكرم وحسن الخلق يقال إنسان ذو مروءة أي صاحب أفعال حسنة .(٢)

*وأما الدين فمعناه واسع كل مايدين به الإنسان ويعتقده اعتقادا راسخا حتى يصير بالنسبة له عادة وطبعا .

وعصارة الأمر اللغوي أن الخلق فعل إنساني فيه مروءة مضبوطة بقوام الدين حتى يكون الفعل ممدوحا أو مخالفا لقواعد الدين فيكون قبيحا ومنه (ولما كان الخلق فعلا داخليا له اثارا خارجية تترجمها السلوكيات المختلفة كان تعلقه بالبصيرة وأما الخلق بالفتح فتعلقه بالبصر الخارجي لاغير .فما كان بالبصيرة فهو اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر .)

---

(١) المعجم الفلسفى. عبد المنعم الحنفي - ص ١٨٤. ط - الدار الشرقية . ١٩٩٠م.
(٢) راجع المعجم الوجيز - ص - ٣٠٤ - لوزارة التربية والتعليم . ايضا مختار الصحاح مادة خلق .
(٣) - راجع احياء علوم الدين - الغزالى - جـ ٣ - ص ٧٧.

الأخلاق في الاصطلاح : -

عرفها ابن مسكوية رحمه الله بأنها :- حال للنفس داعية إلى أفعالها من غير فكر وروية (ومنها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شئ نحو الغضب،ومنها مايكون مستفادا بالعادة والتدريب وهذا مبدؤه الروية والفكر،ثم يستمر عليه حتى يصير ملكة وخلقا ..)(١).وتعريف "ابن مسكويه" رحمه الله يدور حول الجانبين الغرزى والمكتسب وإن لم يتطرق إلى الحكم على السلوك فذلك متوقف على ماتدعو إليه النفس من سلوكيات .

ويزيد الغزالى رحمه الله فيقرر أن الخلق(هيئة راسخة فى النفس عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية ، فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا)(٢)وهذا التعريف يشاركه تعريف الجرجانى رحمه الله(٣) .ونعود أدراجنا الى الإمام الغزالى والذى يضع جمالا لتعريفه بقوله (وإنما قلنا هيئة راسخة)لأن من يصدر عنه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لايقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ فالعملية الخلقية تحتاج إلى تناول وتكرار مستمر حتى يتحول إلى ملكة للنفس ولعلنا نتذكر قوله عليه السلام فى معرض حديثه عن خلق الصدق وأهله (.إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة . وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . . .)(٤) فلابد من تأصل الفعل الخلقي في النفس كتأصل الدم وسريانه في عروق المرء وهذا التأصل لا يحتاج إلى جهد وعناء فهو سهل ميسور .لاتكلف فيه وذلك لأن من صدر

عنه تكلف بذل المال والسكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم[١]. فهناك كما يرى الإمام الغزالى رحمه الله أربعة أمور فعل وقدرة ومعرفة وهيئة بها تميل النفس إلي أحد الجانبين وليس للخلق تعلق بالفعل لجواز ألا يتوفر المال للأنفاق، وكذا وجود موانع تحول دون الإنفاق وكذا العكس وليس هو المعرفة فإنها تتعلق بالجميل والقبيح معا على وجه واحد بل هو الهيئة المستعدة للأمرين كما يرى حجة الاسلام رحمه الله[١]..

*وعرف الحسن البصرى (رحمه الله) الخلق بموضوعه يقول حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى . وقال الواسطى رحمه الله (الخلق العظيم أن لايخاصم ولايخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال أيضا هو إرضاء الخلق فى السراء والضراء [١]

*وقال على كرم الله وجهه حسن الخلق فى ثلاث خصال (اجتناب المحارم وطلب الحلال، والتوسعة على العيال) [١]

وعرفت الاخلاق بأنها تغلب ميل من الميول على الإنسان باستمرار .

*كما عرفت بأنها علم العادات وهذا التعريف غير جامع لحصره الأخلاق فى نطاق العادة كما أنه غير مانع لادخاله غيره من العلوم والتى تقوم على دراسة العادات كعلم الاجتماع وعلم النفس على سبيل المثال .

*وعرفه بسكال بأنه العلم الذى اختص بدراسة الانسان وهو تحديد غير دقيق لأن سائر العلوم تدرس الجانب الانسانى

وعرف بأنه علم الخير والشر وكلاهما مبحثان فى علم الاخلاق وليسا هما كل العلم فالمرء قد ينزجر بالوعظ والقصص الدينى .

---

(١) الإحياء (الجزء الثالث) ص ٧٧ وما بعدها.

وعرف أيضا بأنه(دراسة الواجب والواجبات) (١)

وقيل هو(عبارة عن السلوك المطابق للأخلاق)(٢)

ويرى جوستاف لبون أن الأخلاق (لاتقوم إلا بعد أن تصبح خارجة عن دائرة البرهنة بدخولها دائرة اللاشعور (٣)

ثم دائرة الغريزة فهناك فقط تمارس بلا عناء،أي أنها تصدر بلا فكر وروية طبيعة النفس).

(وقيل إنه (علم القواعد التي تحمل مراعاتها المرء على فعل الخير وتجنب الشر ويصل بالعمل بها المثل الأعلى وهى تشمل السلوك الصادر عن الإنسان بالإرادة وبحرية واختيار وهو صالح للحكم عليه وهو عادة له .)(٤)

وقيل إنه (علم يدرس الفضائل وكيفية اكتسابها والرزائل وكيفية اجتنابها ويضع المقياس الذى تقاس به أعمال الإنسان الإرادية من حيث هى خيرا أو شرا مع تحديد مسئولية الفاعل وجزائه على هذه الأعمال)(٥)

أما الطبيعون فاعتبروا الأخلاق مجرد اصطلاح (الخير) تعارف عليه مجموعة من الناس يقيمُّون فى زمن معين ومكان محدد ومن ثم استبعدوا فكرة المطلق من القيم الأخلاقية وردوا المثل العليا الى التجربة واعتبروا الخير والشر مجرد استحسان أو استهجان لعمل ما مرده اخر الامر الى ما يترتب على هذا العمل من نفع أو ضر أو لذة أو ألم . فعلماء النفس يرون أن الخير (الأخلاق) مجرد آثار نشأت عن أحداث مرت بالإ نسان أثناء طفولته الباكرة وغاصت إلى اللاشعور عن طريق الكبت . . . الخ

• أما علماء الانثروبولوجيا فردوا الخلق إلى الوجدان والذى يحمل صاحبه على استحسان الأمر أو رفضه ومن ثم انتهت أبحاثهم إلى اعتبار المثل العليا نسبية وليست مطلقة واستبعدوا الخير الاقصى من مجال البحث

الخلقى ولاشك أن رفض فكرة الخير المطلق الأخلاقى تؤدى إلى هدم القيم وإحلال الفوضى ٠٠٠٠الخ

كما تبنى الاتجاه الوضعي كونت ١٨٥٧ م ونهض بتدعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى تزعمها دور كايم ١٩١٧م٠

• فلا علاقة للأخلاق نهائيا بالعلم وذلك لأن قضاياها لاتحتمل الصدق والكذب لأنها أوامر فى صيغة مضللة ٠ كما فصل هؤلاء الخلق عن الدين فالبحث الخلقى اطاره الحياة الدنيوية وذلك لأن سكا ن الأرض ينبغى ألا يدخلوا فى حسابهم وجود أى قوة خارجية وألا يشغلوا أنفسهم بنعيم جنة أو عذاب نار •

•وأما رجال الدين فهم أحرار فيما يؤمنون بشرط أن يقوموا بواجباتهم الدينوية فإن اللاهوت مصيره إلى الهلاك والانقراض ولواستعان أهله برجال الشرطة ما استطاعوا إقناع الناس بعد اليوم بوجهات نظرهم ٠٠٠٠الخ٠

فالأخلاق عند التجربيين والعقليين لاصلة لها بالدين فهي نسبية تخضع لعادات وسلوكيات كل بيئة وكل وطن ٠ وأما أرباب ودعاة جماعة فيينا " الوضعية المنطقية فيرون أن العبارات الأخلاقية التي تصف ظواهر الخبرة الأخلاقية كما هي موجودة بالفعل يمكن أن تعالج فى نطاق علم النفس أو علم الاجتماع ٠

•أما عبارات القيم التي تعبر عما ينبغى أن يكون فهي عبارات ميتا فيزيقية لاتحمل معنى،ولاتدخل فى مجال البحث العلمي•ومن هنا أخذ علم الأخلاق مفهوما جديدا لديهم أنه مجرد محاولة يقوم بها الفرد ليجعل من رغباته الشخصية أماني ورغبات يدين بها غيره من أفراد المجموع -:

•ويسميه الإمام الغزالى بعلم طريق الآخرة،وتارة يسميه علم صفات القلب• وأحيانا يسميه أسرار معاملات الدين،وربما سماه أخلاق الأبرار،وهو اسم لبعض مؤلفاته•فعلم الأخلاق عنده هو تكييف النفس وردها إلى ما رسمته

الشريعة وخطه رجال المكاشفة من علماء الإسلام ومن سبقهم من الأنبياء والصديقين والشهداء . [١]

مراحل تكوين الفعل الخلقى

يدور الفعل الأخلاقي في إطار الخاطر ثم التصور ثم الميل ثم الرغبة ثم العزم والتصميم وهذه المرحلة الأخيرة هي التي يؤاخذ عليها الإنسان خاصة إن صدرت عن صاحبها باختيار منه وإرادة كاملة دون جبر أو قهر فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها فإن تبعة الخلق لا تستقيم إلا إذا كان الفعل صادرا عن تعقل وحرية واختيار وبذلك يخرج السلوك المعتوهين والقاصرين ومن إليهم من ناقصى العقل أو معطلي الإرادة ويستبعد كل سلوك يصدر من غير قصد أو ينشا عن إكراه لاسبيل إلى تلافيه [١].

موضـــــوعه

اتفق معظم الباحثين على أن موضوع علم الأخلاق ,, الأعمال الإنسانية من حيث صلاحيتها للحكم عليها بالخيرية أو الشرية أو هو الأعمال الإرادية التى تصدر عن الإنسان فى حرية واختيار .

فالإعمال الاضطرارية من مثل السعال القهري أو نبض القلب ...الخ لاتدخل تحت إطار الفعل الخلقي،وكذا الأعمال المنعكسة كإغماض العين عند الضوء الخاطف ...الخ وكذا الأعمال التي لاقصد للمرء فيها وأما الأعمال

---

(١) الأخلاق عند الغزالى د/زكى مبارك ص ١٥١ .

(١) أسس الفلسفة د/ الطويل ص ٤٣٧

التي مبدؤها ونهايتها إرادي فهي التي تدخل تحت إطار الفعل الخلقي وبها يحاسب الإنسان • فكل عمل إرادي داخل في نطاق الإنسان وتحت سيطرته يكون صالحا للحكم عليه بالخيرية والشرية وبالتالي يكون موضوعا لعلم الأخلاق • واما موضوع الأخلاق كما يراه د/غلاب فهو دراسة صلات بني الإنسان بعضهم ببعض ولايمكن أن ينظم هذه الصلات تنظيما محكما غير البارئ الأعلى في قانونه الخالد وهو الدين ولأن واجب الإنسان نحو أسرته ومواطنيه ونحو أفراد الإنسانية جميعا منبجس من منبع واحد وهو واجب الإنسان نحو ربه .(١)

المعيارية الاخلاقية •

يعد علم الأخلاق علم معياري تقويمي يتعلق بالقيم العليا الثلاث الحق والخير والجمال فهو يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه السلوك وليس فيما هو كائن واهتمامه بغاية قصوى أو مثل أعلى أو مستوى للحكم هو الذى يميزه من غيره من العلوم الوضعية الطبيعية التي تدرس موضوعاتها كما هي في الواقع لا كما ينبغي أن تكون •

أقسام الأخلاق

إن الدارس للعلوم المختلفة يرى أنها إما أن تكون خاضعة للاطار النظري أو العملي أو هما معا وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن علم الأخلاق علم عملي فقط فهي لا يقصد منها إلا العمل وما هذه النظريات إلا مستمدة من العمليات ومسوقة منها وعليه أكثر رجال الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى وعضد هذا الرأي الفيلسوف الألماني كانط .

---

(١) الأخلاق الفلسفية د/محمد غلاب (٢) ص ٢٦٣ مجلة الأزهر محرم ١٩٣٧م •

وهناك من يرى أن علم الأخلاق علم نظري محض يضع لنا النظريات والقوالب فقط دون أن يكون له دخل في الناحية العملية فذاك شأن التربية الأخلاقية، وعضد هذا رأى جملة من الفلاسفة ليفى رول حيث ذهب الى أن علم الأخلاق (يجب أن يتخلى عن الاتجاه العملي التقليدي الذي يقدس العمليات وما تواضعت عليه المجتمعات ثم يلتمس لها نظريات مصطنعة مزيفة لكي يرضى المجتمعات ولا يخرج عن مقدساتها)٠

والواقع يقرر أن علم الأخلاق علم نظري، من جهة وعملي أيضا من جهة أخرى٠ وذلك لأنه يضع لنا القواعد التي تضئ لنا التطبيق العملي فهو يعلمنا الصبر ومفهومه النظري ثم تطبيقه العملي في شتى شئون الحياة ٠ ومن هنا فمبادئ علم الأخلاق لا تتحقق غاياتها على الوجه الأكمل في مجال الحياة العملية مالم تسبقها دراسة نظرية تقوم على التعليل والبرهان حتى يتسنى للإنسان أن يعرف الغاية القصوى من وجوده

صلة علم الأخلاق بالعلوم الأخرى

كانت الأخلاق علما تابعا للفلسفة شأنها شأن العلوم الأخرى والتي انفصلت عنها بانفصال العلم عن الفلسفة وذلك في القرنيين السابع والثامن عشر على يد أكاديمية العلوم الفرنسية التي أنشئت سنة ١٦١٦م واشتد الصراع بين العلم النظرى والتجريبى فالأخلاق في مجموعها جزء من الفلسفة الإنسانية والفلسفة الإنسانية جزء من الفلسفة العامة فالعلاقة هي علاقة الجزء بالكل٠ و إذا كانت العلوم قد انفصلت عن الفلسفة وتخصصت في إطارات معينة إلا أنها تتشابك من جانب آخر ٠

وأما صلتها بعلم العمران (الاجتماع) فصلة متشابكة فعلم الأخلاق يهدف للرقى بأخلاق الفرد والأسرة والمجتمع وهذه الأشياء هي أركان المجتمع

والذي يبحث فيه علم العمران فعلم الأخلاق يقدم خدمة جليلة لعلم الاجتماع فهو ينير له سبل نفسيات الجماعات كما أن المجتمعات لا تنهض الاباخلاقها فهي حافظة لها عن الانقراض والضياع .

وأما صلتها بعلم النفس مثلا فتعد دراسته مقدمة ضرورية لعلم الأخلاق يقول سانتهلير يقول (إن علم النفس بتحاليله المضبوطة يجب أن يكون دليلنا الوحيد ولنا أن نضع فيه كل ثقتنا وقد قدم ابن رشد وكذا ابن مسكوبة فصلا خاصا عن النفس وهناك من يرى خلاف ذلك .

* وأما علم المنطق والذي يعصم الذهن عن الخطأفي الفكر فمحوره الفكر وتصويبه يلتقي مع الإرادة الإنسانية فى الرقى بالفعل الخلقي وإذا كان علم الأخلاق علم مقياسي فكذا علم المنطق فكلاهما مقياسهما الوصول للحقيقة وتصحيح الإرادة والفكر .

* وأما صلتها بعلم الجمال كأحد مباحث القيم فصلة وثيقة فإذا كانت الأخلاق تدعو إلى الفضائل العليا فهى فى حد ذاتها ذات إطار جمالي وكذا النظر في الكون ومظاهره تزيد القلب خشوعا وجمالا أخلاقيا ولذا تزداد أخلاق المؤمنين اكتمالا بالبحث والنظر الجمالي فى مخلوقات الله تعالى فالجمال يريح النفس ويبعث فيها الثقة ويقربها من السعادة فيرفق الطبع ويلين الجانب، فالجمال يبعث على البهجة والبهجة تهذب النفس وترفق الطباع وتصلح الأخلاق وفى هذا يقول الله تعالى (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب•الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . . . . م) سورة آل عمران ١٩٠-١٩١

* وأما صلتها بالسياسة والتي تهتم بشئون الحاكم والمحكومين والعلاقة بينهما واضحة ذلك أن السياسة لها مبدأ واحد إن لم تستمده من الأخلاق فماذا عسى أن يكون حال الحكومة وقد خلت من العدل وما مصير الجماعات بلا أخلاق ؟وقدرأينا محاكم التفتيش وما كانت تضطلع به من إعدام للعلماء...ألخ وقد وضح المعلم الثاني (الفارابي-أبونصر)صفات الحاكم والتى تقوم اساسا على الاخلاق بكل جوانبها منها،أن يكون محبا للصدق وأهله،ويكون كبير النفس محبا للكرامة ،تكبر نفسه عن كل ما يشين من الأمور وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها ويكون محبا للعدل،وأهله مبغضا للجور والظلم وأهلهما يعطى النصفة من أهله ومن غيره .....ألخ وبهذا يسود الحاكم شعبه ويتذاكرون أيامه عبر الأيام والسنيين .

إمكان تغيير الخلق

إذا كانت الأخلاق سيل من الطبائع والعادات فهل هي فطريه لاتهذب ولا تعدل أم هي كسبيه تصلح للتربية والتقويم أم هي قابلة للأمريين أو بمعنى آخر هل الإنسان خيرٌ أم هو شرير أم هو محصلة للأمرين .

الرأي الأول :- ويرى أنصاره أن الإنسان خير بطبعه وتبناه عدد من الفلاسفة والمفكرين منهم سقراط والذي يرى أن نفس الطفل خباء كامل لا تظهره إلا المناقشة والتحاور، وكذا أرباب المدرسة الرواقية (زينون) والذي رأى أن الطبيعة العامة خير لصدورها عن الله وهو خير لا يصدر عنه إلا خير،وكذا جان جاك روسو والذي رأى أنّ الطفل خير بطبيعته والشر يأتي له على يد الإنسان .

*الرأي الثاني :- أن الإنسان شرير بطبعه والخير طارئ عليه وهو مد . المتشائمين ومنهم البوذيون وبه أخذت به المسيحية حيث ترى أن الإنسان منذ خطيئة آدم قد انقلب شريرا لاحيلة له في إصلاحه بنفسه ولاغنى له عن منقذ ومخلص إلهي وهو المسيح عليه السلام وهذه النظرية بنوا عليها نظرية الفداء وابتدعوها .

*الرأي الثالث :- أن الإنسان خلق ولديه استعداد للخير والشر معا وعليه جمهور الفلاسفة المسلمين وإن كان إلى الخير أميل منهم الإمام الغزالى وابن خلدون ... الخ وفى هذا نرى النسق القرآنى يحدثنا يقول (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ..)وقال (وهديناه النجدين) وقوله (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)وقوله عليه السلام (كل مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) . فتغيير الخلق أمر ممكن بقول النبي صلى الله عليه وسلم . (حسنوا أخلاقكم) لو لم يكن لما أمر به ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب فإن الأفعال نتائج الاخلاق... الخ بل كيف ينكر تهذيب الإنسان مع استيلاء عقله وتفسير خلق البهائم ممكن إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى التأنس والفرس من الجماح إلى السلاسة،فالنواة ليست بتفاح ولانخلا«لكنها قابلة بالقوة لأن تصير نخلا بالتربية وغيرقابلة لأن تصير تفاحا وإنما تصير نخلا إذا تعلق بها اختيار الآدمي فى تربيتها ويقول (فلذلك لو أردنا أن نقلع بالكلية الغضب والشهوة من أنفسنا ونحن في هذا العالم عجزنا عنه،ولكن لو أردنا قهرها واسلاسهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه . فالإنسان يولد ولديه استعداد للخير والشر وإن أخلاقه تتغير على حسب ما يؤثر فيها)(١).

١- راجع الاحياء .جـ٣ - ص ٨١

أصول الأخلاق الأربعة

الحكمة --- الشجاعة – العفة –العدل

لقد تناول الفلاسفة [*] وغيرهم هذه الأصول الأربعة تناولا مختلفا وكان لكل فيلسوف أو صحاب مقاله وجهته الخاصة في هذه الأصول الأربعة وما تفرع منها،ولقد أشار القرآن الكريم إلي ضبط وقوام هذه الأصول،وكان فعله عليه السلام وأقواله وحركاته وسكناته بمثابة التعبير العملي في ضبط جماع مايصدر عن النفس الإنسانية ففي قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله

(*) على سبيل المثال نجد أفلاطون يقرر أن الفضائل أربع وهى على التوالى،الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة وكان هذا الأمر إثر نظرته إلى النفس وتقسيمها عنده فهى تقوم على ثلاثة أجزاء النفس العاقلة،والغضبية،والشهوانية.ومراكز الشهوة في أسفل البطن والغضب في الصدر أو في القلب والنفس العاقلة في العقل ،ورأى أن أدناها النفس الشهوانية ولها فضيلة سلبية هي العفة وقوامها ضبط الشهوات ومحاربة الشطط ...الخ وأما فضيلة النفس الغضبية فهي الشجاعة وقوامها احتمال المكاره في سبيل إدراك الخير وكلاهما يخدمان فضيلة النفس العاقلة التى تتسم بالحكمة وقوامها تحديد النفع على أساس الطبيعة ولقد قسم أفلاطون مجتمعه المثالي في جمهوريته الى طبقات ثلاث على أساس التقسيم السالف .

*الطبقة الأولى:- وهى أرفعها وأعلاها وهى طبقة الحكماء والفلاسفة الذ ين يوكل إليهم أمر الحكم ...الخ

*الطبقة الثانية طبقة الجند أو المحاربين وهو المدافعون عن البلاد ويمثلون القوة الغضبية المتمثلة في الشجاعة .

*الطبقة الثالثة وهى طبقة الشهوانيين وهى أدناها ويمثلها الصناع والتجار والزراع ويقومون بالانتاج والسهر لخدمة الطبقتين الأوليين،والعفة هى فضيلة الطبقة الأولى وأما العدالة فهى تقوم من الاتساق بين طبقات المجتمع الثلاث ....الخ وهكذا يمضى أفلاطون بنظريته إلى عالم المثال الذى يرقبه ويطلبه بينما نجد أرسطو يميل إلى الواقع ويتمسك بدنيا الواقع والتجربة فأرسطو يرى أن الاخلاق علم عملى يهدف لتحقيق غايه وبدونها يستحيل على الإنسان أن يقوم بفعل أو تصرف وتوصل إلى الخير الأقصى الذى يطلبه الإنسان . ونكتفي بالاشارة إليه في موضعه لمزيد من التفصيل راجع دراسات في الفلسفة العامة د/على عبد المعطى ص ٤١٠

ثـم لـم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون)[*]
نلاحظ القارئ انها تعبر عن هذه الأصول الأربعة .
(فالإيمـان بـالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل منتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذى يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالـنفس هي الشجاعة التى ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وجه الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال (أشداء على الكفار رحماء بينهم)(*) إشارة إلى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال فى الشدة بكل حال ولا فى الرحمة بكل حال ...)[*] واليك تفصيل لمعاني هذه الأصول الأربعة.

أولا:- **الحكمة** :- هى حالة للنفس يدرك بها الصواب من الخطأفى جميع الأفعال الاختـيارية.و يسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثاً وجربزة، ويسمى تفريطها بلهاً، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة.

ثانـيا :- **العدل**:- فهو حال للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة فالعقل مثاله مثال الناصح المشير. وقوة العدل هي القدرة، ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل

ثالـثا :- **الشـجاعة**:-وهى كون قوة الغضب منقادة للعقل فى إقدامها وإحجامها فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغـيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة. وأما إفراطها وهو التهوّر. فيصـدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب. وأما تفريطها: فيصدر مـنه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب.

---

[*] سورة الحجرات الآية ١٥
[*] راجع إحياء علوم الدين ج الثالث ص ٨٠ وما بعدها والآية من سورة الفتح (٢٩)

رابعـــا:- **العفة** :-وهي تادب قوة الشهوة بقوة العقل والشرع فيصدر منه السخاء والحـــياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع. وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط: فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبـــث والتـــبذير والتقتـــير والـــرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك.[١]

فمـــتى اعتدلـــت هذه الأصول الأربعة ارتفع صاحبها الى سمة الكمال وذلك دون إفراط أو تفريط [٢].

١ - المرجع السابق جـ ٢ - ص ٨٠ وما بعدها.

معالم القانون الأخلاقي بين النصرانية والإسلام

العهـــــــد الجديد (الانجيل)	(القران الكريـــــــــــم)
طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ٠٠٠) (متى ٥:٥)	(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين)
(طوبى للانقياء القلب (٥ :١٨)	(إلامن أتى الله بقلب سليم ٠٠٠)
(طوبى لصانعى السلام)	(لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أوَ إصلاح بين الناس ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠)
(قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتزن وأما أنا فأقول لكم إن كل مـن ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه)	(_قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ٠٠٠٠٠٠) (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ٠٠٠)٠٠٠
اسألوا تعطوا (متى ٧:٧)	(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)(البقرة ١٨٦) وقال ربكم ادعونى استجب لكم) (غافر ٦٠)
احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتوكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة متى ٧:١٥)	(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه ......)

الإسلام واليهودية

القرآن الكريم	التوراه
﴿ وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه ﴾ الاسراء ٢٣	(سفر الخروج الفصل العشرين) لا يكن لك آلهة اخرى امامى
﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ الحج ٣٠	لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة
﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ البقرة ٢٢٤	لا تنطق باسم الرب الهك باطلا
﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ الاسراء ٢٣	اكرم اباك وامك
﴿ ولاتقتلوا أنفسكم ﴾ النساء ٢٩	لا تقتل
﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ النور ٣٠ ـ ٣١	لا تزن
﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ﴾ المائدة ٣٨	لا تسرق
﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ الحج ٣٠	لا تشهد على قريبك شهادة الزور
﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ النساء ٣٢	لا تشته بيت قريبك ولا شيئا مما لقريبك

العوامل التى تؤثر فى تكوين الخلق

أولا:- الوراثــــة

وهى في إيجاز تعنى انتقال بعض(صفات الأصل إلى الفرع قل ذلك أم كثر . وللإسلام نظرته الخاصة فى تهذيب هذا الامر وإليك طرفا منه :-

الحرص على بناء الأسرة القوية :-

وفى هذا يطالعنا قول الرسول الكريم(تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس)وفى هذا الهدى إلهاما لعلماء الوراثة وغيرهم بنور السماء فى حسن الاختيار والزواج من ذات الدين والبعد عن مزالق الشيطان بالزواج من أرباب الزنى وما اليهم ...الخ

القضاء على وساوس الشيطان :- وتجلى ذلك فى إزالة السنتار عن الصفات الوارثية التى تنتقل من الأجداد إلى الآباء ومن ثم إلى أحفادهم سلسلة متشابكة من العمليات المعقدة والتى يتم من خلالها نشأة الإنسان وفى هذا يطالعنا علاجه عليه السلام لعامل الوراثة وبيانه له لذلك الرجل الذى سأله بقوله .يارسول الله إن امرأتى ولدت غلاما اسود (وكأنه يريد الطعن فى زوجه)فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من إبل ؟قال نعم . قال صلى الله عليه وسلم فما ألوانها قال حُمْر قال صلى الله عليه وسلم هل فيها من أورق (ماختلط فيه السواد بالبياض) قال الرجل نعم قال الرسول صلى الله عليه وسلم فأنى ذلك قال الرجل لعله نزعه عرق قال عليه السلام لعل ابنك هذا نزعه عرق . وهكذا نرى للوراثة دورها البارز فى

تغيير الناحية الجسمية للفرد ،وتتدخل الوراثة فى تشكيل الناحية العقلية والخلقية ناهيك عن الجسمية .

- **-تشجيع الأصحاء جسميا ونفسيا على الزواج ومنع المرضى جسميا** ونفسيا من الزواج لئلا ينسلوا أولادا ضعاف البنية مرضى القوام ... الخ وقوله عليه السلام فى حديثه للشباب (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ...) والباءة تشمل قوام الصحة النفسية والجسمية ... الخ

- **تحديد سن الزواج مع تهيئة الفرص الجادة السهلة** من جانب المجتمع كلية لأمر الزواج وتذليل كافة الصعوبات التي تحول دون هذا الأمر

- **الابتعاد قدر الامكان عن الزواج من الأقارب** فان ذلك مبشر بنسل ضعيف فضلا عن عدم توسيع دائرة التعارف والتراحم وجاء فى الأثر(اغتربوا لاتضووا) كذلك البعد عن الزواج من خضراء الدمن المرأة المتلونة والتي نبتت في أرض سوء فلا تخرج إلانكدا،وتجر ويلاتها على كل من ينسب إليها فإنها وإن كانت على جمال فإن فيها من المساوئ ما يفسد حياة المرء وذلك لأنها لن تستطيع أن تنفك عن عادتها قبل الزواج فإن كانت من مدمني الخمور والمخدرات فإنها ستؤثر على الصحة الإنجابية لطفلها ناهيك عن كسارتجارة زوجها والذي لن يكفيه الاستدانة وفاء لمطالبها بل ربما قتل وسفك من أجلها .إلى غير ذلك من المساوئ .

تبصير الناس بخطر الوراثة من خلال دور ومراكز الأسرة وذلك ليستعد المرء لعلاج نفسه مما يشوبه من أمراض والتى قد تؤثر على نسله فيما بعد .

- **إعطاء الإسلام المرء الحرية ،والحق في فسخ عقد النكاح إذا تبين بالرجل أو المرأة على حد سواء عيب يحول دون عملية النكاح** ٠وله مغزى عظيم في حرص الإسلام على إشباع الناحية الجسمية (الشهوانية والنفسية)إشباعا كاملا كى تعتدل سلوكياته ومن ثم أخلاقة ٠

- **الزواج من ذات الدين أفضل ما يتمناه المرء للحصول على الزوجة القوية والصالحة ذات الذرية القوية افضل ما يطلبة المرء ويسعى إليه** ومن هنا نفهم قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ......)البقرة (٢٢١)٠ ٠٠

البيئة

البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان ويؤثر فيه بطريق مباشر أو غير مباشر من يوم تكوينه جنينا إلى أن يموت .وتشمل البيئة الطبيعية والاجتماعية وأما قانونها فيرجع الى تكيف الكائن الحي نفسه بكل ما يحيط به.فالإباحية شئ عادى لدى المجتمعات الغربية لكنها مرفوضة في المجتمع الإسلامي لنهى الإسلام عنها إلا ما أمر به منها . فلا يصح فى المجتمع الشرقي مثلا أن يقبل الرجل مثلا امرأة غير زوجه أمام الناس أو في أي ناد أو صعيد وربما يستحي فلذلك مكانه ومقامه الخاص به لكنه عند الغربيين أمر لاغيار عليه ولاعتاب فيه كذلك اتخاذ الأخدان (العشيق)أمر مقرر لديهم فللمرأة يكون لها الزواج والعشيق وكذا الرجل .

وقد مر بنا . أن البيئة تنقسم إلى طبيعية واجتماعية والطبيعية تؤثر تأثيرا مباشرا في تكوين شخصية الأفراد وتؤثر على سلوكياتهم فـأماكن الخصب غير أماكن الجدب ولذا نرى الوحشية وحياة القتل والنهب في البيئات الغير مستقرة كما نرى خلاف ذلك في البيئات المعتدلة فهم فهم (أعدل الناس أجساما و ألوانا وأخلاقا لهذا كانت هذه الاقاليم مهد الرسالة ومبعث الأنبياء ....)

وأما عن تأثير البيئة الاجتماعية فهو أمر ظاهر الوضوح فالمولود الصغير يتبع ديانة أبويه فهويهودى إن كان أبواه يهوديين لأنه نشأفي فى أسرة يهودية وكذا على الباقى قس . كما أن هذه البيئة تشمل كل ما يحيط بالمرء ويؤثرعلى سلوكه منذ أن يكون جنينا فى بطن أمه إلى حين وفاته وربما يسن لأولاده من بعده خلقا سيئا فيحمل أوزاره إلى يوم الدين . ويعزو توماس

هوبز أحد زعماء الحركة الفكرية[1] حال الانكماش والخوف إلى حالة الخوف التى انتابت أمه منذ أن كان جنينا وذلك عندم اقترب الاسطول الأسبانى من شواطئ انجلترا ،وفى البيئة الاجتماعية يتعلم الطفل الآداب الإسلامية المتعددة كادب الاستئذان آداب الطعام والشراب ٠٠٠الخ يقول سبنسر (إن الأمم ذات السيادة هى التى تعرف كيف تتغذى ،وتربية الطفل مسئولية الأبوين فى المقام الأول ٠٠٠الخ)ثم ياتى دور المدرسة وفيها يخالط الطفل أصدقاء جدد الى جانب ما يتلقاه فيها من دور تربوى هام له أثره البناء على الطفل إلى جانب ذلك ينبغى ان تكون التربية الدينية لهل القسط الأكبر فى الجانب التعليمى وما أفسد بعض شباب اليوم إلا قلة معلوماتهم الدينية وإن شئت قل فراغ جعبتهم عن أى توجيه دينى ٠ مع ممارسة الرياضة فالعقل السليم فى الجسم السليم والمؤمن القوى خير عند الله واحب من المؤمن الضعيف وفى كل خير ٠ مع التدرج فى تعليم الطفل حتى لاتختلط عليه الامور فالمدرسة يقضى فيها الطفل وقتا كبيرا فيا ليت هذا الوقت يستغل فى تنمية عقلة وجسمه وروحه٠ وإذا كان العالم قد اصبح كالقرية الصغيرة وأثر نظام العولمة على كثير من حياتنا فاولى لنا ثم أولى أن نحتمي بديننا ليصل بنا إلى بر الأمان فى ظل هذه التغيرات العالمية والتى زاد فيها معدل الانحراف والجريمة ومن هنا فالبيئة الاجتماعية مسئولة عن سلوكياتنا المختلفة ٠

أبرز خصائص التصور الإسلامي التربوية

بعد الحديث عن علم النفس وتاريخه بهذه الكلمة المقتضبة نقف على أبرز خصائص التصور الإسلامي التربوية والتهذيبية . ذلك لأن المطلع على المنهج الإسلامي قرآنا وسـنة يجد أن المداد ينفد أمام كلمات الله تعالى التي لا تنفد .

والمنهج الإسلامي يمتاز بسمات خاصة به لا توجد في غيره من الدراسات الأخـرى التي وضعها بنو البشر من علوم أخذت مسميات كثيرة كعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرهــا ، وأبرز ما يمتاز به :-

أولا : إنه منهج ثابت لا يخضع لتيارات مختلفة . تتقلب فيها تصورات أصحابها بين عشية وضحاها . ذلك لأن المرجعية فيه إلى الله وحده وصدق إذا يقول (**ألا له الخلق والأمر**) [١]

في وقت تخبطت فيه المناهج الأخرى في فهم الإنسان ووضع تصوراتهم نحوه . ولنا هنا أن نسجل اعتراف أحد دارسي علم النفس إذ يقول (لقد وجدت بعـد تدبـر عميـق أن معلوماتي الطبية وعقيدتي في الله هما الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه الفلسـفة الطبيـة الحديثة .)[٢]

ومن هنا كانت العقيدة الإسلامية كفيلة بضمان الموازنة للإنسان في حياته من خلال هذا النهج الرباني . والتاريخ يحدثنا عن أمم سبقت وأمم لحقت كلهـا قـد لحقهـا الدمـار والخراب بسبب بعدها عـن العقيـدة الصحيحـة . كـالفرس والـروم قديمـا وكالإتحـاد السوفيتي حديثا .

ثانيا : إنه منهج عام وشامل يسع البشر جميعا على اختـلاف ميولهـم ودوافعهـم وأشكالهم وألوانهم وبيئاتهم بخلاف المنهج الوضعي الذي يسير في طريق مسدود . إن صلح لفئة لا يصلح لأخرى ، وإن واكب حقبة زمنية لا يواكب غيرها .

والسبب أنه نتاج عقول قاصرة (وفكر أفراد عاشوا فى ثقافات مختلفة وتأثروا بعوامل متباينة.) (١)

فالمنهج الإلهى عالمى مصلح وصالح لكل زمان ومكان ومن هنا نجد النداءات الكثيرة فى القرآن الكريم تدعو إلى الشمولية والعموم من مثل قوله تعالى (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء.**) (٢)

ثالثا : يمتاز المنهج الإسلامى بتعدد منابعة الفياضة فهو كالنهر الجارى لا ينضب معينه.ولا يمل شارب مائه فكما شرب احتاج للزيادة ليروى قلبه ليصل للغايات الراقية التى خلق من أجلها حتى يزداد إيمانه بربه . مع تفكيره وتدبره فى سلوكه وكيفية إشباعه عندئذ ينطق حاله بالشكر لله تعالى إمتثالا لقوله (**لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد**) (٣)

وهنا يبرز عجز الطب النفسي وارتداده للخلف لاعتماده على المسكنات والمهدئات ... ألخ وكم اعترف أربابه (.. بالعجز والفشل والهرب من المشاكل بالنوم عنها.) (٤)

بيد أن اليقظة المستمرة منهج الإسلام والذى حث أتباعه على (استقامة الفكر وسلامة النية ووضوح القصد) (٥)

رابعا : إنه منهج الفطرة السليمة . فطرة الله التى فطر الناس عليها . فهو المنهج الذى يصل بالغرائز إلى قمة الاستقرار ، والاستعلاء أو الشمول و النقاء والطهارة والعفاف

بحيث ينقل أتباعه من الظلمات إلى النور . أو بمعنى أخر من إشباع غرائزهم فى الحرام إلى

الحلال ، وصدق الله إذ يقول (**أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها.....**) [(١)]

وقوله عليه الصلاة والسلام (وفى بضع أحدكم صدقة) [(٢)]

وهذه الأمور كلها فيها (مراعاة للفطرة السليمة ... ومحاولة تهذيبهــا وإشــباعها لا كبتها وقمعها) [(٣)]

وبذلك يحس أفراده براحة ضمائرهم التى تجاوبت مع فطرتهم السليمة فضـــلا عـن الإحساس والاعتقاد بأن الله لا يفرض شيئا دون حكمة ، بل لابد أن يكون فـــى ذلـك مـن المصالح . نعم قد يكون العبد غير قادر على فهم حكمته تعالى فى كثير من الأحيان ومن هنا (كان الإيمان بالحكمة الإلهية مصدرا لاينضب للوصول إلى النفس المطمئنة) [(٤)]

ولذا كان الاسترشاد بنور الله خير سبيل لمواجهة مشاكل النفس والحياة معا . وصدق الله إذ يقول (**ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور**) [(٥)]

خامسا : يتجه الإسلام دائما إلى تربية الملكات الواعية والشـــخصيات النموذجيـــة الصالحة لبناء المجتمعات الواعية . بهذا يصير المجتمع خاليا من العقد النفسية والأمـــراض العصابية والهستيرية .

بل تصبح (الدوافع المشبعة وقد صارت سجية للنفس ينطلق صاحبها بحياته

الانفعالية والإدراكية والسلوكية في عبادة مستمرة متجددة ومتنوعة) [١]

هذه الأمور وغيرها ، يقويها إلا المراقبة الدائمة لله تعالى والتي تستدعي بنورها تذكرة دائمة لأصحابها انطلاقا من قوله تعالى (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) [٢]

فهو طريق لمن طمست قلوبهم عن الوعي فأصبحوا في غفلة ونسيان . ومن أجل ذلك نفر الإسلام من الكبت . ودعى للإحساس بالمسئولية وحل المسائل العارضة بشكل منطقي وبوجه لا يطغى فيه المرء على نفسه فيكبت مشاعره . ومن ثم لا تنتفي كل الاضطرابات النفسية والعصبية التي تنشأ من الشعور بالإثم والتي تؤدي إلى الجريمة في حالات شاذة) [٣]

وبذلك نجد النماذج الصالحة التي توجه إليها قيادة المجتمعات في إطار المراقبة لله تعالى ، وهذا يحتاج لفهم واسع لتعاليم الإسلام والتي لا يعقلها إلا العالمون .

سادسا : يمتاز المنهج الإسلامي بوضوح قصده ، وكذا غايته . فالإنسان خلق لغاية وهي خلافة الله في أرضه مقرونة بالعبادة التامة له سبحانه ومن أجل ذلك كانت الأسباب مهيئة للإنسان لإشباع غرائزه . من جنس ، وطعام ، وشراب ... إلخ كل ذلك اعترافا (بذاتيته التي تميزه وترقى به عن سائر الجمادات الأخرى من مشاعر وأحاسيس ورغبات وما يحفظ حرية الكسب ....) [٤]

والعمل وفق منهج محدد وأوامر تؤدي في النهاية إلى سعادة الإنسان نفسيا واجتماعيا .

سابعا : اعتنى المنهج الإسلامي التربوي بالروح والجسد معا . على اعتبار أن الروح لها مطالبها والجسد له نفس الشأن فأشبع كليهما . دون إفراط أو تفريط لأحدهما على حساب الأخر . لأن ذلك في النهاية يؤدي إلى الإحباط والأمراض النفسية المستعصية .

ولقد تحدث الدكتور بول أرنست أدولف ، أحد دارسي علم النفس ومن علمائه المعدودين عن تجربته الخاصة به قائلا (لقد أيقنت أن العلاج الحقيقي لابد وأن يشمل الروح

والجسد معا فى وقت واحد وأدركت ان من واجبى أن " أطبق معلوماتى الطبيـة والجراحيـة إلى جانب إيمانى بالله » [١]

ثامنا : إنه منهج التكافل الاجتماعى بحيث تجد أن المسئولية فيه ملقاة على الجميـع أفرادا وجماعات . على أساس أن الفرد لبنة مؤثرة فى المجتمع ورقـى المجتمـع مرتبـط بصلاح الأفراد . وهذا التوازان لابد منه الأرض . فالمؤمنون بعضهم أولياء بعـض . وهـذا يعتـبر دفعـا للتعـاون بـل ولتسـير عجلـة الحيـاة دون توقـف . وفـى هـذا يقـول الله تعالى (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**) [٢]

كما نجد أن الإسلام حث على الإنفاق فقال تعالى (**والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**) [٣]

هذا الأمر هو أقرب الأمور لفهم (الأخلاق المحمودة فى الإسلام على اعتبار أن خلق الاعتدال فضيلة مستقلة تدل على طبع سليم وعقل رشيد) [٤]

تاسعا : إنه منهج سهل ميسور يمتاز بدعوة أتباعـه لإشـباع دوافعهـم بالحكمـة والموعظة الحسنة فى جو يسود الحب والتعاطف والتراحم ، كل ذلك لحل مشاكلهم فيها يعن لهم من أمور . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام .(**أنتم أعلم بشئون دنياكم**) [٥]

فالتزمت والتدين الخارجين عن نهج الإسلام يؤديان للنفوز من الداعى والإعـراض من المدعو وربما يؤدى ذلك لارتياد المرء لأماكن غير طيبة واعتماده على حلول واهيـة ، كأن ينعزل عن الناس ويترك عمله ويعتمد على غيره فى تدبير أمر معاشه . وغير ذلك مـن مساوئ . فالمنهج الإسلامى يمتاز بأنه يتعامل مع أتباعه برفق ، وهذا من أعظم المقـاييس التربوية إذ تشتمل على النصح الذى يجب أن يكيف تربويا طبقا للسن والمستوى الاجتماعى . تلك المرونة التى ترتب عليها حل المشكلات النفسية والتى تحمـل عبأهـا دعـاة الحـق وأولياء الرحمن .

لذا اشترط بعض علماء النفس في المرشد الديني (أن يكون الواحد منهم مسـحا بـالفكر مستعدا لتناول المشكلات الدينية بسماحة وبصيرة) [١]

وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام (الدين النصيحة ، قلن لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) [٢]

والنصيحة باللين والرفق هي الطريق الأمثل لتربية الأفراد دفعا لرقـي مسـتوياتهم وإشباعا لغرائزهم في غير صراع ولا كبت نفسي ومن هذا التوجيه جاء نصحه عليه الصلاة والسلام لأحد الصحابة وقد خطب امرأة من الأنصار قائلا له **(أنظرت إليها ، قال لا ، قال فأذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا)** [٣]

عاشرا : إنه المنهج الذي يستعمل العقل ولا يرفضه وذلك بدعوتـه للعلـم والتعلـم دون تعطيل أو حجر على العقل وبهذا يقضي على أسباب التزمت النفسي والجهالة الفاضحة. بل وكل ما من شأنه أن يسبب مرضا نفسيا أو ماديا ، حيث قضى على الخرافات وكـذا التقليد الأعمى وأنكر الكهانة والعرافة ، تلك الامور التي تستحوذ على عقول بعض الناس ، وتجمد الفكر بسبب بعدهم عن منهج الاسلام . فلا خير ولا أمل في عقول بعدت عن الفكـر السليم و النظر المستقيم . و بالرجوع إلى عصور الظلام (العصور الوسطى) يتضح الأمر و يتجلى ما قلنا عن عظمة الإسلام.فهو لا يدعو لغسيل المخ عن (العمليات العقلية عند فـرد أو جماعة واستبدالها بأفكار أخرى عن طريق الضغط النفسي والجسمي . ويجعل ذلك الجهاز العصبي في حالة توتر أو حساسية شديدة أو تثبيط حاد) [٤]

وقد كانت الكنيسة تحجر على العقـول وتقتـل و تحـرق المفكريـن والعلمـاء كمـا هـو ثابت في التاريخ .

حادي عشر : إنه منهج الترغيب والترهيب فهو الزامي يدور في إطار الثـواب والعقاب فكلاهما له أهميته الخاصة في (تهذيب السلوك وخلق الدافع لدى الفـرد.و الـذي يؤدي الى التحمس و الاجتهاد و العمل لتحقيق الأهداف) [٥] .

فهما يعملان معا لإصلاح شأن الحياة ولمرضاة الله عز وجل . ويعقب ذلك رضا فى نفوس الأفراد لاتباعهم الأمر الالهى فى صيرورة الثواب والعقاب . وفى هذا يقول الله عزوجل **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)**(١)

كما أنه سبحانه وتعالى رغب أتباعه فى العمل الصالح ، ورهبهم من العمل الفاسد فأمر مثلا بالإصلاح ونهى عن الإفساد فقال على لسان شعيب عليه السلام **(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)**(٢)

ونهى عن الإفساد وذم فاعليه فقال **(إن الله لا يصلح عمل المفسدين)**(٣)

كما رغب سبحانه فى الجنة والسعى إليها ورهب من النار وعذابها فقال عن الأولى **(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ....)**(٤) .

وقال عن الثانية **(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ....)**(٥) .

وبذلك يكون المرء راضيا تمام الرضى بما يقدم عليه ويفعله .

ثانى عشر : إنه منهج تفاعلى لا جمود فيه . وصور هذا الأمر عديدة.فهى بين الإنسان وبيئته وكذا بين الروح والجسد .... ألخ وغير ذلك مما فيه إشباع لدوافع المرء وحاجاته ، فالإسلام بقوانينه ليس آليا . أو هو قوالب جامدة ، وإنما به من المرونة ما يؤثر فى أتباعه.نقرأ ذلك فى قوله تعالى **(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون)**(٦) .

وأيضا قوله تعالى **(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ....)** (٧)

ثالث عشر : إنه يراعى الفروق الفردية بين الأفراد وفى هذا تحقيق لإشباع الرغائب والدوافع . فقد عالج الإسلام مسألة الفقر والغنى والذكاء والغباء.ووضع العلاج

لذلك مثل الزكاة والصدقة . وكذا راعى العجز والقوة فوضع القواعد العامة فـــى العبـــادات كالصلاة والصيام والحج كل ذلك لأن (الاستعدادات والقدرات بين الأفراد متفاوتة.) (١) .

رابع عشر : إنه منهج واقعى نراه يضرب الأمثال ويقص القصص وفى هذا أمـــر بالنظر والتدبر والاطلاع على أحوال السابقين وما كان من أمرهم من نحو إشباع غرائزهم أو عدم ذلك . وجوانب قربهم وبعدهم عن نهج الله تعالى فضلا عن وضعهم الاجتمـــاعى فهـــذا الأسلوب يجعل المرء يضع يده على الداء والدواء معا . وهو طريق فى التربية مفيد وصدق الله إذ يقول (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يومنون .)(٢)

خامس عشر : إنه منهج الشورى والانتماء فهو يدعو إلى وحدة الصـــف وعـــدم التنـــازع والشـــتات مصداقـــا لقولـــه تعـــالى (ولا تنـــازعوا فتفشـلوا وتذهـب ريحكـم واصبروا إن الله مع الصابرين .)(٣)

وكذا بث روح الشورى بين أتباعه ، بهذا ترتضى النفوس وتصل لقمـــة الســـعادة النفسية عند إصدار قراراتهم النابعة من كتاب الله وسنة نبيه صلـــى اللـــه عليـــه وســـلم . وعندئذ تضمن لهم الحياة الهنيئة . إلى غير ذلك مما يبثه من معنويات ترفع روح الانتمـــاء لدى الأفراد تجاه الدين ثم الوطن .... ألخ . يتضح ذلك من خلال الشعائر الدينيـــة اليوميـــة وكذا السنوية فهى تؤكد على ذلك الانتماء وتقويه.)(٤)

سادس عشر : إنه منهج التربية الجمالية فقد حث أتباعه على النظر فى مخلوقات الله ليعمل على نقلهم من حالات الكبت والنفور التى تصيبهـــم فـــى بعـــض الأحيـــان إزاء مواجهة مواقف معينة فيضطر صاحب لكبتها فى اللاشعور ، ولكنها تنغـــص عليـــه حياتـــه وتلازمه فى أحلامه ، وفى أوقات فراغه أثناء تفرده مع نفسه.ومن أجل الخروج مـــن هـــذا المأزق كان الاستجمام الروحى الجمالى ، وذلك مبعث للسرور والإرتياح عن طريق النظر فى مخلوقات الله ونعمه فتلك أمور جمالية تحرك (الهمم نحو التدبر فيشعر الفـــرد بالراحـــة .

وحين يؤثر الجمال في المسلم داخليـــا يجعـل سلوكه قائمــا علـــى أســـاس مـــن رقـــة الإحساس والذوق الجمالى.) (١)

كما تساعد هذه التربية على إحداث الصلة بين الفرد والكون وبذلك يسبح معه فكرا ونظرا ، اعتبار وإيمانا ، وثقة فى الله وقدرته مصداقا لقوله تعالى (**وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا.**) (٢)

عندئذ تصفو نفس الإنسان وتصبح مهيأة لمواصلة الحياة وبذلك يتدفق الحب والإيثار فى قلبه مع اخوانه ويستشعر كرامة الله عليه ورضاه عنه.إذهداه لهذا المنهج القويم.بحيث يتلو ذلك كله راحة البال وإستقامة الشعور والإحساس النفسى .

بعد الذى ذكرناه من تلك المزايا يصبح منهج الإسلام هو المنهج الذى يجب أن يقتدى به . وقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم فقال (**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .**)(٣)

وتعد تربية القدوة خير سبيل لنجاح الحياة. خاصة إذا كان إنطلاقها إسلاميا ، فالقدوة الخيرة (أكثر تأثيرا فى النفوس والعقول من الدعوة بالقول أو الاقتصار على مجرد النصـــح أو الوعظ .)(٤)

الضمير

مفهومه - اهميته - درجاته

قبل أن نقف على مفهومه الاصطلاحي نود أن نشير إلى معانه اللغوى فقيل في تعريفه :-إنه السر داخل الخاطر وجمعه ضمائر والاضمار هو الاستتار والاختفاء يقال أضمرت الأرض شيئا أخفته ,, ومحله الباطن ولذا يقال أيضا الضمير للشئ الذى تضمره في قلبك ، وأضمرت في نفسي شيئا أخفيته ,, فضمير الإنسان قلبه وباطنه ، ويطلق الضمير على العقل لكونه مستورا عن الحواس وهو العقل الذى يصدر الأحكام المعيارية وملكة الاستحسان اوالملكة الخلقية

الضمير بالمعنى الاخلاقي :- يرى الاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله أنه بهذا المعنى لاأساس له في المعاجم اللغوية أنه معنى محدث أخذناه من الغرب في العصور الحديثة وقد استعمله الغرب كثيرا حين أراد أن يضع أساسا أخلاقيا منفصلا عن الدين•وكان هذا الأمر جراء مالحق بها من إضهاد من الكنيسة في العصور المظلمة،وكان لامناص من من البحث عن أساس ومقياسهللأخلاق فلابد (لاستقرار المجتمع ٠٠٠من أن تستقر

الأخلاق وتقوم على دعامه قوية وإلا انهار المجتمع وناله الفساد من جميع أقطاره ولم يجد الخارجين على سيطرة الكنيسة من مفهوم غير مفهوم الضمير فتشبسوا به وأثنوا عليه ··ومن هنا فاستعمال الضمير فى هذا الوقت بالذات كان كرد فعل لاستعاضته عن الدين الذى لوثه القساوسه بافعالهم وأقوالهم .

ويرده النفسانيون إلى التربية والأوامر والزواجر والوراثة ويرده الاجتماعيون إلى العادات والأعراف .

وهو عند التطوريين حصيلة التجربة الانسانية على مر التاريخ فى اتجاها من الأثرة إلى الايثار ومن ثم ينشأ الضمير من شعور الالتزام نحو المجتمع لما فى ذلك من فوائد تخدم التكيف والتطور نحو الأفضل .

الضمير فى الاصطلاح :-

قوة روحية تهدى الإنسان إلى الخير وإلى الشر وتثيب على الخير وتعاقب على الشر .

يعد الضمير حاكم وقاض ومنفذقبل الفعل وأثنائه وبعده .

أهمية الضمير :-

١- يرشد الإنسان إلى طريق الخير والشر فيفعل الأول ويجتنب الثانى .

٢- يعتبر الحاكم والمستشار على أفعال الإنسان المختلفة .

٣- أشرف جزء فى طبيعة الإنسان .

٤- يميز الإنسان عن غيره ممن انعدمت ضمائرهم

٥- الفهم التى لاقاعدة لها

٦- يقدر قرارات الإرادة من حيث السير فى طريق الخير أو الشر .

٧- ملكة يحس بها المرء إلى الارتياح أو الاضطراب فى سلوكه .

فطرية الضمير واكتسابه

تعددت الاراء حول هذا الامر واليك بيانها :-

الرأى الاول :- يرى أربابه أن الضمير أمر فطرى يستطيع من خلاله تقويم أفعاله،وعرف عندهم بأنه قوة فطريه غرزية موضوعها الخير والشر معا وهى قدر مشترك بين الناس جميعا وإن اختلفت قوة وضعفا من شخص لآخر فهو مثل السمع والبصر والشم واللمس الخ

فجريان القطة عند جذب الطعام من أمام صاحبه دليل عند روسو على غرزية الضمير وأنه يدرك الذنب الذى فعله فالضمير يميز بين الخير والشر كما تفرق العين بين الأبيض والأسود .

• كما أنه خير محض ولايخطئ دائما وتابع هذا الرأى شافتسبرى وهتشون وكانط ويطلق الضمير أحيانا على العقل عند هؤلاء وأخرى على الحاسة الخلقية .

الرأى الثانى :- يقرر أصحابه أن الضمير أمر كسبى فهو وليد البيئة الاجتماعية فهو قوى من قوى الشعور اكتسبها واستفادها كمن المران والتجربة وعلى نحو من التدرج فهو نسبى يقوى ويضعف بالتربية . ومن اشهر دعاته مونتانى ولوك ... الخ ولذا لا وجد نظام الرق فهو نافع لقوم ضار بآخرين وكذا كانت المرأة تباع وتشترى وعند بعض قبائل العرب كانت تقتل خشية العار ... فالضمير أمر مكتسب .

الرأى الثالث :- أن الضمير مجرد وهم واختراع ولاأساس له فهو نوع من السلطان يخوف به الضعفاء لكى يدينوا للأقوياء ولذا ينادى أربابه بالحرب على الأخلاق وهو نهج أرباب المادية .

الرأي المختار

إن الضمير قوة فطرية بحسب الخلق والإيجاد وإن كان للتربية الأخلاقية دور أساسي في تربيته ونموه ورفعته • وأما انكار وجود الضمير فذاك شئ باطل ولاينكره إلا الضالون أرباب الشهوات المادية كما علمنا •

درجات الضمير •

للضمير درجات ثلاث وهي كما رآها الباحثون :•

الضمير الأعلى :- وهو أفضل وأعلى أنواع الضمير وهي مرتبة الأنبياء والمصدقيين والمصلحين ومن سار على دربهم وفيها نرى في مقام النبوة ومن أمثلته :-

** سيدنا يوسف عليه السلام :-

تقول السفهاء وغيرهم على نبي الله وزعموا أنه هم بالمعصية مع امرأة العزيز وأرادها لنفسه بدليل قول الله تعالى (ولقد همت به وهم بها ٠٠٠٠)[1] ولقد جال هؤلاء القوم وصالوا في حق سيدنا يوسف عليه السلام فوصفوه بصورة العاشق المحب الخائن لولي نعمته وأولى لهؤلاء أن يفهموا النسق القرآني فهما صحيحا

---

[1] سورة يوسف الآية (٢٤)

بعيدا عن أى تأويلات فاسدة أومصالح خاصة بهم والجواب إن الهم الذى وقع من امرأة العزيز كان هم سوء كانت تدعوه لنفسها من أجل الفاحشة ولأجل ذلك هيأت الأسباب بإغلاقها الأبواب وفى هذا يقول الحق (وروادته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله ....) وأما هم يوسف عليه السلام فلم يكن هم سوء وإنما كان هما بدفع العدوان والسوء عن نفسه ولذاقال (معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى ...)أو يقال همت به طلبا وهم بها دفعا ويرى بعض المفسرين إن فى الآية تقديما وتأخيرا والمعنى (لولا برهان ربه وهو اليقين والإيمان وشدة مراقبة الله لفتن ووقع فى الفاحشة)ومن هنا كان ثناء الله عليه بقوله (إنه من عبادنا المخلصين)أو يقال إن الهم وقع منها فعلا، وأما هم يوسف عليه السلام فكان كما ذكر العلامة النسفى رحمه الله بالطباع مع الامتناع فالنفس ترغب هذا الأمر ولكنه امتنع عنه ولم يعزم عليه وإن كان هذا الأمر حيويا فى نفسه .وهناك أدلة عديدة استنبطها المفسرون من النسق القرآنى ومن القصص النبوى نذكرمنها مايلى :-

الاول :- امتناعه عن المراودة لامرأة العزيز بدليل قوله تعالى (قال معاذ الله ...)

الثانى :- فراره من امرأة العزيز ويدل على ذلك قوله (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر) ولو كان يريد الفاحشة لما فرمنها فلايعلم أحد مكانه وليس يطلع عليه أحد فى هذا المكان المعد للفاحشة فكيف يرواد من ينأى عن السوء.

الثالث :-الشهادة العينية الواضحة من بعض أقرباء المرأة عليها (وشهد شاهد من أهلها ...) والدليل المادى الواضح على مدافعته عليه السلام للمراة فشقت قميصه من الخلف،ولو كان يريد الفاحشة معها لما كان هناك أثر للمقاومة ولما احتاج الأمر لشق القميص...الخ

الرابع :-لوكان يريد الفاحشة لهيأ لها أسبابها بالقرب من المعشوقة كما يقولون وملازمتها حتى يتهيأ لهذا الأمر أما وقد رفض المعصية وفضل السجن على الملازمة، فهذا دليل دامغ على عصمته عليه السلام قال تعالى (قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى إليه ......)

الخامس:-ثناء المولى عليه فى أكثر من موضع بأنه من عباد الله المحسنيين والمخلصين

السادس:- اعتراف المرأة الصريح الذى حكاه القرآن فى قوله تعالى (... ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ..)وقوله(قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين)واعتراف النسوة من قبل مما لايدع ذرة من شك فى براءته عليه السلام(قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء...).

السابع : لو كان له رغبة فى مطاوعه امرأة العزيز لما طلب من الله أن يصرف عنه كيدهن .

الثامن : أنه لم يقبل الخروج من السجن حتى يقر الجميع ببراءته من المعصية ودلنا هذا الأمر على نزاهته وترفعه عن الفواحش وعفته عليه السلام .(*)

(*) راجع النبوة والأنبياء للصابونى ص ٥٧وما بعدها

وإليك بعضا مما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه:-

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم، فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به، مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم.

قال ابن إسحاق: فحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته؟.

قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، قد سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا. فبينا هم فى ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشى حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت.

فلمـــا مر بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صــلى الله علــيه وســلم. قــال: ثم مضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمــثلها، فعرفــت ذلــك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم مر بهــم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: " أتسمعون يا معشر قريش، أمــا والذى نفسى بيده، لقد جئتكم بالذبح " قال: فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قــبل ذلــك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبــا القاسم، فوالله ما كنت جهولاقال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وســلم، حــتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر، وأنا معهم، فقال بعضهم لــبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركــتموه. فبيــنما هــم فــى ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وســلم، فوثــبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذى تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم: أنا الذى أقول ذلك " قال: فلقد رأيت رجلا مــنهم أخــذ بمجمع ردائه.قال: فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه، وهو يــبكى ويقــول: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط.

قــال ابــن إسحاق: وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر، أنها قالت: رجــع أبــو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه، مما جبذوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر.

قــال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم: أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله علــيه وســلم مــن قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبــه وآذاه، لا حر ولا عبد، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزــله، فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: {يا أيها المدثر قــم فــأنذر}، [المدثر: ١، ٢]. ٠٠٠٠٠٠الخ ماكان من سيرته عليه السلام وكــل ذلــك جمله بقوله (والله ياعم لو وضعو الشمس فى يمينى والقمر فــى يســارى على ان اترك هذا الامر ماتركته حتى يظهره الله او اهلك دونــه ٠ اى ضــمير هذا انه ضمير الانبياء الواثقين بتاييد الله وصدق المولــى اذيقــول عــن النبى واصحابه وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثــير فمــا وهــنوا لمــا أصابهم وما ضعفو أوما استكانوا والله يحب الصــابرين) وإذا استعرضــنا طــرفا يسير ا من أقواله عليه السلام نجد فيها ما يمثل صفة المراقبة لله عزوجل فى أكثرمن حديث

له عليه السلام (ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ٠٠٠)

الضمير الأسفل :- وهو أحطها شأنا وليس لموجود إلا بالاسم فأصحابه عطلوه، فأصبح الشيطان رائدهم ومن هنا فهم يأمرون بالسوء والفحشاء ويعتدون على الحريات والأنفس والاموال إن أدى واجبا فيكون ذلك بدافع الخوف من الناس وكراهة معايبته فهو من المنافقين غلبت شهواتهم على ضمائرهم وإن وجه أخذته العزة بالإثم .

الضمير الأوسط :- وهى درجة من يوافقون ويطيعون القانون أيا كان مصدره ولايسمح لنفسه بمخالفته فهو يطيع اللوائح فالخير كل الخير فى طاعة القانون أيا كان سمته وضعيا أو مدنيا أو أخلاقيا .

ولاشك أن أعلى درجة فى هذه التقسيمات هى الأولى لما مر بيانه .

تربية الضمير :- ويأتى هذا الأمر بمايلى :-

١- التربية وسعة الافق العقلى .

٢- التدرج بالتربية من درجة إلى أخرى .

٣- حسن اختيار الاصدقاء

٤- تربية الخوف من الله فى قلب الطفل شيئا فشيئا .

٥- قراءة المجلات الهادفة والتي تدعو إلى الفضائل والبعد عن المجلات والصحف الرخيصة والتي تهدف لنشر الفاحشة .

٦- البحث في سير الصالحين وتتبع تلك الأسوة في مجالات حياتهم المختلفة . وكيف كانوا يتقون الله عز وجل .

٧- المحاسبة اليومية للنفس وما عملت من سوء وما عملته من خير ومحاولة إتقاء السوء وفعل الخير والازدياد منه .

العاطفة و المجتمع

لاشك أن المجتمع الذى تسوده روابط الحب و تنتشر بين أفراده هو المجتمع الأقوم والأمثل . وكما دعا الإسلام الى أنتشار الحب بين الأفراد و جعل ذلك سببا فى دخول الجنه دعا كذلك الى المحبة التى يجب أن تسود بين الجماعات . وهذا ما نلحظه فى نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل (لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم .) [١] وقد ربط الرسول صلى الله عليه و سلم الجانب الروحى بالجانب المادى فى ذلك النهج القويم حتى تترابط الأفراد و الجماعات . وأنظر الى المثل المثل العظيم الذى ضربه لما الرسول الكريم فى قوله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى.) [٢] هنتشابك العواطف بالتعاون على فعل خصال الخير و هو ما يتضح أعظم توضيح فيما جاء فى قوله عليه الصلاة و السلام (حق المسلم على المسلم ست . قيل وما هى يارسول الله ، قال إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا أستنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه.) [٣] والأحاديث فى هذا الشأن كثيرة و التى لو طبقت بالفعل لوجدنا مجتمعات تسودها المحبة . كما دعا الإسلام للتواصل بين الأفراد و الجماعات و نهى عن التقاطع و التدابر وقد أعد سبحانه للواصلين الأجر العظيم فقال (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من أبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه . كتاب الأداب . باب افشاء السلام ص (١٢١٧ ، ح (٣٦٩٢) .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه . شرح النووى . كتاب البر و الصلة . باب تراحم المؤمنين و تعاطفهم . الجزء السادس عشر . ص (١٤٠) .

(٣) نفسه . كتاب السلام . باب حق المسلم على المسلم . الجزء الرابع عشر . ١ ٤٣ .

عليهم من كل باب سلام عليكم بماصبرتم فنعم عقبى الدار.) [٤] وبجوار هذا الجانب الترغيبى نرى أيضا الجانب الترهيبى نوعا من العلاج يضعه الإسلام لهؤلاء الذين يتقاطعون ويتدابرون ولايقيمون العلاقة الطيبة بين الجيران فذلك كله سبب فى لعنة الله وفساد العلاقات.ولنستمع إلى ما جاء فى هذا الشأن من توجيه إلهى كريم حيث يقول الله تعالى (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقة ، ويقطعون ما أمر به الله أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار.)[١] ذلك لأن التواصل يؤدى لتألف القلوب بين الأهل والجيران . وقد جاء النهى عن المقاطعة فوق ثلاث بين المسلم وأخيه . فقال عليه الصلاة والسلام (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ،ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام.)[٢]هكذا جاء الوعيد والنكير على المتقاطعين المتدابرين . فالمجتمع الإيمانى يجب أن تترابط أفراده بحيث لايرتفع أحدهم على الأخر . وقد مدح الله هذه الأخلاق فى رسوله وصحابته رضوان الله عليهم حيث قال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ....)[٣]

وهم أيضا الموصوفون فى قوله تعالى(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.) [٤] كذلك حث الإسلام على تهيئة سبل التعاطف بعموم الرحمة بين الخلائق جميعا وهو ما نراه فى قوله عليه الصلاة والسلام (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء) [٥] ويظهر كرم الإسلام فى نهجه عندما حث على الاحترام والرحمة المتبادلة بين الجميع صغيرا وكبيرا ، .... ألخ ليرقى بالصفات الكريمة ،

---

[٤] سورة الرعد . الأيتين (٢٣،٢٤).

[١] سورة الرعد الأية رقم (٢٥) .

[٢] أخرجه مسلم فى صحيحه / شرح النووى / كتاب البروالصله / باب تحريم الهجرة فوق ثلاث أيام . الجزء السادس عشر. ص ١١٧ .

[٣] سورة الفتح الأية رقم (٢٩) .

[٤] سورة المائدة الآية رقم (٥٤) .

[٥] أخرجه الترمذى فى سننه / باب ماجاء فى رحمة المسلمين / الجزء الرابع ص (٢٨٥) ط دار الكتب العلمية .

والمشاعر النبيلة على المستوى الفردى والجماعي فلا ضير من وضع الحق للكبير والصغير على حد سواء . هكذا ليحفظ المقام لكل فرد ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعرف وينهى عن المنكر .)[١] .

وهكذا كلمة قصيرة تبين سمات المجتمع الايمانى والذى تسوده روابط الأخوة والألفة والوحدة . إنه المجتمع المسلم الذى أدبه سيدنا محمد ورباه على عينه تبعا لمنهج ربانى منزل ومحكم وصدق الله إذ يقول(لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .) [١] .

عاطفـــة حـــب الـــوطن

من العواطف المعنوية التى دعى إليها الإسلام " حب الوطن " فمن المعروف أن المرء يتشبث بالمكان الذى ولد فيه ، وتربى فى أحضانه ونهل من خيراته ... ألخ ومهما يا عدت إلسبل بينه وبين موطنه فإن عاطفته تجاه وطنه لاتنفك . فحنينه وشوقه يدفعانه للعودة إليه . بل إن المرء ليشتد غضبا عند ذكر موطنه يسوء وماذاك إلا تأثرا بالعاطفة الجياشة التى امتلأ وجدانه بها وظهر أثرها فى سلوكه ؛ وقد صور الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الحب عند خروجه من مكة ليلة الهجرة إلى المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام بقوله (والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت) [٢] وشاء الله أن يعود عليه الصلاة والسلام لموطنه سالما غانما بيده لواء النصر معلنا رفعة الإسلام وسيادته . ثم إن تلك الدماء التى تراق وتسيل وكأنها أودية فى كثير من بلاد العالم دفاعا عن الأوطان ماهى الا تعبيرا واضحا عن الولاء والحب الجياش تجاه هذه الأوطان . إذ أن حب الاوطان من تلك العواطف الايمانية المتشبعة بنهج الله . والتى تأبى الذل والمهانة . لذلك كان للاسلام علاجة لتلك العاطفة الجياشة . ومن هنا كانت دعوة الاسلام للجهاد دفاعا عن

---

[١] أخرجه الترمذى فى سننه . الجزء الرابع . ص (٢٨٤) ح (١٩٢١) ط دار الكتب العلمية .

[١] سورة فصلت الآية رقم (٤٢) .

[٢] أخرجه أحمد فى مسنده - الجزء الرابع ص (٣٠٥) - ط دار صادر بيروت .

الأوطان من أعظم القرب بل وتقرير لرسالة الإسلام فى دفع الظلم ... د العدوان وقد مر بنا قولة عليه الصلاة والسلام (من قتل دون ماله فهو شهيد ...)[٣]

وقوله فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى .قال فلا تعطه مالك . قال أرأيت إن قاتلنى قال قاتلة قال أرأيت ان قتلنى قال فأنت شهيد قال أرأيت إن قتلتة قال هو فى النار.)[١] الى جانب الجهاد كعلاج تربوى يرهف الحس و الوجدان و يقوى العاطفة كان الأمر بالمحافظة على المنافع العامة للوطن والبعد عن العبث بها و إفسادها سيما أنها ملك للجميع امتثالا لقوله تعالى (ولا تفسدو فى الأرض بعد إصلاحها)[٢]

كذلك لابد من البعد عن الخيانة وما من شأنه الإساءة للوطن امتثالا لقوله تعالى(يا أيها الذين أمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أما نتكم وأنتم تعلمون)[٣] وهكذا تشكل عاطفة حب الوطن السلوك الأقوم فى حياة الإنسان ولقد كان من ثمار هذه العاطفة الولاء التام للأوطان ، بسبب الدين الذى قوى عند أتباعه تلك العاطفة. وذلك لأنه (رفع من شأنهم واحترم إنسانيتهم وحفظ حقوقهم وحرياتهم.)[٤]

فلا ضير عليهم أن يدافعوا عن أوطانهم باسم الدين الذى ضمن لهم العزة فى الدنيا والأخرة .

---

[٣] اخرجة مسلم فى صحيحة / شرح النووى / كتاب الايمان / باب هدر من اخذ مال غيره بغير حق الجزء الثانى - ص ١٦٤

[١] اخرجة مسلم فى صحيحة / شرح النووى / كتاب الايمان / باب هدر من اخذ مال غيره بغير حق الجزء الثانى - ص ١٦٤.

[٢] سورة الأعراف الأية رقم . (٥٦).

[٣] سورة الأنفال الأية رقم (٢٧).

الحياة الوجدانية . محمود حسب الله ص (٦٢) .

صور من الأخلاق الإسلامية

قبل ان نعرض لهذه الصور ينبغى ان ننوه الى ان المجتمع المسلم يتميز بعقائده وشعائره ، ومفاهيمه ومشاعره ، يتميز أيضا بأخلاقه وفضائله . فالأخلاق والفضائل جزء أصيل من كيان هذا المجتمع ، فهو مجتمع العدل والإحسان والبر والرحمة ، والصدق والأمانة ، والصبر والوفاء ، والحياء والعفاف ، والعزة والتواضع ، والسخاء والشجاعة ، والإباء والشرف ، والبذل والتضحية ، والمروءة والنجدة ، والنظافة والتجمل ، والقصد والاعتدال ، والسماحة والحلم ء والنصيحة والتعاون ، والغيرة على الحرمات ، والاستعلاء على الشهوات ، والغضب للحق ، والرغبة في الخير ، والإيثار للغير ، والإحسان إلى الخلق كافة ، وبخاصة بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وإكرام الجار، ودعوة الناس إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . . وكل خصال الخير ، وخلال المكرمات ، ومكارم الأخلاق . وأولها : الإخلاص له ، والتوبة إليه ، والتوكل عليه ، والخشية منه والرجاء في رحمته ، والتعظيم لشعائره ، والحرص على مرضاته ، والحذر من مساخطه ، إلى غير ذلك من المعاني الربانية التي يغفلها كثير من الناس حين يتحدثون عن الأخلاق في الإسلام ، فليست الأخلاق ما يتعلق بما بين الإنسان (١)

(١) راجع كتيب رسائل / د/ القرضاوي ..

والإنسان فحسب ، وإنما تشمل ما بين الإنسان وخالقه أيضا .
وهو في الجانب السلبي يحرم كل الرذائل ، والأخلاق الرديئة ، ويشتد في تحريم بعضها ء فيجعلها في مرتبة الكبائر .
فيحرم الخمر والميسر ، ويعدهما رجسا من عمل الشيطان ، ويحرم الزنى وكل ما يقرب أو يعين عليه ، ومثل ذلك الشذوذ الجنسي الذي هو علامة على انتكاس الفطرة وانهيار الرجولة ، ويحرم الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل وخاصة إذا كانوا ضعفا ء كاليتامى ، ويحرم عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام ، والإساءة إلى الجار ، وإيذاء الآخرين ، باليا أو اللسان ، ويجعل من خصال النفاق : الكذب والخيانة والغدر وإخلاف الوعد والفجور في الخصومة .
وكل رذيلة منكرها الفطر السليمة ، والعقول الراشدة جاء الإسلام فأنكرها وألح في إنكارها
كما أن كل الأخلاق الفاضلة التي تعرفها الفطر والعقول ويسعد بسيادتها الأفراد والجماعات قد أقرها وأمر بها وحث عليها . والذي يتلو كتاب الله تعالى ، أو يقرا أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، يرى أن هذه الأخلاق والفضائل من المقومات الذاتية للمجتمع المسلم ، وليست من الأعراض الطارئة عليه ، ولا من الأمور الهامشية في حياته ، فهي في القرآن من الصفات الأساسية للمؤمنين والمتقين الذين لا يدخل الجنة غيرهم ، ولا ينجو من النار غيرهم ، ولا يسعد بالحياة

الدنيا غيرهم .. وهي في السنة من شعب الإيمان ، لا يتم الإيمان إلا بالتحلي بها ، والتخلي عن أضدادها . ومن أعرض عنها فقد جانب أوصاف المؤمنين ، وتعرض لسخط الله ولعنته ، وبرئت منه ذمة الله وذمة رسوله .

ونعرض بعض (اللوحات) القرآنية للأخلاق الإسلامية تصورها النماذج الأمية حسب ترتيب المصحف :[١]

١. (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).[٢]

مزجت الآية الكريمة بين العقائد من الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وبين الشعائر من الصلاة والزكاة ، والأخلاق من إيتاء المال على حبه ذوى القربى واليتامى .. إلخ ، والوفاء بالعهد والصبر على البأساء والضراء وحين البأس . وجعلت هذا المزيج الناس هو حقيقة البر ، وحقيقة التدين وحقيقة التقوى كما يريدها الله.

---

[١] راجع ما كتبه د القرضاوى

[٢] سورة البقرة الاية ١٧٧

٢. أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ()

*تميزت هذه اللوحة الأخلاقية بالمزج بين الأخلاق الربانية كخشية الله وخوف سوء الحساب ، والأخلاق الإنسانية من الوفاء والصبر والصلة والإنفاق ودرء السيئة بالحسنة ، إن صح هذا التمييز . فإن المتأمل في الآية يجدها قد وصلت الأخلاق كلها بالربانية ، فالوفاء وفاء بعهد الله ، والصلة هي لما أمر الله به أن يوصل ، والصبر إنما هو ابتغاء وجه الله ، والإنفاق هو مما رزق الله ، فهي كلها أخلاق ربانه موصولة بالله ، ولهذا قرنت بإقامة الصلاة ، لأنها جميعا ضرب من العبادة ، يتقرب به المؤمنون إلى الله ، ويتلقون به ما عند الله .

٣. (قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم

غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

في هذه اللوحة نجد الخشوع في الصلاة، والفعل للزكاة، والمحافظة على الصلوات- وهي معدودة في إطار الشعائر والعبادات- جنباً إلى جنب مع الإعراض عن اللغو، وحفظ الفروج عن الحرام، ورعاية الأمانات والعهود.

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، إن عذابها كان غراماً، إنها ساءت مستقراً ومقاماً، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفوراً رحيماً، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً، والذين لا يشهدون

الزور وإذا أمروا باللغو مروا كراماً، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً، خالدين فيها مستقراً ومقاماً)

٤. (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون، وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، إنه لا يحب الظالمين).

والجديد في هذه اللوحة أو الباقة آمران في غاية الأهمية بالنظر إلى المجتمع المسلم :

الأول : تقرير مبدأ الشورى باعتباره عنصرا من العناصر الأساسية المكونة لشخصية المجتمع المسلم ، ولهذا وضعت الشورى بين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة المعبر عنه هنا بكلمة الإنفاق مما رزق الله ، ولا يخفى على أحد مكانة الصلاة

والزكاة في دين الإسلام ، فما يوضع بينهمـــا لا يكــون مــن الأمور الثانوية أو الهينة في دين الله .

والأمر الثاني : هو الانتصار إذا أصابهم البغي ، فليس مــن شأن المسلم الخضوع للبغي أو الانحناء للظلم والعدوان . بــل مقابلته بمثله ليزجر ويرتدع ، إلا من عفا عن قــدرة فــأجره على الله .

من هذه اللوحات أو الباقات التي قدمناها يتبــين لنــا منزلــة الأخلاق في الإسلام ، ومكانها في تكوين المجتمع المســلم . وليست هذه كل ما في القرآن الكريم عن الأخلاق والفضائل ، فالقرآن – مكية ومدنيه – ملئ بالآيات واللوحات التي تقدم لنا نماذج خلقية كريمة ، تجمع بين المثالية والواقعيــة وتمــزج الروحانيات بالماديات أو الدين بالدنيا ، في اتساق والتئام ، لم تعرفهما من قبــل – ولا مــن بعــده شــريعة ولا نظــام . ويستطيع القارئ المسلم أن يرجع إلى سورة الأنعام فيقرأ فيها الوصايا العشر من أواخرها : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكــم عيكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا . .). الآيات أو يرجع إلى سورة الإسراء فيقرا الوصايا السبع عشرة : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيــاه وبالوالــدين إحســانا) .. الآيات . أو يرجع إلى سورة لقمان ويقرأ وصيته لابنه . . أو

الحياء

هو كف النفس عن الألفاظ القبيحة ومنعهاعن الأفعال الدنيئة وغض النظر عن المحرمات وهو حالة تعترى النفس خوف العيب وخشية العار مما يقبح من الأفعال او ينبئ عنه الذوق السليم من الخصال .[١]

أكد الإسلام على هذا الخلق فجاءت أقواله عليه الصلاة والسلام شفاء لما يعترى النفس الإنسانية تجاه فقد هذا الخلق ونستعرض الآن طرفا من أقواله عليه الصلاة والسلام لخلق الحياء :

عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ *[٢]

*وهذ الحياء يحتاج لاستشعار العبد جبروت الله واحاطته وعلمه بالعبد ومن هنا جاء قوله تعالى (الم يعلم بان الله يرى)[٣] وقوله (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)[٤] ومنه ما حدث مع موسى عليه السلام وبنتا الرجل الصالح وماكان

---

[١] راجع لسان العرب ج١٤ ص٢١٩
[٢] سنن ابن ماجه ك الزهد ح رقم ٤١٧٥
[٣] سورة العلق الايه
[٤] سورة غافر الاية

من امرهما وسقيا الماء لهما وعرض الامر على ابيهمـــا ثـــم كانت العودة اليه حكاها وقصها القـــران فقـــال (فَجَاءَتْـــهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَـــدْعُوكَ لِيَجْزِيَـــكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [٥]٠٠

*وأشار عليه الصلاة والسلام الى فضيلة هذا الخلـــق بكونـــه شعبة من الإيمان فيما رواه ابو هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُـــعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ *[٦]

*كذلك جاء الهدى النبوى ليبين انه خير فجاء قوله عليه السلام فيما رواه عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَـــلَّى اللَّهـــم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً فَقَالَ عِمْرَانُ أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُحَدِّثُنِي عَـــنْ صُحُفِكَ *[٧]

*وقد حرص النبى علييه الصلاة والسلام علـــى تثبيـــت هـــذا الخلق والتواصى به فقد (مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُـــوَ

---

[٥] سورة القصص الاية

[٦] صحيح البخارى ك الايمان ح رقم ٨

[٧] صحيح مسلم ك الايمان رقم ٥٤

يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ *[٨]

*ومن تمثل الصحابة لهذا الأمر انه ماكان يجرؤ الواحد منهم ان يتكلم بحضرته عليه السلام استحياءمنه حَدَّثَنَا نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُتِيَ بِجُمَّارٍ فَقَالَ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ النَّخْلَةُ *

*وكان النبى صلى الله عليه وسلم خير المتمثلين لهذا الخلق فقد كان كما تروى الروايات (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا *

*وحتى اثناء تعرض لعرى جسده كان الحياء سائرا فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا قَالَ لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ

---

[٨] نفسه رقم ٢٣

يَقِيكَ مِنَ الْحِجَارَةِ فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ إِزَارِي إِزَارِي فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ * [٩]

* كذلك كان يستحى من مجرد الاستئذان من بعض الصحابة الذين كانوا يتحينون وقت الطعام وبعد قضاء مآربهم يظلون يتحدثون وهو يتاذى ولكنه لايفصح ولكن الله تعالى يودبنا بأدب النبوة ويجعل هذا الامر عاما فإذا طعمتم فانتشروا ولامستئنسي لحديث ...ومن الهدى النبوى فعَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ أَهْدَتْ لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا فِي تَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ فَقَالَ أَنَسٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذْهَبْ فَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَدَعَوْتُ لَهُ مَنْ لَقِيتُ فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ وَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ فَدَعَا فِيهِ وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَلَمْ أَدَعْ أَحَدًا لَقِيتُهُ إِلَّا دَعَوْتُهُ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَخَرَجُوا وَبَقِيَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَطَالُوا عَلَيْهِ الْحَدِيثَ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ شَيْئًا فَخَرَجَ وَتَرَكَهُمْ فِي الْبَيْتِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) قَالَ قَتَادَةُ غَيْرَ مُتَحَيِّنِينَ طَعَامًا (

---

[٩] صحيح البخارى ك المناقب ٣٥٤٢ رقم

وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا) حَتَّى بَلَغَ (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) *[١٠]

وما منع النساء ايضا ان يسألن رسول الله صلى الله عليه وسلمك عما يعتريهن فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ قَالَ خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْك فَتَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ أَتَطَهَّرُ قَالَ تَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ *[١١]

وجاء قوله الجامع عليه السلام ليبين مجالات الحياء المختلفة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ أبمو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبَانَ بْنِ إِسْحَقَ عَنِ الصَّبَّاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ *

*كما اخبر الهادى ان الحياء سترة ووقاية من الوقوع فى المعاصى فعن أَبِى مَسْعُودٍ عُقْبَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم

[١٠] صحيح مسلم ك النكاح رقم ٢٥٧٣
[١١] صحيح البخارى ك الحيض رقم ٣٠٣

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ *١٢

*حدثني محمد نا الفضل بن دكين نا الحسن بن صالح عن بعض أصحابه قال قال سعيد بن جبير ثم رأيت رجلا يصنع شيئا يكره فقيل له ألا نهيته قال استحييت منه لا إيمان لمن لا حياء له

*كتب إلينا محمد بن سليم يخبرنا أن الحسين بن بسطام الكوفي صاحب أبي بكر بن عياش حدثهم قال حدثني بشر بن غالب بن بشر بن غالب الأسدي عن الزهري عن مجمع بن فلان بن جارية عن عمه مجمع بن جارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم الحياء شعبة من شعب الإيمان ولا إيمان لمن لا حياء له وإنما يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له

*حدثني إسحاق بن حاتم نا بن أبي فديك عن محمد بن سليمان الأحمسي عن قطن أو فطر بن وهب القرطى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ثلاث من كن فيه أتقي بهن في الدنيا وعذب بهن في الآخرة الفحش والبذاء وقلة الحياء ٠

حدثنا خلف البزار نا أبو شهاب عن ليث بن أبي سليم عن عثمان عن زاذان عن سليمان قال ثم إذا أراد الله بعبد هلاكا نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا ٠

حدثنا خلف نا أبو شهاب عن عوف عن معبد بن كعب الجهني قال ثم لباس التقوى الحياء٠

خلق التواضع كما صورته السنة الشريفة .

أولا:- مفهوم التواضع .

جاءفي لسان العرب ج: ٨ ص: ٣٩٦

- وضع : الوَضْعُ: ضدّ الرفع، وَضَعَه يَضَعُه وَضْعاً و مَوْضُوعاً، *و التَّواضُعُ: التَّذَلُّلُ. و تَواضَعَ الرجلُ: ذَلَّ. ويقال: دخل فلان أمْراً فَوَضَعَه دُخُولُه فيه فاتَّضَعَ. و تَوَاضَعَت الأَرضُ: انخفضت عما يليها، وأراه على المثل. ويقال: إنَّ بلدكم لَمُتَواضِعٌ، وقال الأصمعي: هو المُتَخاشِعُ من بُعْدِه تراه من بَعِيدٍ لاصقاً بالأَرض. و تَواضَعَ ما بيننا أي بَعُدَ. ويقال: في فلان تَوْضِيعٌ أي تَخَنُّثٌ. وفي الحديث: أن رجلاً من خُزاعةَ يقال له هِيتٌ كان فيه تَوْضِيعٌ أو تَخَنُّثٌ. وفلان مُوَضَّعٌ إذا كان مُخَنَّثاً. ووُضِعَ في تجارته ضَعَةً وضِعةً و وَضِيعةً، فهو مَوْضُوعٌ فيها، و أُوضِعَ و وَضِعَ وَضَعاً: غُبِنَ وخَسِرَ فيها، وصيغةُ ما لم يسم فاعله أكثر؛ قال: فكان ما ربِحَتِ وَسْطَ الغَيْثَرَهْ وفي الزِّحامِ أنْ وُضِعَت عَشَرَه .

* راجع لسان العرب ج: ٨ ص: ٣٩٨

*والتواضع هو الخضوع مع السماحة ،ولين الجانب مع سعة الخلق وعدم المبالغة فى تعظيم الانسان نفسه والاجتهاد فى تعظيم أعمال الناس وتحسينها وهو من امهات حسن الخلق .وقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين) الشعراء م٢١٥ ،وقوله تعالى عن عباده المتواضعين ومآلهم (تلك الدار الاخرة

نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين)القصص(٨٣)٠

كما بين سبحانه جانب القرب منه بالتقوى والعمل الصالح وليس بالكبر وغمط الناس فقال تعالى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم ٠) الحجرات (١٣) ٠

*واليك طائفة مما سطرته السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم

اولا: التواضع في اللباس ٠

حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي مَرْحُومٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَمَعْنَى قَوْلِهِ حُلَلِ الْإِيمَانِ يَعْنِي مَا يُعْطَى أَهْلُ الْإِيمَانِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ. قَالَ أَبُو دَاوُد اسْمُ أَبِي مَرْحُومٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ عَنْ بِشْرٍ يَعْنِي ابْنَ مَنْصُورٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ قَالَ مَلَأَهُ اللَّهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا لَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ دَعَاهُ اللَّهُ زَادَ وَمَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَالَ بِشْرٌ أَحْسِبُهُ قَالَ تَوَاضُعًا كَسَاهُ اللَّهُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ وَمَنْ زَوَّجَ لِلَّهِ تَعَالَى تَوَّجَهُ اللَّهُ تَاجَ الْمُلْكِ.

ثانيا التواضع المصحوب بالحلم .

حَدَّثَنَا ابْنُ السَّرْحِ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ سَعِيدٍ يَعْنِي ابْنَ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي مَرْحُومٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ .

قَالَ أَبُو دَاوُد اسْمُ أَبِي مَرْحُومٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ عَنْ بِشْرٍ يَعْنِي ابْنَ مَنْصُورٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ قَالَ مَلَأَهُ اللَّهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا لَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ دَعَاهُ اللَّهُ زَادَ وَمَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَالَ بِشْرٌ أَحْسِبُهُ قَالَ تَوَاضُعًا كَسَاهُ اللَّهُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ وَمَنْ زَوَّجَ لِلَّهِ تَعَالَى تَوَّجَهُ اللَّهُ تَاجَ الْمُلْكِ .

ثالثا التواضع فى تناول الطعام والشراب

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى الْحِمْصِيُّ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَشْرَبَ عَلَى بُطُونِنَا وَهُوَ الْكَرْعُ وَنَهَانَا أَنْ نَغْتَرِفَ بِالْيَدِ الْوَاحِدَةِ وَقَالَ لَا يَلَغْ أَحَدُكُمْ كَمَا يَلَغُ الْكَلْبُ وَلَا يَشْرَبْ بِالْيَدِ الْوَاحِدَةِ كَمَا يَشْرَبُ الْقَوْمُ الَّذِينَ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَشْرَبْ بِاللَّيْلِ مِنْ إِنَاءٍ حَتَّى يُحَرِّكَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِنَاءً مُخَمَّرًا وَمَنْ شَرِبَ بِيَدِهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنَاءٍ يُرِيدُ التَّوَاضُعَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِعَدَدِ أَصَابِعِهِ حَسَنَاتٍ وَهُوَ إِنَاءُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام إِذْ طَرَحَ الْقَدَحَ فَقَالَ أُفٍّ هَذَا مَعَ الدُّنْيَا

رابعا التواضع فى عمل القائد .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ فِي رَحْلٍ لَهُ لَبَّيْكَ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ تَوَاضُعًا فِي رَحْلِهِ .

خامسا التواضع سمة المؤمنين .

سُورَةُ الْفَتْحِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ بُورًا هَالِكِينَ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ السَّحْنَةُ وَقَالَ مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ التَّوَاضُعُ شَطْأَهُ فِرَاخَهُ فَاسْتَغْلَظَ غَلُظَ سُوقِهِ السَّاقُ حَامِلَةُ الشَّجَرَةِ وَيُقَالُ دَائِرَةُ السَّوْءِ كَقَوْلِكَ رَجُلُ السَّوْءِ وَدَائِرَةُ السُّوءِ الْعَذَابُ تُعَزِّرُوهُ تَنْصُرُوهُ شَطْأَهُ شَطْءُ السُّنْبُلِ تُنْبِتُ الْحَبَّةُ عَشْرًا أَوْ ثَمَانِيًا وَسَبْعًا فَيَقْوَى بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فَذَاكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَآزَرَهُ قَوَّاهُ وَلَوْ كَانَتْ وَاحِدَةً لَمْ تَقُمْ عَلَى سَاقٍ وَهُوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ خَرَجَ وَحْدَهُ ثُمَّ قَوَّاهُ بِأَصْحَابِهِ كَمَا قَوَّى الْحَبَّةَ بِمَا يُنْبِتُ مِنْهَا

سادسا :التواضع فى حمل المتاع .

حَدَّثَنَا هَنَّادٌ وَمَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَفَةُ الْعَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرٍ فَجَاءَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَاوَمَنَا بِسَرَاوِيلَ وَعِنْدِي وَزَّانٌ يَزِنُ بِالْأَجْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْوَزَّانِ زِنْ وَأَرْجِحْ قَالَ وَفِي الْبَاب عَنْ جَابِرٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ سُوَيْدٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَسْتَحِبُّونَ الرُّجْحَانَ فِي الْوَزْنِ وَرَوَى شُعْبَةُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ سِمَاكٍ فَقَالَ عَنْ أَبِي صَفْوَانَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

من الصـــور الأخلاقية

الصـــــدق

قالوا عن الصدق إنه مطابقة الخبر للواقع بحسب اعتقاد المتكلم وهو الصلابة والشدة وهو الأمر الصالح.

الصِّدْقُ ضد الكذب وقد صَدَقَ في الحديث يصدق بالضم صدقاً ويقال أيضا صدَقَهُ الحديث و تَصادَقا في الحديث وفي المودة و المُصدِّقُ الذي يُصدقك في حديثك والذي يأخذ صَدَقاتِ الغنم و المُتَصَدِّقُ الذي يُعطي الصدقة ومررت برجل يسأل ولا تقل يتصدق والعامة تقوله وإنما المُتصدق الذي يُعطي وقوله تعالى إن المُصدقين والمُصدقات بتشديد الصاد أصله المتصدقين فقُلبت التاء صادا وأُدغمت في مثلها[1] و الصدق :-كما علمنا هو مطابقة الخبر للواقع ولو بحسب الاعتقاد وضير في هذا القيد وان كان واقعا فيصح الإخبار به ومثل العلماء لهذا الأمر بقصة ذى اليدين فانه حينما سل الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سلّم من ركعتين من صلاة رباعية اقصرن الصلاة أم نسيت يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام كل ذلك لم يكن وهذا صدق بحسب الاعتقاد وإن كان مخالفا للواقع.

و الصَّدَاقَةُ و المُصادَقَةُ المُخالَة ز والرجل صَدِيقٌ والأنثى صديقةٌ والجمع أصدقاءُ وقد يقال للجمع والمؤنث صديقٌ و الصِّدِّيقُ بوزن السكيت الدائم التصديق وهو أ ضا الذي يُصدق قوله بالعمل وهذا مصداقُ هذا أي ما يُصدقه و الصَّدَقَةُ ما تصدقت به على الفقراء و الصَّداقُ بفتح الصاد

[1] مختار الصحاح ج: ١ ص: ١٥١

وكسرها مهر المرأة وكذا الصَّدُقَةُ ومنه قوله تعالىٰ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة و الصُدْقَةُ بوزن الغُرفة مثله و أصدَقَ المرأة سمى لها صداقا و الصُنْدُوقَ وجمعه صناديق وعاء تُحفظ فيه الأشياء .

وقدأخبرالمولى عزوجل أن قوله الصدق وأن خبره الصدق فقال (قل صدق الله)وقال (ومن أصدق من الله قيلا) وقال (ومن أصدق من الله حديثا) وقد شهد لرسوله ولأوليائه بالصدق فقال عن رسوله (وما ينطق عن الهوى إن هو إلاوحى يوحى) وقال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله امنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون ...)وبشر المشائين به فقال (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون .لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنيين).وقد ثبت بالدليل الشرعي والعقلى صدق الانبياء يقول الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام (واذكر فى الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا)وعن اسماعيل (إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وعن ادريس (إنه كان صديقا نبيا)الخ اخوانه من الأنبياء الصادقين . وقد كان الصدق علامة بارزة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم واستقرى به مافى القلوب تجاهه فنطقوا قائلين ما جربنا عليك كذب قط . يقول الشيخ محمد عبده عن هذه الصفة(ولابد للرسول من الصدق ولو كذب الرسول لضعفت ثقة الناس به ولكان مضللا لا مرشدا) (١) ونستعرض فى إيجاز أدلة الصدق العقلية والنقلية فى حق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

أدلة الصدق .

من الأدلة النقلية التي تثبت صدق المرسل قوله تعالى (وصدق الله ورسوله)(*) وقوله (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) (*)وقوله عن إسماعيل (انه كن صادق الوعد)(*) وقوله عن إدريس (انه كان صديقا نبيا)(*) وقوله عن رسولنا (وما ينطق عن الهوى)(*) وقوله (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ... ...)(*)الى غير ذلك من الآيات

*أما الدليل العقلي يمكننا تقريره على النحو التالى :-

لوكان الرسل كاذبون لانصب الكذب على المعجزة التى هى خبرعن الله بصدق رسله لكن الكذب في خبره محال،فكذب الرسل في تبلغيهم خبر الله محال فثبت صدقهم واستحال كذبهم أو بمعنى آخر (لو لم يكن الرسول صادقًا للزم الكذب على الله تعالى لأن تصديق الكذاب كذب وهو محال عليه تعالى،ثم أنهم لو كذبوا لما وثق الناس فى أخبارهم ولما انتشرت دياناتهم وضاعت فائدة رسالتهم .والواقع شاهد إثبات على صدق الرسل فى دعواهم فقد بلغوا رسالات ربهم وبلغت دعوتهم أقوامهم فمنهم من آمن بهم ومنهم من صد عنهم .(*)

وقد بين القرآن الكريم مفهمو الصادقين فى أكثرمن مو ضع يقول الله تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن

بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى الباسأء والضراء وحين البأ س أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)فجماع هذه الصفات يتكون منها الصابرين وكذا بين القرآن الكريم فى آية أخرى بعضا من صفات الصابرين فقال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون)[١] وقد ضعاف الله رتبتهم بعمل الصالحات فقال تعالى (إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ..)[٢] وقد بشر الله تعالى الصادقين بالرضوان فقال بعد أن تحدث عن شهوات الدنيا فقال (قل أؤنبئكم بخير من ذالكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله.والله بصير بالعباد.الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار)[٣]

فالصدق يجعل صاحبه فى طمانية وهدوء خاطر وصلاح بال و شعور بالرضا والسكينة وليس أدل على هذا من قوله عليه السلام (دع مايريبك إلى ما لايريبك فإن الصدق طمانينة وإن الكذب ريبة)[٤]

---

(1) سورة الحجرات الآية ١٥ .
(2) سورة الحديد الآية ١٩،١٨
(3) سورة ال‌عمران الآيات ١٥ الى ١٧
(4)

* صور من الصدق في السنة المطهـــــرة *

أولاً – بركة الأرزاق مع الصادقين .

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ قَتَادَةُ أَخْبَرَنِي عَنْ صَالِحٍ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ سَمِعْتُ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا .

ضمان الودائع ببركة الصدق مع الله تعالى

وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ فَقَالَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا قَالَ فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ قَالَ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا قَالَ صَدَقْتَ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا فَرَضِيَ بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا

قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ قَالَ أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا •

الصدق ينجي ولو كان مرا •

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّهَا أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا

جزاء الكاذبين والمنافقين [١]

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا فَقَرَأَ إِلَى عَذَابٌ أَلِيمٌ ثُمَّ إِنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ فَحَدَّثْنَاهُ قَالَ فَقَالَ صَدَقَ لَفِيَّ وَاللَّهِ

أُنْزِلَتْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي بِئْرٍ فَاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ قُلْتُ إِنَّهُ إِذًا يَحْلِفُ وَلَا يُبَالِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا إِلَى وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٠

الصدق في تطبيق تعاليم الشرع

حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثني مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأله عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة فقال هل علي غيرها قال لا إلا أن تطوع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيام شهر رمضان قال هل علي غيره قال لا إلا أن تطوع قال وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة قال هل علي غيرها قال لا إلا أن تطوع فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق ٠

الصدق وتطبيق الحدود

حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ صَدَقَ اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ فَقَالُوا لِي عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ فَفَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنَ الْغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوا إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ لِرَجُلٍ فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَارْجُمْهَا فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا .

صدق العهد مع الله تعالى

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْخُزَاعِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا قَالَ ح و حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ حَدَّثَنَا زِيَادٌ قَالَ حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ قَالَ سَعْدٌ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ قَالَ أَنَسٌ فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَقَالَ إِنَّ أُخْتَهُ وَهِيَ تُسَمَّى الرُّبَيِّعَ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا فَرَضُوا بِالْأَرْشِ وَتَرَكُوا الْقِصَاصَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ.

صدق الفطرة وانكار الهوى والاماني

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ وَكَانَ قَيْصَرُ لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ مَشَى مِنْ حِمْصَ إِلَى إِيلِيَاءَ شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ اللَّهُ فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ قَرَأَهُ الْتَمِسُوا لِي هَا هُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ لِأَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنَّهُ كَانَ بِالشَّأْمِ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تِجَارًا فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَوَجَدَنَا رَسُولُ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّأْمِ فَانْطَلَقَ بِي وَبِأَصْحَابِي حَتَّى قَدِمْنَا إِيلِيَاءَ فَأُدْخِلْنَا عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ مُلْكِهِ وَعَلَيْهِ التَّاجُ وَإِذَا حَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا قَالَ مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَقُلْتُ هُوَ ابْنُ عَمِّي وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي فَقَالَ قَيْصَرُ أَدْنُوهُ وَأَمَرَ بِأَصْحَابِي فَجُعِلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتِفِي ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي

سَائلٌ هَذَا الرَّجُلَ عَنْ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَهُ نَبِيٌّ فَإِنْ كَذَبَ فَكَذِّبُوهُ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَنْ يَأْثُرَ أَصْحَابِي عَنِّي الْكَذِبَ لَكَذَبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الْكَذِبَ عَنِّي فَصَدَقْتُهُ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُ كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَبْلَهُ قُلْتُ لَا فَقَالَ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ عَلَى الْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ قُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ قَالَ فَيَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ الْآنَ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ نَحْنُ نَخَافُ أَنْ يَغْدِرَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَلَمْ يُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا أَنْتَقِصُهُ بِهِ لَا أَخَافُ أَنْ تُؤْثَرَ عَنِّي غَيْرُهَا قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أَوْ قَاتَلَكُمْ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ قُلْتُ كَانَتْ دُوَلًا وَسِجَالًا يُدَالُ عَلَيْنَا الْمَرَّةَ وَنُدَالُ عَلَيْهِ الْأُخْرَى قَالَ فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ قَالَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ لَهُ قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ قُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَمُّ بِقَوْلٍ قَدْ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ

يَدْخُلَ فِيهِ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخْلِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا يَغْدِرُونَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا وَيُدَالُ عَلَيْكُمْ الْمَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَى وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ وَسَأَلْتُكَ بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ قَالَ وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُرِئَ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا أَنْ قَضَى مَقَالَتَهُ عَلَتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ عُظَمَاءِ الرُّومِ وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ فَلَا أَدْرِي مَاذَا قَالُوا وَأُمِرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي وَخَلَوْتُ بِهِمْ قُلْتُ لَهُمْ لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ هَذَا مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخَافُهُ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَاللَّهِ مَا زِلْتُ ذَلِيلًا مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ قَلْبِي الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهٌ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَفَلَ مِنْ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ الْغَزْوِ يَقُولُ كُلَّمَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ قَالَ صَالِحٌ فَقُلْتُ لَهُ أَلَمْ يَقُلْ عَبْدُ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ لَا.

حسن الظن بالناس مع التثبت من صدقهم

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ قَالَ أَخْبَرَنِي حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ قَالَ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا حَاطِبُ مَا هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ صَدَقَكُمْ قَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ

إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ قَالَ سُفْيَانُ وَأَيُّ إِسْنَادٍ هَذَا .

خطبة الصادقين والصادقات منجية

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَرْمِيُّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ كَثِيرٍ حَدَّثَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ الدُّؤَلِيِّ حَدَّثَهُ أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ حَدَّثَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ حُسَيْنٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَقْتَلَ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَقِيَهُ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ فَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا فَقُلْتُ لَهُ لَا فَقَالَ لَهُ فَهَلْ أَنْتَ مُعْطِيَّ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ أَعْطَيْتَنِيهِ لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا حَتَّى تُبْلَغَ نَفْسِي إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ فَقَالَ إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا ثُمَّ ذَكَرَ صِهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ قَالَ حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي وَوَعَدَنِي فَوَفَى لِي وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبَدًا .

صدق حدود الله تعالى فى جميع الشرائع

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ فَقَالُوا نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَقَالُوا صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ.

صدق التبليغ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلَا لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ صَدَقَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ.

الصدق وترتب الحقوق عليه

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنْ حَدِيثِ الْمُتَلَاعِنَيْنِ فَقَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُتَلَاعِنَيْنِ حِسَابُكُمَا عَلَى اللَّهِ أَحَدُكُمَا كَاذِبٌ لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَيْهَا قَالَ مَالِي قَالَ لَا مَالَ لَكَ إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ عَلَيْهَا فَهُوَ بِمَا اسْتَحْلَلْتَ مِنْ فَرْجِهَا وَإِنْ كُنْتَ كَذَبْتَ عَلَيْهَا فَذَاكَ أَبْعَدُ لَكَ قَالَ سُفْيَانُ حَفِظْتُهُ مِنْ عَمْرٍو وَقَالَ أَيُّوبُ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ رَجُلٌ لَاعَنَ امْرَأَتَهُ فَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ وَفَرَّقَ سُفْيَانُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى فَرَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَخَوَيْ بَنِي الْعَجْلَانِ وَقَالَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ سُفْيَانُ حَفِظْتُهُ مِنْ عَمْرٍو وَأَيُّوبَ كَمَا أَخْبَرْتُكَ .

صدق وشفاء

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ فَقَالَ اسْقِهِ عَسَلًا فَسَقَاهُ فَقَالَ إِنِّي سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ تَابَعَهُ النَّضْرُ عَنْ شُعْبَةَ .

الرؤيا الصادقة للصالحين :-

قَالَ تَعَالَى لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا .

صدق النبوة ودلالتها :.

حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بُكَيْرٍ النَّاقِدُ حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قَالَ صَدَقَ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ صَدَقَ قَالَ ثُمَّ وَلَّى قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ قَالَ قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُهِينَا فِي

الْقُرْآنِ أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ ٠

الأخذبالأسباب والبعد عن التطير الخ

حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَحَ مِنْ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ قَالُوا هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ حَتَّى بَلَغَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ٠

الصدق ووقوع العذاب الاخروى

حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ قَالَتْ فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَقَالَ صَدَقَتَا إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ قَالَتْ فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ أَشْعَثَ عَنْ أَبِيهِ

عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَفِيهِ قَالَتْ وَمَا صَلَّى صَلَاةً بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا سَمِعْتُهُ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .

تصديق المومنين بعضهم بعضا : .

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ جَلِيسًا لِأَبِي قَتَادَةَ قَالَ قَالَ أَبُو قَتَادَةَ وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ قَالَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ و حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حُنَيْنٍ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ قَالَ فَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَدْ عَلَا رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَدَرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَضَرَبْتُهُ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَنِي فَلَحِقْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ مَا لِلنَّاسِ فَقُلْتُ أَمْرُ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ قَالَ فَقُمْتُ فَقُلْتُ مَنْ يَشْهَدُ لِي ثُمَّ جَلَسْتُ ثُمَّ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ فَقُمْتُ فَقُلْتُ مَنْ يَشْهَدُ لِي ثُمَّ جَلَسْتُ ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ

الثَّالِثَةَ فَقُمْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَلَبُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي فَأَرْضِهِ مِنْ حَقِّهِ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ لَا هَا اللَّهِ إِذًا لَا يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أُسُدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنْ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ فَيُعْطِيكَ سَلَبَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ فَأَعْطِهِ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِي قَالَ فَبِعْتُ الدِّرْعَ فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلِمَةَ فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ وَفِي حَدِيثِ اللَّيْثِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ كَلَّا لَا يُعْطِيهِ أُضَيْبِعَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَدَعُ أَسَدًا مِنْ أُسُدِ اللَّهِ وَفِي حَدِيثِ اللَّيْثِ لَأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ .

الفتن العارضة

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى عَنْ حُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ فِيهِمَا فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَطَعَ كَلَامَهُ فَحَمَلَهُمَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ اللَّهُ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ كَلَامِي فَحَمَلْتُهُمَا .

أَخْبَرَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عِكْرِمَةُ بْنُ خَالِدٍ أَنَّ ابْنَ أَبِي عَمَّارٍ أَخْبَرَهُ عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ أُهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ

وكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ قَسَمْتُهُ لَكَ قَالَ مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ إِنْ تَصْدُقْ اللَّهَ يَصْدُقْكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهُوَ هُوَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ .

صدق الأخوة في الدين

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى عَنْ جَدَّتِهِ عَنْ أَبِيهَا سُوَيْدِ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ خَرَجْنَا نُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَنَا وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ فَأَخَذَهُ عَدُوٌّ لَهُ فَتَحَرَّجَ الْقَوْمُ أَنْ يَحْلِفُوا وَحَلَفْتُ أَنَّهُ أَخِي فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ تَحَرَّجُوا أَنْ يَحْلِفُوا وَحَلَفْتُ أَنَّهُ أَخِي قَالَ صَدَقْتَ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ

الصدق فى المعاملات

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ كَاسِبٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ الطَّائِفِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رِفَاعَةَ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ بُكْرَةً فَنَادَاهُمْ يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ فَلَمَّا رَفَعُوا أَبْصَارَهُمْ وَمَدُّوا أَعْنَاقَهُمْ قَالَ إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ .

صدق النية مع الله تعالى :-

حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَطَاءَ بْنَ دِينَارٍ عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الشُّهَدَاءُ ثَلَاثَةٌ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الْإِيمَانِ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَصَدَقَ اللَّهَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ الَّذِي يَرْفَعُ إِلَيْهِ النَّاسُ أَعْنَاقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ حَتَّى وَقَعَتْ قَلَنْسُوَتُهُ أَوْ قَلَنْسُوَةُ عُمَرَ وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الْإِيمَانِ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَكَأَنَّمَا يُضْرَبُ جِلْدُهُ بِشَوْكِ الطَّلْحِ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ هُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الْإِيمَانِ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا لَقِيَ الْعَدُوَّ فَصَدَقَ اللَّهَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ .

التشبه بأخلاق القرآن الكريم والاعتصام به في وجه الفتن .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ عَنْ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ عَنْ أَبِي الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْحَارِثِ عَنْ الْحَارِثِ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أُنَاسٌ يَخُوضُونَ فِي أَحَادِيثَ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ أَلَا تَرَى أَنَّ أُنَاسًا يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ قَدْ فَعَلُوهَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ سَتَكُونُ فِتَنٌ قُلْتُ وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا قَالَ كِتَابُ اللَّهِ كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ .

- واليك طائفة من هديه صلى الله عليه وسلم والتى يبين من خلالها عاقبة الكذب ونهايته

*حدثنا قبيصة بن عقبة قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة

من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر تابعه شعبة عن الأعمش.

*حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن جامع بن شداد عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قلت للزبير إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان قال أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار.

*حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري ح و حدثنا إسماعيل قال حدثني أخي عن سليمان عن محمد بن أبي عتيق عن ابن شهاب عن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة ويقول(اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله من المغرم قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف).

*حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا اؤتمن خان وإذا وعد أخلف حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا اؤتمن خان وإذا وعد أخلف.

*حدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد وهشام قالا حدثنا قتادة عن صفوان بن محرز قال بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أو قال يا ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النجوى فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه وقال هشام يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا يقول أعرف يقول رب أعرف مرتين فيقول سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رءوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين.

*حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ زَيْدٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا قُلْنَا لَا قَالَ فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا ثُمَّ قَالَ يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا

وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا فَيُقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا فَيُقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيُقَالُ لَهُمْ مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ فَيَقُولُونَ السَّاقُ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ قَالَ مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ

ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ وَقَالَ حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنْ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ قَالَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي فَيَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ

وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا قَالَ وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

*حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا يزيد بن زريع حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن جابر قال قلنا يا رسول الله إنا كنا نعزل فزعمت اليهود أنها الموءودة الصغرى فقال كذبت اليهود إن الله إذا أراد أن يخلقه فلم يمنعه قال وفي الباب عن عمر والبراء وأبي هريرة وأبي سعيد.

من أمثلة صدق وأمانة الرسول

أخبرنا عمرو بن علي قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا عمارة بن أبي حفصة قال أنبأنا عكرمة عن عائشة قالت كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بردين قطريين وكان إذا جلس فعرق فيهما ثقلا عليه وقدم لفلان اليهودي بز من الشأم فقلت لو أرسلت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة فأرسل إليه فقال قد علمت ما يريد محمد إنما يريد أن يذهب بمالي أو يذهب بهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب قد علم أني من أتقاهم لله وآداهم للأمانة

* من أخلاق الاسلام الاحترام والتوقير .

ويشمل جميع الناس صغيرا كان اوكبيرا فى الكلام والوقوف ورفع الصوت الخ ونأخذ هديا من أقوال النبى صلى الله عليه وسلم

حدثنا عثمان بن محمد قال عبد الله بن أحمد وسمعته أنا من عثمان بن محمد حدثنا جرير عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

أداء الأمانة بجميع أوصافها وليست المقصورة على الودائع بل كل ما تحمله الكلمات من معانى وفيه ناخذقوله عليه السلام حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها يا رسول الله قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية ووكيع ح و حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة قال حدثنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه علي دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا وفلانا و حدثنا ابن نمير حدثنا أبي ووكيع ح و حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا عيسى بن يونس جميعا عن الأعمش بهذا الإسناد مثله.

الأدب مع الله تعالى :-

ويشمل سائر الأمور في العبادات والمعاملات والأقوال والأفعال ... الخ وناخذ طرفا من السنة النبوية فيه حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ إِنَّ لِي وَلَدًا وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي.

وأيضا قوله عليه السلام حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ وايضا قوله عليه السلام

• حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ

بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ.

*الأدب مع النبى صلى الله عليه وسلم وفيه الأدب فى مخاطبته برسول الله وعدم التنازع بحضرته إلى جانب عدم منادته باسمه وعدم رفع الصوت فوق صوته وعدم مناجاته بالإثم والعدوان ... ألخ وفيه نعرض لبعض من أقواله فيها:-

التأدب بحضرته عليه السلام وعدم رفع الصوت حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمِّرْ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ عُمَرُ بَلْ أَمِّرْ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي قَالَ عُمَرُ مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا حَتَّى انْقَضَتْ. وعلى الطالب النجيب مراجعة سو القران جيدا خاصة التى تتعرض لمقام النبى ومكانته صلى الله عليه وسلم من مثال سورة الاحزاب والحجرات... الخ

الاصلاح بين الناس وفيه يطالعنا قوله تعالى (والصلح خير)وقوله (لاخير فى كثير من نجواهم الامن امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس) ،ومن هديه عليه السلام قوله حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ يُحَامِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ،وقوله

الاصلاح بين الازواج

حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَنْبَأَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا خُيِّرَتْ بَرِيرَةُ رَأَيْتُ زَوْجَهَا يَتْبَعُهَا فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَكُلِّمَ الْعَبَّاسُ لِيُكَلِّمَ فِيهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَرِيرَةَ إِنَّهُ زَوْجُكِ فَقَالَتْ تَأْمُرُنِي بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ قَالَ فَخَيَّرَهَا فَاخْتَارَتْ نَفْسَهَا وَكَانَ عَبْدًا لِآلِ الْمُغِيرَةِ يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ ،

الكذب المباح

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ وَأَبُو أَحْمَدَ قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ و قَالَ مَحْمُودٌ فِي حَدِيثِهِ لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ خُثَيْمٍ وَرَوَى دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ أَسْمَاءَ حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ دَاوُدَ وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي بَكْرٍ ،

وفيه آيات عديدة في الإنفاق والطعام والشراب والدعاء والصلاة والصوم الخ ونعرض فيه لقوله عليه السلام حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ هِلَالٍ الصَّوَّافُ الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي طَارِقٍ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَلَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَالْحَسَنُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ شَيْئًا هَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَيُّوبَ وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ وَعَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ قَالُوا لَمْ يَسْمَعْ الْحَسَنُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ النَّاجِيُّ عَنْ الْحَسَنِ هَذَا الْحَدِيثَ قَوْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٠

من أخلاق الاسلام الإخاء :-

وفيه قوله تعالى (إنما المؤمنون أخوة ٠٠٠) ومنه قوله عليه السلام حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ٠وكذلك دعا الإسلام إلى حسن الخلق وحفظ السر والنفس وحب المساكين والى الحلم والحكمة والخوف من الله تعالى وإكثار المودة والرحمة والرضا بعطاء الله والصبر والشكر كما دعا إلى البشاشة والتقوى والورع ولين الجانب والتوكل والثبات والإقدام والخوف الله ورسوله ٠٠٠٠الخ ولو استعرضنا لطال بنا المقام ٠

من أخلاق الاسلام الاخـــــلاص

وفيه قوله تعالى وما امروا الاليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)ومنه قول الهادى صلى الله عليه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَعِبَادَتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ مَاتَ وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ قَالَ أَنَسٌ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَبَلَّغُوهُ عَنْ رَبِّهِمْ قَبْلَ هَرْجِ الْأَحَادِيثِ وَاخْتِلَافِ الْأَهْوَاءِ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ يَقُولُ اللَّهُ فَإِنْ تَابُوا قَالَ خَلْعُ الْأَوْثَانِ وَعِبَادَتِهَا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْعَبْسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ مِثْلَهُ.